

مواجهة الصهيونية المسيحية "٢"

أمتنا ودورهـا الحضاري

تأليف
يوسف العاصي الطويل

يوسف العاصي الطويل

مواجهة

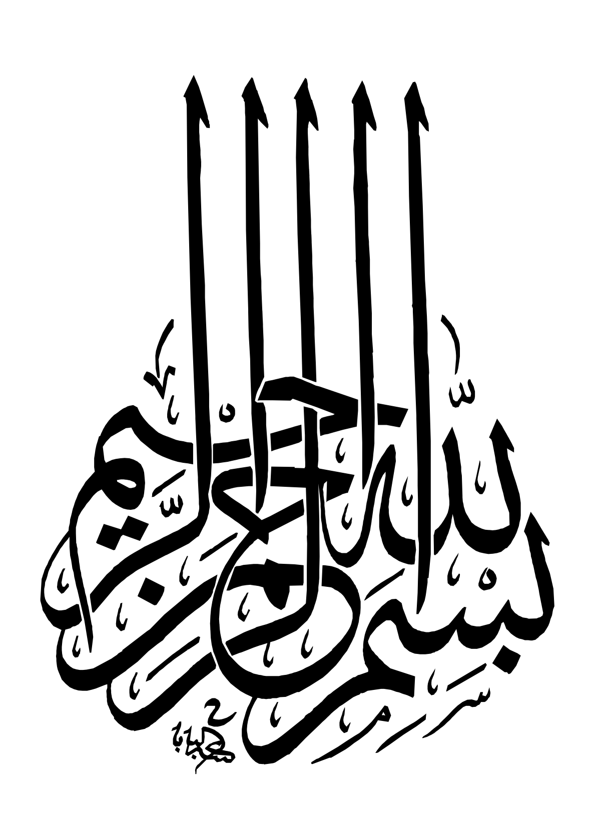
الصهيونية المسيحية

أمتنا ودورها الحضاري

الجزء الرابع

من كتاب الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم

صوت القلم العربي
١٤٣١ هـ - الطبعة الثانية ٢٠١٠ م
مصر


بسم الله الرحمن الرحيم

اسـم الكـتـاب :: الحملـة الصـليبيـة علـى العـالم الإسلامي والعالم (٤) ... مواجهة الصهيونية المسيحية ..
اسم المؤلف :: يوسف العاصي الطويل
عدد الأجزاء :: (٤ أجزاء)
رقم الجزء :: الرابع
رقم الإيداع بدار الكتب الوثائق :: ٢٠٠٩/١٧١٦٧
الترقيم الدولي (ردمك) :: ٩٧٨-٩٧٧-٦٣٥٧-٠٣-٧
الناشر :: صوت القلم العربي
سنة النشر :: ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م الطبعة الثانية

الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (٤)

مواجهة الصهيونية المسيحية

الطبعة الثانية

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



صوت القلم العربي

أكبر مجتمع عربي للكتاب وتقنيات الثقافة على شبكة الإنترنت

SITE : WWW.3LSOOOT.COM
E-MAIL : ALSOOOT@GMAIL.COM

الفصل الأول

الحوار بين الأديان والحضارات ...

في اطار حربها الضروس على الامه العربية والاسلامية، ولانجاح حربها الصليبية الجديدة، عمدت الولايات المتحدة وبريطانيا وبعض الدوائر الغربية الى خوض هذه الحرب على كافة الصعد، حيث احتلت عملية تشويه صورة العرب والمسلمين اولوية رئيسة في اجندتها من اجل كسب المعركة، وذلك لتبرير كل ما تقوم به من دعم وتأييد لجرائم اسرائيل في المنطقة، ولتبرير جرائمها وتدخلها في شؤون المنطقة منذ عقود طويلة. لهذا فقد عمدت امريكا على كافة المستويات الى خلق صوره مخيفه للعرب والمسلمين مستغله صوراً نمطيه رسمها كثير من المستشرقفيين والمبشرين الغربيون عن الاسلام والعرب منذ زمن طويل، وقاموا من خلال مؤسساتهم ومراكز ابحاثهم بتضخيم هذه الصوره وتعميمها على الرأي العام المحلي والدولي، بل وفي احيان كثيره عمدوا الى خلق هذه الصور وابرازها، كما حث في ما يسمونه (الحرب ضد الارهاب).

وبالتأكيد فإن امريكا في سعيها الدؤوب هذا لا يعنيها حدوث ايه تفاهم او تقارب بين الاديان او حدوث اي حوار حقيقي بين الحضارات، لان هذا يعنى نهايه الكذب والتضليل وانكشاف عدم مصداقية كافة الصور النمطية المشوهه عن العرب والمسلمين، والتى سعت هى وغيرها من الدوائر الصهيونية المعادية للعرب والمسلمين الى ترسيخها في وجدان الرأى العام العالمي والغربي بصفة خاصه، وما يحدث الآن على الساحه خير دليل على ذلك من خلال تخويف الجميع مما يسمى الارهاب الاسلامى الذي صنعته هى، وبدأت في التدخل فى المناهج الدراسيه والخطب الدينية، ومصارف الزكاه والصدقات، وما يجب وما لا يجب .. الخ. بحيث اصبحت محاربة ما يسمى (بالتطرف الاسلامي) الشغل الشاغل للعالم كله، لان امريكا تريد ذلك، حيث تناسى الجميع _لان امريكا تريد ذلك ايضاً- اصناف التطرف اليهودي والمسيحي الصهيوني، وتطرف المحافظون الجدد حكام البيت الابيض.

وهنا تقول المستشرقة (آرمسترونغ): "إن الإعلام الغربي يثير انطباعات بأن التشدد والتزمت الديني الذي يتسم بالعنف ويسمي (التعصب) هو ظاهرة إسلامية بحتة، لكن الحقيقة هي أن التعصب ظاهرة عالمية طفت علي السطح في كل الأديان الرئيسية... فهناك تعصب يهودي[١]، وتعصب مسيحي، وتعصب هندوسي، وتعصب بوذي بل وتعصب كونفوشي. ولكن تعصب الأسواق هو أسوأ تلك الأنواع من التعصب، حيث أدي بشكل غير مباشر إلي نشوء كل ما سبق ذكره من صنوف التعصب. وكان أول أشكال التعصب قد ظهر في العالم المسيحي في الولايات المتحدة أوائل القرن العشرين". وتستطرد آرمسترونغ وتقول: "من بين ديانات التوحيد الثلاثة، كان الإسلام آخر الأديان التي ظهر فيها التيار المتعصب... أواخر الستينيات والسبعينيات. وفي ذلك الوقت، كان التعصب قد أخذ من المسيحيين واليهود كل مأخذ"[2].

ولكن مثل هذه الحقيقة التى تقولها المستشرقة آرمسترونغ وغيرها من العلماء والمفكريين الغربيين المنصفين، لا تروق لقادة امريكا وبريطانيا وجموع اليمين المسيحي المتطرف، بل لا بد من ابقاء صورة الاسلام الارهابى والمتطرف الذى يهدد الحضارة الغربية. "فالامريكي الابيض لم يفكر فيما فعله في الهنود الحمر وفيما فعل القراصنة البيض في الخمسة عشر مليوناً من العبيد السود الافارقه، الذين خطفوهم من أفريقيا وباعوهم في أسواق النخاسة، وفيما فعل الصرب من مجازر ومذابح لمسلمي البوسنه، وما فعله الأمريكان في هيروشيما، وما يفعله الاستعمار الأوروبي والأمريكي الآن في القارة الافريقيه في بلاد الماس والذهب .. زائير ورواندا وبوروندى. أين بربرية الإسلام المزعومة من هذه الإبادة والقتل الجماعي وخطف الملايين وبيعهم في أسواق العبيد وفي تشريد الشعب الزائيري

---

[1] في كتابه الاصولية اليهودية يعرض المؤلف لاصناف مختلفة من التطرف والتحجر والجمود لدى الاحزاب الدينية اليهودية والذي لا يمكن مقارنته بأيه حال من الاحوال بمظاهر ما يسمى التطرف الاسلامي ، ولكن موضوع هذا التطرف لا يسلط عليه الضوء من قبل الاعلام الامريكي والغربي بالرغم من ان اتباعه اصبحوا لهم اليد العليا في تشكيل الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة وسعى الاحزاب الرئيسية الى استرضائهم.

[2] صناعة الإرهاب - د. عبد الغني عماد – ص28

وموته جوعاً في الغابات ونهب خيراته وثرواته وإثارة طوائفه ليقتل بعضها بعضاً. وأين هذه الجرائم والفتن والمذابح مما فعل بالمسلمون في الأندلس"[١].

ان المسلمين لم يأتوا إلى الأندلس غزاة، ولم يفتحوا بلاد الروم والفرس، ولا بلاد أوروبا كما فتحها المغول والتتار للنهب والسلب، وانما دخلوها يحملون ديناً وكتاباً وحضارة .. دخلوها كرسل علم وكطلائع تنوير واعمار.. ولم يغترفوا من ثروات أوروبا ما اغترفت ونهبت من ثروات مستعمراتها في افريقيا. كما ان العرب والمسلمون لم يعرفوا في عقيدتهم وتاريخهم تجارب الإبادة والطرد الجماعي والعزل العنصري والممارسات الفاشية والنازية، بينما شهد الغرب ولادة تجارب الحروب الصليبية التي ستبقى وصمه عار تلطخ تاريخ أوروبا، وشهد الغرب الإبادة الوحشية للشعوب في العالم الجديد وخاصة في القارة الاميركيه وشهد تجارة الرقيق بكل بشاعاتها والتي استنزفت طاقات إفريقيا السوداء لقرون، وشهد الغرب أيضا ظاهرة الاستعمار الكولونيالي بكافة وجوهه، فكان الناهب للخيرات والطارد للبشر والمستوطن لأرضهم، في حين لم يشهد العالم الإسلامي في ذروة تألقه أي شيء من هذا. وقد شكل بقاء الاقليات في العالم الإسلامي، بكل ما تملك من خصوصيات ثقافية ودينيه دليلا على حضارة تؤمن فعلاً وقولاً بحق الآخر في الوجود والتميز والمشاركة[2].

ولكنهم في أوروبا وأمريكا يحاولون الآن طمس هذه الحقيقة ويحاولون تزوير التاريخ وينفقون الملايين لتشويه الإسلام وتبشيع صورته .. فهو إرهاب وجرائم قتل وتفجير قنابل وإشعال حرائق .. في الصفحات الاولى من جميع جرائدهم. لقد انتهت الشيوعية ولم يبق لهم عدو سوى الاسلام. هذا هو المعنى الذي يغرسونه في كل صفحة، وفي كل عمود وفي كل خبر ليستقر في وجدان العالم تمهيداً للعدوان الذي يدبرونه على الإسلام واهله[٣].

---

[1] اسرائيل .. البداية والنهاية – د. مصطفى محمود ص١٠٧-١٠٨

[2] صناعة الإرهاب - د. عبد الغني عماد – ص28

[3] اسرائيل .. البداية والنهاية – د. مصطفى محمود ص١٠٨-١٠٩

نظرية صراع الحضارات

فى اللحظة التى بدأ حوار الاديان والحضارات يشق طريقه بنجاح، جاء منظرو صراع الحضارات محاولين قطع الطريق على هذا الحوار، فكانت نظرية نهاية التاريخ (لفوكوياما)، وصراع الحضارات لهنتغتون. فالمصلحه الامريكية والصهيونية تتطلب تصعيد الصراع بأيه طريقه، ولهذا تظهر الفبركة والاكاذيب والتلفيق للوصول الى الهدف. فعندما طرح هنتجون كتابه صراع الحضارات وتنبأ او بمعنى اصح حدد العدو الجديد للغرب ممثلاً بالاسلام والصين، سعى الى حشد اوروبا بكاملها مع امريكيا كجبهه موحدة ضد الاسلام، جاعلاً الصراع وكأنه صراع بين الحضارة المسيحية والاسلام، متناسياً وبشكل متعمد ان الحضارة المسيحية ليست وحدة واحدة كما وضحنا في هذا الكتاب، فاوروبا بشكل عام كاثوليكية المذهب، وهو على النقيض من المذهب البروتستانتى السائد في امريكا. ولكن من اجل حشد اكبر قدر من الحلفاء لفكرة صراع الحضارات، تناسى هنتجتون هذه الفروقات والتاريخ الطويل من الصراع بين البروتستانت والكاثوليك في اوروبا وامريكا وحشدهم في جبهة واحدة ضد الاسلام. ومما يوضح سوء النية عند هنتجتون ومحاولته تضليل الرأى العام هو انه في كتابه الجديد (من نحن؟ تحديات الهوية الوطنية الامريكية)، يتراجع عن فكرة الحضارة المسيحة الموحدة، الى فكرة (الثقافة الانجلو بروتستانية) باعتبارها المصدر الرئيس للهوية الامريكة، بل والاهم من ذلك هو انه يرى ان اختلاط الامريكيين بغيرهم من اصحاب الثقافات الاخرى بالاضافة الى هجرة الاقليات من امريكيا اللاتينة (كاثوليك) واوروبا، يشكل خطر على الهوية الامريكية. ولحماية هذه الهوية فإن هنتجتون يرى ان ذلك يمكن ان يتم من خلال توحيدهم في مواجهة الخطر الاسلامي، حيث يرى أن العداء للإسلام والحضارة الإسلامية قد يساعد بشكل كبير في تحقيق التفاف الأميركيين المنشود حول هويتهم الوطنية في المستقبل المنظور، حيث يطرح هنتنغتون رؤية لإعادة بناء الهوية الأميركية تقوم على استشراف بعض التغيرات الجذرية الإيجابية الطارئة على المجتمع الأميركي في الفترة الأخيرة، التي من شأن تأكيدها عودة الروح للهوية الوطنية الأميركية. ويعني هنتنغتون بهذه التغيرات تحولين أساسيين، أولهما عودة الأميركيين للدين المسيحي

(يعنى البروتستانتيه) وزيادة دور المسيحية في الحياة العامة الأميركية، وثانيهما الدور الذي يمكن أن يلعبه الإسلام كعدو أساسي جديد لأميركا[١].

ومن خلال مقارنة ما طرحه هنتجتون فى كتابه (صراع الحضارات)، وكتابه الجديد (من نحن؟ تحديات الهوية الامريكية) يتضح لنا ان اهم ما يعنى هنتجتون هو ابقاء الاسلام كعدو اساسي لامريكا، وتفعيل دور الدين الممسيحي (بشقه البروتستانتى) في الحياة العامه، اى زيادة نفوذ التيار المسيحي الاصولي الذي يتطلع الى تحقيق الخرافات والنبوءات التوراتية. ولهذا فإن الدكتور (زكاء اللّه) كان محقاً في كتابه (الصليب والهلال) عندما فند مقولة صدام الحضارات، وبين الترابط بينها وبين الرؤية التي يتوقعها سفر الرؤيا لنهاية العالم، والتي تقول بقيام معركة هرمجدون التي ستدوم ثلاث سنوات ونصف السنة، وتبدأ بسبب العرب حسب أحد التفسيرات المتداولة، ليقيم بعدها المسيح دولة الرب. وقد تطورت أشكال التفسيرات والتصورات لرؤية المعركة الأخيرة، لتتبلور في النهاية في مقولة صدام الحضارات التي خرج بها صموئيل هنتنغتون، دون أن يستطيع الخروج من الرؤيا الكارثية التي صورتها العقيدة المسيحية عندما بشرت بحرب ضروس تبدأ بسبب العالم العربي[٢].

وهكذا فإن نظرية صراع الحضارات التى قال بها هنتغتون، استاذ العلوم السياسية ومدير مؤسسة (جون أولين) للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد، تؤكد بإيجاز على إن الغرب وامريكا بالذات، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي بحاجة ماسة إلى عدو جديد يوحد دوله وشعوبه[٣] وان الحرب لن تتوقف حتى لو سكت السلاح وأبرمت المعاهدات، ذلك إن حرباً حضارية قادمة ستستمر بين المعسكر الغربي الذي تتزعمه أمريكا، وبين طرف آخر قد يكون عالم الإسلام أو الصين. اما نظرية نهاية التاريخ (لفوكوياما) فتسعى إلى إلغاء البعد التاريخي، ووضع الأمم والجماعات كافه عراة قبالة الصنميه الاقتصادية التي تنزع إلى تسوية الجميع إزاء مطالبها، لكنها من

---

[1] من نحن؟ تحديات الهوية الوطنية الأميركية :صموئيل هنتنغتون- عرض/ علاء بيومي- الجزيرة نت ٢-٨-٢٠٠٤

[2] الصليب والهلال - المؤلف: محمد عارف زكاء الله - الناشر: ذي آذرز، كوالالمبور- الطبعة: الأولى/٢٠٠٤ – الجزيرة نت

[3] مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات الى انسنة الحضارة وثقافة السلام – د. محمد سعدي – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ٢٠٠٦- ص ١٨٤

وراء هذا تزيد أغنياء العالم وطواغيته غنى وجبروتاً وفقراءه ومستضعفيه فقراً واستبعاداً. إنها بشكل من الأشكال مناورة فكريه تمنح خلفيات تنظيريه لممارسات تتجاوز ابتداءً منظومة القيم الخلقية وثوابت العقائد والأديان والمطالب الاساسيه للإنسان، ومن وراء هذه المناورة تكمن الخبرة الصليبية واليهودية والاستعمارية والرأسمالية. إن إلغاء الذاكرة التاريخية، وتحكيم الصنميه الاقتصادية المتسلحة بكل قوى العلم والتكنولوجية والتفوق العسكري وحتى السياسي، للغرب لن يجعل الفقير غنياً وينزل بالاغنياء لكي يقاربوا الفقراء، بل ستجعلنا وكل المستضعفين في الارض ينسلخون عن تاريخهم، ويفقدون تميزهم ويزدادون التصاقاً بالقوى المتحكمة في آليات الاقتصاد العالمي. ان تجريد العالم من بطانته الروحية، والوجود من تجذره في الغيب، ومنح السلطة المطلقة للاقتصاد، سوف يميل بالميزان، وسيكون الانسان هو الخاسر الوحيد[١].

ولا شك أن إيديولوجية كهذه لا بد أن تعتبر الإسلام عقبة كأداء لا بد من إزالتها من الطريق ولا سبيل للحوار معها، بل حتى المذاهب المسيحية الأرثوذكسية ملزمة بالتحول إلى ما تعتقده تلك الإيديولوجية إن هي أرادت النجاة من (الحرب الأخيرة) قبيل عودة المسيح..! "فأسطورة (نهاية العالم) هذه وعودة المسيح آخر الزمان كما يروج لها هذا التدين السائد اليوم في أمريكا هي التي تلقفها وألبسها لبوساً ليبرالياً كلاً من فرانسيس فوكوياما في كتابه عن نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ثم صامويل هانتنجتون في حديثه عن صدام الحضارات! ومن العجيب أن يعكس هذا الفكر الليبرالي ذلك النوع من الفكر الديني وينتهي معه إلى التبشير بمصير مأساوي للإنسانية!. لقد أجمعت الدراسات على مبلغ تدين الشعب الأمريكي، مقارنة بالشعوب الأوروبية، إلا أن الحقيقة الصادمة توضح أن هذا التدين في الأغلب لا يساعد على قيام تفاهم حضاري، لأنه تدين عدواني الطابع، منغلق التفكير، إرهابي النزعة، يبشر بعالم مخيف حقا!"[٢].

---

[1] مذكرات حول واقعة الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)- د. عماد الدين خليل- ص١١٤

[2] أية قيم دينية لحضارة إنسانية ؟ - د. عبد المجيد الصغيّر http://www.qatar conferences.org/dialogue/article2.do

حوار الأديان والحضارات

يناقش الكاتب الإيطالي (أمبرتو إيكو) مقولة صراع الحضارات أو الثقافات التي تفسر الحرب الأميركية على العالم الإسلامي وحرب المسلمين عليها، ويتساءل ان كانت الحرب هي الشكل العادل للعنف .. وهل يعتبر ما يجري صراعاً بين الشرق والغرب على غرار الحروب الصليبية؟ ويجيب ايكو على ذلك مستبعداً مقولة صراع الحضارات في تفسير ما يجري، ويدعو بقوة إلى مقاومة نزعة العداء الحضاري والثقافي لأن كلفتها تضر بالغرب، وقد تلحق به الهزيمة، فقد تداخل الشرق بالغرب، وتداخلت المصالح والعلاقات على نحو لم يعد ممكناً حمايتها إلا بالتعاون والعمل المشترك من خلال الحوار بين الاديان والحضارات[١].

فالبشرية فى عصرنا الحاضر تعاني من أزمات سياسية وانفجارات اجتماعية وهجرات سكانية وفجوات عميقة اقتصادية وتناقص في الموارد الطبيعية، ودمار متواصل للبيئة وارتفاع في وتيرة العنف والغلو. كما يشهد العالم تحولات كيفية غير مسبوقة خاصة في مجالات الثورة التكنولوجية الثالثة، والتي يصعب فهم تأثيرها على القيم والعلاقات والأفكار والثقافات، دون إعمال العقل والحوار. كما تبرز صعوبة إدراك حقيقة القواعد والعلاقات والمشاعر والبناء الاجتماعي والحدود التي تقوم عليها الحضارات، ومدى تغير دلالاتها عبر الزمان والمكان، ومدى تأثر اتجاهاتها بالضغوط الخارجية والأزمات الداخلية... وغير ذلك. كما يخشى أن يؤدي استمرار وجود الصور النمطية لحضارة عند أخرى إلى تغذية ضروب الكراهية الجماعية خاصة في المجتمعات التي تنتشر فيها الجهالة والتعصب والخرافات، فيتحول الاختلاف إلى نزاع، وإذا نشب النزاع، فقد يتحول إلى عنف إذا لم يكن هناك حوار و(ثقافة حوار)، والتي تعلي من قيمة التسامح، وتحترم مبدأ كرامة الإنسان وحريته في الاختيار، وتقبل مبدأ التنوع والتعددية الحضارية بدلاً من فرض (النموذج) والهيمنة[٢].

---

[1] ذهنية الإرهاب..لماذا يقاتلون بموتهم؟- جان بودريار وآخرون ترجمة: بسام حجار-الناشر: الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي

[2] حوار الحضارات..لماذا؟ يوسف الحسن- الموسوعة الاسلامية http://www.balagh.com/mosoa/garb/cx01bsu0.htm

فلا يكاد يمر يوم إلا تحمل لنا الأحداث الجارية في الساحة الدولية نذر صدام ديني وحضاري بين ما يدعى بالثقافة اليهودية المسيحية الغربية، والثقافة العربية الإسلامية. فنقاط التماس كثيرة، إلى درجة أن هانتغتون قال بأن حدود الإسلام المختلفة (دامية). فمن هذه الساحات: المعترك الفلسطيني حيث الصراع العربي الصهيوني يقدم خطأ في الإعلام الغربي و كأنه صراع بين اليهودية والإسلام. ومن هذه الساحات الحروب الأهلية في السودان وفي بعض مناطق إفريقيا مثل ساحل العاج وإرتريا ونيجيريا. حيث تطرح العلاقة بين الديانتين المسلمة والمسيحية إشكالات حادة. و بعد أحداث ١١ سبتمبر، نشطت بعض المجموعات المتطرفة في الولايات المتحدة الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين رابطة خطأ بين الإسلام والإرهاب، من منظور كون الإسلام يدعو للتعصب والكراهية والعنف. وفي منطقتنا كررت بعض الأصوات المتشددة مقولات مماثلة، ومعتبرة إختلال الموازين في التعامل مع القضايا العربية والإسلامية العادلة عدوانا وحربا ضد الإسلام.

إن هذا الوضع المتأزم الذي تدفعه التيارات المتطرفة من الجانبين للإنفجار، يستدعي من العقلاء المنصفين من الديانات السماوية الثلاث الوقوف بحزم ضد الغلو والتشدد والإرهاب، بتوظيف قيم السلم والتسامح التي تزخر به النصوص المقدسة[1]. ولهذا دعي الكثيرون أنه حيال هذا العالم المعقد المتشابك المهدد، لابد من حوار يكفل اجتماع الفرقاء والشركاء، ويضمن احتواء ما أمكن من أزمات وكدمات تبدأ صغيرة أو وطنية وتتدرج لتطال أمداً بعيداً[2]. فلم يعد بالإمكان – في هذا العصر – تقوقع الذات عن الآخر، إذ أصبح تشابك العلاقات الإنسانية، وما تواجهه من تحديات تجاه قضايا مشتركة، يفرض على الذات ان تدخل في الحوار، من أجل المصلحة العامة التي تجمع بين البشر، بطريقة وبأخرى، وهذا الواقع يؤكد ان مسألة الحوار بين الأديان والحضارات ترقى الى مستوى الضرورة التي ينبغي ان تقابل بالجدية

---

[1] الحوار الإسلامي مع الأديان التوحيدية الأخرى: الخلفيات و الآفاق - عبد الملك منصور حسن المصعبي **http://www.science-islam.net/article.php3?id_article=690&lang=ar**

[2] حوار الحضارات والثقافات: رؤية في حوار الحضارات وصراع الأمم- بقلم الحسين ولد مدو- **http://www.akhbarnouakchott.com**

اللازمة. وهنا يجب ان نشير الى ان رسالة الاسلام ومبادئه لا يمكن ابدا ان تدعو الى الصدام والصراع مع الحضارات والديانات الاخرى، والاسلام الحقيقي هو اسلام المحبة والسلام والاخاء واحترام الآخر ونبد العنف والتطرف، والدفاع عن القيم النبيلة واحترام حقوق الانسان وتحقيق العدالة والقضاء على الفقر والنفتاح على كل الحضارات الانسانية [١].

أهمية الحوار

مما تقدم يتضح لنا اهمية الحوار مع الآخر والذي جعله ديننا الاسلام طريقاً للدعوه ومخاطبه الآخرين للوصول الى الحقيقة. ولعل حضارتنا العربية والإسلامية هي (الأعلى) صوتاً وفعلاً في رسالتها (الحوارية) خاصة وهي تولي منزلة عليا للعقل والعلم والحرية، وتدعو البشرية للتعارف والتفاهم: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم). وهذه هي رسالة الحضارة[٢]. وبالتأكيد فإن التعارف لا يتم الا من خلال الحوار الجاد والبناء الذى يعرض الحق بجلاء ويقدر ويحترم آراء ومواقف الآخرين.

لقد كان الحوار قبل الإسلام كما في الحضارة والفلسفة اليونانية فناً قائماً بذاته، فالمحاورة تحدد موضوعاً للدراسة، وليس القصد منها الخروج بنتيجة بصدد المشكلات المعروضة بقدر ما تجعلنا أقدر على الجدل في كل الموضوعات، فهدف المحاورات لم يكن إمداد الناس بالمعلومات والمعارف، بل تقديم مساعدة على التدريب على فنون الجدل. أما الهدف الأساسي للحوار في الإسلام فهو وصول الناس إلى الحق بالطريقة التي تعمق الإيمان في نفوسهم، فالإسلام ينطلق في فهمه للحوار من فكرة أن الله فطر الإنسان على الجدل (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) ليواجه الحياة بكل ما فيها من أوضاع وملابسات وأفكار بعقلية منفتحة قلقة لا تستقر على حال، وهذا ما يجعله في بحث دائم مستمر عن الحق والأفضل والأكثر صواباً، فثمة ما هو صواب وما هو أكثر صواباً، والشك هو طريق اليقين أو إثبات اليقين

---

[1] مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات الى انسنة الحضارة وثقافة السلام – د. محمد سعدي – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ٢٠٠٦- ص ٣٦٨

[2] حوار الحضارات .. لماذا؟ بقلم يوسف الحسن

ورسوخه. وترى الإنسان لا يستقر على حال فتراه يفتش عن الشيء وضده، عن الحق والباطل، فلا يتيقن إلا ليتململ في رحلة جديدة من الشك، ولا يشك إلا ليبدأ رحلته الطويلة نحو اليقين. وقد رأينا في علاقات الدول والأفراد اضطراباً حين يفشل الحوار أو يفتقد، فقتل قابيل أخاه هابيل عندما فشل الحوار بينهما، ولكن يبقى العقل هو القوة الصالحة للحكم على الأشياء وميزانا يزن به صحة القضايا وفسادها، حتى في يوم القيامة لا يقف الإنسان مكتوف اليدين أمام مصيره بل يترك له مجال الدخول في حوار وجدال يدافع به عن نفسه على أساس العدالة التي تحترم في الإنسان حقه الطبيعي في الدفاع عن نفسه حتى أمام اللّه الذي يعلم كل شيء[١].

ومن هنا فإن اهمية الحوار تكمن أنه يمكن أن يكون أساساً لتجتمع الإنسانية حوله، وعلى الإنسان الاطلاع على أفكار الآخرين، ففي ذلك فهم لفكر الآخر. فالحوار في هذا السياق هو أحد الأفكار والحلول المهمة للخروج من مأزق العنف والتطرف. ففي مقابل الغياب الكبير المفزع للحوار في حياتنا وعلاقاتنا وعملنا، هناك حضور كبير للحوار في القرآن الكريم ومقاصد الشريعة الإسلامية، حتى يكاد يكون قضية أساسية، فنجد في القرآن الكريم مواضع لا تعد ولا تحصى للحوار، الحوار بين اللّه والملائكة، (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) والحوار بين اللّه وإبليس، والحوار بين اللّه والأنبياء، وحوار الأنبياء مع قومهم، وحوار الأنبياء والصالحين مع أنفسهم. ونجد في القرآن دعوة إلى الحوار في العلم والدعوة والحياة، (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن).[٢].

والحوار بهذا المعنى ليس فقط لتوضيح القضايا التي يختلف عليها، ولكنه يقرب الناس بعضهم من بعض، ويخلق حركة فكرية ومجتمعاً متعلماً متحركاً. وغياب الحوار في المجتمع يجعله مجتمع قهر وعنف، وغيابه في علاقات الأفراد يجعلهم جزراً معزولة بعضها عن بعض، ويحول همومهم إلى الغرق في الذات والدوران حولها، حتى درجة المرض والهوس. وغياب الحوار بين الدول يعطل مصالحها ويضر بشعوبها ويجعلها تتحمل جهوداً وتكاليف زائدة يمكن الاستغناء عنها وتوفيرها أو

---

[1] المدنس والمقدس.. أميركا وراية الإرهاب الدولي-المؤلف :السيد محمد حسين فضل الله- عرض/إبراهيم غرايبة- الجزيرة نت

[2] الحوار الإسلامي مع الأديان التوحيدية الأخرى: الخلفيات و الآفاق - عبد الملك منصور حسن المصعبي.

استخدامها في المصالح والاحتياجات. ويمكن أن نجعل الحوار منهجاً للتربية، وتكوين القناعات، وأسلوب الحركة الفكرية في التنشئة، وتهيئة الروح الموضوعية في مواجهة مسائل الخلاف، وفي تقبل الفكرة المضادة بطريقة عقلانية واقعية. فموضوع الحوار يرتبط بالتكوين الداخلي لشخصية الإنسان المسلم الذي يريد له الإسلام أن يفكر كيف يتعلم ويدعو الناس ويفتح قلوبهم وعقولهم على الحق والصواب، ولا بد من الحوار حتى تستمر الحياة في حالة الضعف أو القوة، وفي حالة الحرب أو السلم، فلا أحد يستطيع أن يستغني عنه مهما علا شأنه أو كانت قوته، فرداً كان أو مجموعة أو مجتمعاً أو دولة[١].

فالعالم المعاصر الذي يتسم بالتونع والتعددية، والذي يرتبط ببعض عبر آلاف من اقنية الاتصال، سيطرح أمام الوعي الديني حتماً مشكلات العلمنة وحوار الاديان . وهو ما اكده احد العلماء المسلمين، حيث قال: "ان قوة الاتصالات بالعالم المعاصر، ستفتح آفاقاً وإمكانيات عريضة لإدراك التقاليد الدينية المغايرة، الأمر الذي يجعل حوار الاسلام الجدي مع الديانات الأخرى في منتهى الأهمية والضرورة . ولهذا فإن مفكري الشرق الدينيين الأكثر عمقاً واطلاعاً يدركون بصورة أكبر فأكبر، ان بلوغ تدين أكثر ملاءمة واتستقاً مع الظروف العصرية الراهنة، يمكن ان يحدث فقط في شروط تؤمن التحرر من الكراهية الطائفية والشعور بالتفوق والتميز"[٢].

وبهذا تكون قضية الحوار هي إحدى الهموم الكبيرة للعاملين في الدعوة والتربية والتعليم والإعلام والسياسة والدبلوماسية والتجارة والتسويق، وتتزايد الحاجة إليه كأساس للثقافة والعمل والتعليم والعلاقات والتنظيم. ونلاحظ على سبيل المثال ازدهار البرامج الحوارية مع تنامي الفضائيات والإنترنت، حتى يكاد يكون الحوار هو السمة الأساسية للفضائيات والإنترنت، وتعتمد عليه تماماً مؤسسات التعليم عن بعد والتعليم المستمر، فمن دونه تفقد هذه البرامج جوهرها وجدواها[٣].

---

[1] المدنس والمقدس.. أميركا وراية الإرهاب الدولي-المؤلف :السيد محمد حسين فضل الله- عرض/إبراهيم غرايبة- الجزيرة نت

[2] الاسلام والمسيحية من التنافس والتصادم الى الحوار والتفاهم- تأليف اليكسي جورافسكي – ترجمة د. خلف محمد الجراد – ص٢١٢- دار الفكر المعاصر – ط٢ ٢٠٠٠

[3] المدنس والمقدس.. أميركا وراية الإرهاب الدولي-المؤلف :السيد محمد حسين فضل الله- عرض/إبراهيم غرايبة- الجزيرة نت

ورغم بلوغ الحضارة الإسلامية في العصر العباسي ذروتها وقيادتها للعالم في العصر الوسيط آنذاك، فقد تعايشت مع الحضارات الأخرى في وئام وانسجام. ومن هنا فإن الحوار الحضاري كما يعرضه الاسلام لا يعد استجابة لظرفية زمنية خاصة، بل هو مشروع يتميز بالشمولية والاستمرارية ينبع من مبدأ جعل سعادة الإنسان غاية ذلك الحوار، أي أنه يقوم على مبدأ تحقيق إنسانية الإنسان، فالإنسان هو كائن حساس، فريد متميز واسع الدوائر الوجودية، ذو خصائص عقلية وروحية وأخلاقية شاملة، فضلا عن أنه خليفة الله في الأرض.

ومن خلال معاصرته لتجربة تاريخية مرة تسبب فيها الاستعمار بكوارث ومآس حلت بالإنسانية، وقسمت الشعوب وفرقتها إلى عرقيات وطوائف متنافرة طرح المفكر الاسلامي (سعيد النورسي) في رسائله (رسائل النور) مفهوماً بديلاً موضوعياً لفكرة صدام الحضارات من خلال طرح مبدأ (التكامل) بدل (الصراع)، و(التعايش) بدل (الإقصاء)، شريطة أن يقوم الحوار بين الحضارات على قدم المساواة وعلى احترام تعدد الثقافات، وبحيث لا ينحصر في مجرد حوارات كلامية بين الناس، بل يكون فلسفة نابعة من جوهر الإيمان، إيمان الإنسان بأن الله خلق البشرية لحكمة وغاية محددة تتمثل في التآلف والتساكن لتحقيق أمر رباني وهو تعميم الخير ودفع الشر. فالحوار ليس وسيلة لحل النزاعات الدولية وحسب، بل هو أسلوب للتعارف والتعايش والتكافل بين الشعوب من أجل تحسين ظروف البشرية وهو ما يسميه النورسي (مسلك الخلة والأخوة)[1] او بعبارات (د. محمد عابد الجابري) (ثقافة السلام) والذي يدعو "الى بناء تصور مشترك لها من خلال اهتمام الحوار بين الاديان بموضوع الضرورات الخمس ذلك لأن هذه الضروريات، أعني حفظ النفس والعقل والنسل والمال والدين هي أساس كل سلام وبدونها لا يتحقق السلام، لا السلام مع النفس ولا السلام مع الجار ولا السلام بين الأمم. وفي هذا الصدد أرى أنه بالإمكان تأسيس

---

[1] بين أخلاقيات العرب وذهنيات الغرب- إبراهيم القادري بوتشيش- عرض/إبراهيم غرايبة- رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة-ط.١ ٢٠٠٥ – الجزيره نت- حوار الحضارات من خلال رسائل بديع الزمان النورسي

رؤية جديدة سلمية وسليمة للمشاكل والتحديات التي يواجهها الضمير الديني والأخلاقي في عصرنا"[١].

إن الإسلام هو دون شك دين قائم على الحوار بمعانيه المختلفة، ومستوياته المتباينة المتعددة. فهو بداية حوار بين الله جل جلاله والإنسان، لإقناعه بالإستجابة لنداء الوحي والهداية. فليس الإيمان إنصياعاً بالإكراه بل نتيجة إقتناع بآيات التنزيل التي توجه نظر الإنسان إلى أدلة الخلق وعبر التاريخ وحالات النفس الإنسانية. وهو حوار مع المشرك الذي يؤمن بتعدد الآلهة وعبادة الأصنام لإقناعه عقلياً وشعورياً بمبدأ التوحيد والتنزيه المطلق للذات الإلهية. وهو حوار مع الدهري الملحد الذي لا يؤمن بدين ولا معاد ولا رسالة لإستمالته لطمأنينة اليقين ونور النبوة وبراهين التوحيد. وهو حوار من داخل الدائرة الإبراهيمية مع أهل الكتاب الذين يشكل إمتدادا لهم و ختماً لرسالتهم التي تمهد له وتؤكده و تدل عليه[٢].

علاقة المسلم بالآخر عموما

لما كان الاسلام ديناً عالمياً وخاتم الأديان، فإنه في روح دعوته وجوهر رسالته لا يرمي إلى تسنم (المركزية الدينية) التي تجبر العالم على التمسك بدين واحد، إنه ينكر هذا القسر عندما يرى في تعددية الشرائع الدينية سنة من سنن الله تعالى في الكون، لان دعوة الاسلام إلى التفاعل مع باقي الديانات والحضارات تتبع من رؤيته إلى التعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالاتهم السماوية، فعقيدة المسلم لا تكتمل إلا إذا آمن بالرسل جميعاً، بيد أنه لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الانساني الذي جعله الاسلام أساساً راسخاً لعلاقة المسلم مع غير المسلم، على أنه انفلات أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر هذا الدين. فهذا التسامح لا يلغي الفارق والاختلاف، ولكنه يؤسس للعلاقات الانسانية التي يريد الاسلام أن تسود حياة الناس. فالتأكيد على الخصوصيات العقائدية والحضارية

---

[1] الحوار بين الديانات: قيم ثقافة السلام -١- محمد عابد الجابري - http://www.aljabriabed.net/pape16.htm

[2] الحوار الإسلامي مع الأديان التوحيدية الأخرى: الخلفيات و الآفاق - عبد الملك منصور حسن المصعبي.

والثقافية، لا سبيل إلى إلغائه، ولكن الاسلام لا يريد لهذه الخصوصيات أن تمنع التفاعل الحضاري بين الأمم والشعوب والتعاون فيما بينها[1].

ومن ينظر إلى العقيدة الإسلامية يجد أنها عقيدة تتسع لجميع الناس لا تريد أن تلغي الآخر بل هي تعترف أن هناك آخر، هناك مَن يخالفها في العقيدة وهناك مَن يخالفها في الشريعة وهناك مَن يخالفها في السياسة وهناك ... ولكن أهم الخلافات هي الخلافات العقائدية والقرآن قرر أن هذا الاختلاف واقع بمشيئة الله، ومشيئة الله لا تنفصل عن حكمته، أي الحكمة الإلهية والمشيئة الإلهية اقتضتا أن يكون الناس مختلفين في الدين، لأن الله سبحانه وتعالى لو أراد الناس أن يكونوا على دين واحد وعلى نهج واحد لخلق الإنسان على غير هذه الصورة. ومادام لكل إنسان عقله وإرادته فلابد أن يتغير الناس في اتجاهاتهم الدينية وغير الدينية وهذا ما يقرره القرآن بوضوح حيث يقول الله تعالى (ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً) أي على دين واحد وعلى منهج واحد (ولا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ {مختلفين} إلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ولِذَلِكَ خَلَقَهُمْ). المفسرون يقولون ولذلك أي وللاختلاف خلقهم.. خلقهم ذوي عقول مختلفة وإرادات مختلفة وملكات مختلفة ولهذا لابد أن تتغير أديانهم وتختلف فهذا واقع ولذلك خلقهم. ولذلك مَن يريد أن يلغي الآخرين ويريد أن يجمع الناس على دين واحد أو على نهج واحد هذا يخالف المشيئة الإلهية.

فالتنوع مطلوب حسب نص القرآن الكريم، وهو من آيات الخلق السامية، كما في قوله تعالى: (ومن آياته خلق السماوات والأرض وإختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين). فليس من هدف الإسلام حمل الناس على ملة واحدة أو عقيدة مشتركة، بل إن إختلافهم مطلوب مقصود (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة و لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك و لذلك خلقهم). ويبين القرآن الكريم الحكمة من الإختلاف بأنها (التعارف) و (التعاون على البر و التقوى) و (التسابق إلى الخير)، بما فصلته الآية الكريمة: (ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا و لو شاء الله

---

[1] الاسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري—حسن عزوزي- **http://www.scienceislam.net/article.php3?id_article=567&lang=ar**

لجعلكم أمة واحدة و لكن ليبلوكم في ما أتاكم فأستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون). ولهذا السبب أعلن الإسلام حرية العقيدة ونبذ الإكراه في الدين و وضع ضوابط دقيقة لتعميق خط التفاعل و التعارف بين بني البشر الذين يتفقون في أصولهم و عمود نسبهم (كلكم لآدم و آدم من تراب)، كما يتفقون في قدراتهم المعرفية و العقلية و الروحية، و لا يتمايزون إلا بسلوكهم الأخلاقي و ميزاتهم الروحية المكتسبة المتاحة لجميع الناس[1].

فالإسلام يعترف بالآخر ويقيم العلاقات مع الأخر على أسس ثابتة حتى وهو يعترف بأن الآخرين كفار. وهنا الإسلام يقيم أشياء أساسية في فكر الإنسان وفي نفسيته تنشأ ما نسميه التسامح، التسامح الديني من خلال:

أولا: اعتقاده أن هذا الاختلاف واقع بمشيئة الله وهذا يريح الإنسان.

ثانياً: أنه إذا كان هناك مهتدى وهناك ضال وهناك مؤمن وهناك كافر وهناك بار وهناك فاجر فحساب هؤلاء الناس ليس للإنسان ولكنه إلى الله عز وجل وليس في هذه الدنيا ولكن في يوم الحساب، الله سيفصل بين هؤلاء ويقول القرآن} إنَّ الَذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ} {اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ { }اللَّهُ رَبُّنَا ورَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا ولَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وإلَيْهِ المَصِيرُ { هذا أمر آخر يريح الإنسان مع الذين يختلفون معه.

ثالثاً: أن الإسلام يكرم الإنسان من حيث هو إنسان بغض النظر عن جنسه أو دينه أو لونه أو لغته أو إقليمه أو طبقته} وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ {ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام كما روي البخاري ومسلم أنهم مروا عليه بجنازة فقام الرسول عليه الصلاة والسلام لها واقفا احتراما للميت فقالوا يا رسول الله إنها جنازة يهودي . فقال أليست نفس. فما أروع الموقف وما أروع التعليل نفسه "أليست نفس".

رابعاً: الإسلام يقيم العلاقة بين الناس جميعا على أساس العدل، عدل الله لجميع خلق الله يهودي نصراني مجوسي وثني } ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى ألاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى {الشنآن شدة البغض سواء شدة بغضهم لكم أو

[1] الحوار الإسلامي مع الأديان التوحيدية الأخرى: الخلفيات و الآفاق - عبد الملك منصور حسن المصعبي .

بغضكم لهم لا يمنع هذا أنك تحكم بالعدل فالعدل مطلوب، والقرآن أنزل الله فيه تسع آيات من سورة النساء تدافع عن يهودي أُتهم ظلما، حيث ان احد المسلمين سرق ولكن اهله وقبيلته أرادوا أن يلصقوا التهمة بأحد اليهود، وذهبوا الى النبي يعرضون حجتهم حيث كاد النبي عليه الصلاة والسلام ان يصدقهم ويدافع عن هذا المسلم ويتهم هذا اليهودي، وهنا نزل القرآن يبرئ اليهودي ويعاتب النبي عليه الصلاة والسلام أنه هم بتصديق هؤلاء ويقول الله تعالى في هذه الآيات} إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ولا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً، واسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً، ولا تُجَادِلْ عَنِ الَذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ {لا تحامي عنهم} ولا تُجَادِلْ عَنِ الَذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً {إلى آخر الآيات التسع في الدفاع عن هذا اليهودي[١].

ومما تقدم يتضح لنا ان بنية الإسلام في الأصل بنية حوارية يشكل فيها "الاعتراف بالآخر" أولى مميزاتها بل أساساً يتنزل فيها منزلة "العقيدة". ذلك أن القرآن لم يثبت شرعية وجوده ويدافع عن اختياراته وبدائله إلا عبر أخلاقيات الحوار والنقاش، بل ربما انفرد القرآن، من بين نصوص الأديان الكتابية الأخرى، بذلك الحرص القوي الذي يطبع جل آياته، على محاولة طرح اختياراته الإصلاحية عبر أسلوب الجدال والحوار ومحاولة البرهان والتدليل على اختياراته وبدائله وإقناع مخالفيه بها... وما هو أهم في كل هذا "اعترافه" الضمني والصريح بذلك التراكم المعرفي والأخلاقي الذي يمثله تاريخ الديانات الكتابية وسيرها الحثيث نحو الإصلاح والتصحيح والكمال العقائدي والأخلاقي، الأمر الذي اقتضى من الإسلام، قرآنا وسنة، ضرورة الاعتراف ب"الآخر" باعتباره مساهما فعالا في ذلك التطور الفكري والأخلاقي القابل دوما للإصلاح و"التتميم". من ثم جاءت تلك التأكيدات المتتالية في القرآن تذكر المؤمنين به قبل غيرهم، أنهم يمثلون حلقة من سلسلة من تلك "الحنيفية" التي يعتبر إبراهيم الخليل عليه السلام واسطة عقدها، ولبنة أساسية فيها. وحيث ذلك، أُمر المسلمون في تعاملهم مع "أهل الكتاب"، ورغم الخلافات الواردة، ان

---

[1] علاقة المسلمين باليهود - الشيخ يوسف القرضاوي – برامج الشريعة والحياة – تقديم خذيجه بنت قنه - تاريخ النشر: الأربعاء ١٧ يناير ٢٠٠٧ قناة الجزيرة

يبادروا إلى الاعتراف بهم، وأن يكونوا متسامحين معهم وأكثر تفتحاً وأبعد عن التعصب، وأن يقولوا: "آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيؤون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون"[1].

الحوار بين الأديان

مثل الحوار قاعدة أساسية ومنهجية من قواعد الدعوة الإسلامية، التي يعود تاريخها إلى اللحظة الأولى لانطلاق رسالة الإسلام، وقد تم بناء هذه القاعدة وتأصيلها بدءاً بقوله سبحانه "إقرأ باسم ربك الذي خلق" ومروراً بقوله : إدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" وانتهاءً بقوله سبحانه سبحانه (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله).

وقد سجل القرآن الكريم، وسجلت السنة النبوية نماذج الحوار بمختلف مستوياته وأساليبه ليعلم الناس جميعاً بأن هذا الدين إنما تبنى دعوته على الاقتناع والبينة والحجة العقلية ولا مجال فيه- أبداً- للإكراه على الإيمان به أو الدعوة إليه "لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي". وإذا كان الحوار ضرورياً في مرحلة الدعوة المكية والمدنية وما تلاهما فهو اليوم أشد ضرورة وأكثر أهمية في ظل ثورة الاتصالات الحديثة التي تبث عبر أجواء من التوتر، وافتعال الصراع ونشر ثقافة القوة.

لهذا فقد أولى الرسول (ص) منذ بداية الدعوة الإسلامية اهتماماً خاصاً بأهل الكتاب والحوار معهم ودعوتهم للإسلام، وذلك لأنهم أصحاب ديانات سماوية سابقة جاء الإسلام ليرث أهم ما فيها وليضيف إليها ما تحتاجه البشرية في مسيرتها إلى يوم الدين، يقول الله تعالى: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى" (سورة الشورى : الآية ١٣) واهتمام الرسول (ص) بدعوة أهل الكتاب، كان لاعتقاده بأنهم سيكونون أول من سيؤمن به وبدعوته

---

1 أية قيم دينية لحضارة إنسانية ؟ - د. عبد المجيد الصغيّر- http://www.qatar-conferences.org/dialogue/article2.do

بسبب التشابه الكبير بين ما جاء به الإسلام وبين ما هو موجود في كتبهم .. هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا ينتظرون ظهور نبي في بلاد العرب كما جاء في البشارات الموجودة في كتبهم.

ولذلك كان الرسول الكريم يرغب في أن يكون اهل الكتاب عوناً له في استئصال الشرك والكفر من الجزيرة العربية أولاً ثم نشر الدعوى للعالمين .

وقد جاءت اولى بوادر ذلك الموقف من النجاشي ملك الحبشة الذي احتضن المسلمين وأمنهم من غدر واضطهاد قريش حتى اشتد عودهم وعادوا الى مكه ليستمروا في دعوتهم .

حيث تطلع الرسول الكريم الى موقف اقوى من اهل الكتاب من الدين الجديد فاسلم قليل منهم وبقى جزء كبير على دينهم ودخل الرسول معهم فى حوارات ومجادلات كثيرة ، فرد عليهم القرآن وعلم النبي كيف يجادلهم بالتي هي أحسن بأسلوب منطقي يقدم الحق جلياً من غير التعرض لشخصيات الأنبياء ولا لرسالتهم[١]، حيث نهى القرآن عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن في قوله تعالى:"ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون" (سورة العنكبوت : الآية ٤٦) ففي قوله تعالى لا تجادلوا نهي عن مبادئتهم بالجدال في نصوص وطقوس دينهم وفي قوله إلا بالتي هي أحسن استثناء يجيز الرد عليهم إذا بدءونا بالجدال، فليكن الرد عليهم بالتي هي أحسن حتى لا نتعرض لنبيهم ولا لكتابهم[٢] ومن التي هي أحسن، ذكر مواضع الاتفاق بين المتجادلين والانطلاق منها إلى مواضع الخلاف، أما مواضع الاختلاف، فالحكم فيها إلى الله يوم القيامة، يقول تعالى: "وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون" (سورة الحج : الآية ٦٨).

---

[١] آدم عبد الله الألورى : تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم - ص ٢٤٧

[٢] المصدر السابق : ص ١٣٥

وقد سار النبي (ص) على خطى التوجيهات القرآنية في دعوته ومجادلته لأهل الكتاب، فدخل معهم في مجادلات ومناقشات عديدة رواها القرآن والسنة النبوية المطهرة. فقد جرت مناقشات كثيرة بين الرسول (ص) وبين اليهود حول الكتب المقدسة وكان محسور بن سبحان هو المتحدث باسم اليهود. فقال للرسول ما دليلك على أن القرآن من عند الله، فنزل قوله تعالى : "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" (سورة النساء : الآية ٨٢) وناقشهم الرسول في أمور كثيرة أخرى، مثل ادعائهم بأنهم الأخيار وأنهم بمنجاة عن النار، وفي مجادلات أخرى، أجرى مقارنة بين كتبهم المحرفة وبين القرآن، وأيدته آيات القرآن وسجلت هذه المحاورات والمجادلات، ومن ذلك قوله تعالى: "من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولوا سمعنا وعصينا" (سورة النساء : الآية ٤٦) ، "يحرفون الكلام عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به" (سورة المائدة : الآية ١٣). وقد دخل كثير من اليهود في الإسلام بعد هذه المجادلات والمحاورات مثل عبد الله بن سلام وثعلبة بن أسيد وأسيد بن عبيد وغيرهم.

كما جرت مناقشات وحوارات بين الرسول (ص) وبين النصارى سجلها القرآن الكريم وعلم الرسول كيف يرد عليهم، فمن المعروف أن النصارى يدعون أن عيسى عليه السلام لا يناظره شخص آخر لكونه وجد من غير أب، وبالغوا في هذا الادعاء حتى أنكروا نبوة محمد ص وتمسكوا بنبوة عيسى ووصلوا به إلى الألوهية، فرد الله عليهم بقوله: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" (سورة آل عمران : الآية ٥٩). وجرت مناقشات ومجادلات بين الرسول (ص) ونصارى نجران حيث ذكر هؤلاء أن المسيح إله لأنه أحيا الموتى وأبرأ المرضى، فقال لهم الرسول ص إن ذلك كان بعون الله وتلا عليهم قوله تعالى: "ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم، أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، وأبرئ الأكمة والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله" (سورة آل عمران : الآية ٤٩). وسأل واحداً منهم الرسول (ص) قائلا: أتريدنا يا محمد أن نعبدك كما نعبد عيسى؟ فقال لهم الرسول (ص) : معاذ الله أن نعبد غير الله ولست إلا عبد الله، ونزل قوله تعالى " وما كان لبشر أن يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول

للناس كونوا عباداً لـي مـن دون الله " (سـورة آل عمـران : الآيـة ٧٩) وعلـى أثـر هـذه المجادلات والمناقشات أسلم نفر من النصارى.

وهكذا لاحظنـا كيـف أن الرسـول (ص) كـان يجـادل ويحـاور أهـل الكتـاب بلـين ورفق وبالتي هي أحسن لكي لا يتعرض أو يسيء إلـى أنبيـائهم وكتـبهم، التـي جعـل الإسلام الإيمان بها أصل من أصول الإيمـان والعقيـدة، بـل انـه سـمح لوفـد النصـارى القادم من نجران لزيارته بالإقامة في مسجد المدينة المنـورة. وفـي المسـاء، وعنـدما رغب النصارى بأداء صلاتهم، سمح لهم النبـيّ بـذلك. وقـد سـار المسـلمون فـي أيـام الرسول ص وفيما بعد على هدي هذا الطريق السليم في حوارهم ومجـادلتهم لأهـل الكتاب، مما أدى إلى ظهور علم جديد لدى المسـلمين هـو علـم مقارنـة الأديـان. هـذا العلم الذي يعد من مفاخر المسلمين، لأنه من الطبيعـي أن لا يظهـر هـذا العلـم قبـل الإسلام لأن الأديان قبل الإسلام لم يعترف أي منها بالآخر، وكان كل دين يعد ماعداه من الأديان هرطقة وضلالاً، فجاء الإسلام وكـان موقفـه مـن الأديـان الأخـرى ينضـوي تحت اتجاهين :

فمن الناحية النظرية يعلن الإسلام أنه الحلقة الأخيرة من سلسلة الأديان وأنه بالتالي ورث أهم ما في الأديان من حسنات وأضاف إلى ذلك مـا تحتاجـه البشـرية فـي مسيرتها إلى يوم الدين، أما من الناحيـة الواقعيـة فيعتـرف الإسـلام بـالوجود الفعلـي لجماعـات غيـر مسـلمة ويتحـدث عـن أهـل الكتـاب وأهـل الذمـة ويـنظم حقـوقهم وواجباتهم[١]. ومن هنا كان اهتمام المسلمين بهذا العلم، فألفوا فيه الكثير من الكتـب التي تبين عظمة الإسلام وفساد العقائد الأخرى وما دخل عليها مـن تحريـف وتوضـح ايضـاً ان الاسـلام جـاء ليكمـل الـدين للعـالمين ويعيـد اصـحاب الـديانات الاخـرى الـى الطريق القويم الذى ضلوا عنه مع الـزمن. وقـد كانـت الوسـيلة لـذلك هـي كمـا فعـل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق اظهار نقـاط الاتفـاق بـين الاسـلام وهـذه الـديانات وتوضـيح ان المسـلمون يؤمنـون بهـذه الـديانات ورسـلها ويعظمـونهم ويجلونهم، وان الاسلام جاء ليكمـل هـذه الـديانات. ويجـب أن نشـير هنـا إلـى أن هـذا العلم لم يكن لدى المسلمين وسيلة للحط والاستهزاء بالأديـان الأخـرى، بـل أنـه كـان

---

[١] د. أحمد شلبى : مقارنة الأديان - ج ١ - ص ٤٥

دراسة وصفية علمية تؤدي إلى نتائجها الطبيعية عن طريق الحجة التي تخاطب العقل بهدوء وموضوعية من غير تعصب أو جحود[١]؟

ويعد النوبختي أول من ألف في هذا العلم في كتابه «الآراء والديانات»، كما كتب المسعودي كتابه عن الديانات، ثم جاء المسبحي وألف كتابه «درك البغية في وصف الأديان والعبادات». ثم ازداد التأليف في هذا العلم بعد ذلك، وظهرت الكتب التي كتبت عن الملل والنحل مثل كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني، «والفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم الأندلسي، وكتاب «الفرق بين الفرق» للبغدادي[٢]، وألف الأمام الغزالي كتابه «الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل» ويكشف عنوانه عن موضوعه بجلاء، فالغزالي يرد فيه رداً جميلاً موضوعياً على قول النصارى بألوهية عيسى عليه السلام، وقد اعتمد في رده هذا على ما جاء في الإنجيل الذي في أيدي النصارى والذي يقدسونه ويجعلونه كتاب دينهم وحجتهم [٣] كما أن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية كتب موسوعته الضخمة التي أطلق عليها «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، وجاء تلميذه ابن القيم الجوزيه ليضع كتابه «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى». كما انه نتيجه للتسامح الديني في الاندلس فقد دخلت بعض الشخصيات الأوربية في حوار جدي مع فقهاء مسلمين، حيث كانوا جميعا على علم أنهم يعبدون إلها واحدا، وهو إله إبراهيم ويعقوب وإسحق. ولقد نشر مجلد جديد يحتوي على تسعة مقالات تتناول الحوار الديني في العصور الوسطى وكانت بؤرة موضوع البحث منطقة شبه جزيرة أسبانيا والبرتغال، وقد نقلت مأثورات واقعية من فرنسا عن هذا الحوار الفكري، منها: أن بطرس آبيللار كتب مقالا على شكل حوار بين الأديان، وأن بطرس فينيرابلس كلف العلماء الأسبان بمهمة ترجمة القرآن[٤].

وهكذا نلاحظ إلى أي مدى اهتم المسلمون بهذا العلم واتخذوه وسيلة موضوعية مهذبة للحوار ولدعوة أهل الكتاب ومجادلتهم بالتي هي أحسن، وليبينوا

---

[١] آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - ج ١ - ص ٣٦٦

[٢] د. أحمد شلبى : مقارنة الأديان - ج ١ - ص ٢٧

[٣] الإمام أبو حامد الغزالى : الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل - دراسة وتحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوى

[4] "اليهود والمسيحيون والمسلمون وحوار الأديان في العصور الوسطى" - بقلم كريستيان هاوك - ترجمة عبد اللطيف شعيب - ق الطبع قنطرة ٢٠٠٥ ماتياس لوتس باخمان والكسندرا فيدورا: دارمشتات ٢٠٠٤.

لهم ما دخل دينهم من تحريف، وليؤكدوا ما جاء في القرآن والسنة حول ذلك. ولكن هذا العلم اختفى لفترة معينة في عصور الضعف الإسلامية ولكنه عاد مرة أخرى في عصرنا الحاضر، ومن الذين ألفوا في هذا العلم الدكتور أحمد شلبي في سلسلة مقارنة الأديان بالإضافة إلى بعض العلماء الآخرين الذين كتبوا كتب متنوعة عن الديانات الأخرى مثل كتاب «تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم» للأستاذ محمد عبد الله دروزة وكتاب «محاضرات في النصرانية» للشيخ محمد أبو زهرة، وكتاب «الديانات» لمحمد مظهر وكتاب «الإسلام دين العلم والمدنية » للإمام محمد عبده وغيرهم كثيرون.

وهكذا نرى أن دعوة أهل الكتاب ومجادلتهم والحوار معهم عبر التاريخ الإسلامي كانت تتم على أساس من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن بدون تحدي أو إثارة. فإذا كنا في عصرنا الحاضر جادين في دعوة أهل الكتاب ومجادلتهم، يجب علينا أن نضع نصب أعيننا ما جاء في القرآن الكريم من آيات حددت علاقتنا بأهل الكتاب وحددت طرق دعوتهم ومجادلتهم والحوار معهم. وهنا يقول الشيخ محمد الغزالي في تفسيره لقوله تعالى: "فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة يبننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير" (سورة الشورى : الآية ١٥) يقول: أن الأمر بالدعوة باقي إلى آخر الدهر لا يبطله شيء، وكذلك النهي عن أتباع الزائفين، ونحن المسلمين نحمل حقائق الوحي كله منذ بعث الله المرسلين، ونعلم أن أهل الكتاب نسوا كثيراً وتاهوا في طرق لا حصر لها، ومهمتنا أن نذكرهم بما نسوا، ونريهم الصراط المستقيم، ووسيلتنا الترفع والتسامح وعدم الانسياق وراء الشحناء والتذكير الدائم بأن المصير إلى الله[1].

فالداعية الذي يريد مثلاً أن يدعو أهل الكتاب ويجادلهم، يردهم إلى كتابهم الحق ويذكرهم بأقوال رسولهم ويوضح لهم أن الرسل كلهم أخوان اصطفاهم الله من خلقه وجعلهم سفراء بينه وبين عباده، ويدلل لهم على أن اللاحق منهم يقف على أثر السابق وأن الواجب على الناس جميعاً أن يؤمنوا بكل الرسل بلا استثناء لأن

---

[1] جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج - الشيخ محمد الغزالى - ص (٦٨-٦٩)

الله عز وجل هو الذي أرسلهم وهو الذي أمر بالإيمان بهم ١، قال تعالى : "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير " (سورة البقرة : الآية ٢٨٥) فإذا هم أجابوه شرح لهم العقيدة الصحيحة ثم ثنى بمبادئ الإسلام وفرائضه مبيناً أن الإسلام هو دين جميع البشر، قال تعالى : "ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" (سورة آل عمران : الآية ٨٥) أما إذا لم يجيبوه، فيكون قد أدى أمانة البلاغ، وأمرهم وحسابهم بعد ذلك إلى الله. وهكذا فإن علاقة المسلمين بأتباع الأديان الأخرى تدور على محور واحد، عرض مبادئ الإسلام بوضوح ورد الشبهات بأدب، وإعطاء فرصة للتأمل والحكم المتأني، فلا استعجال ولا استغلال، أنه البلاغ الخالي من الإكراه الذي يخلى بين كل امرئ وضميره فإن شاء أسلم وإن شاء بقي حيث هو وحسابه إلى الله.

فحوار الإسلام مع الديانتين اليهودية و المسيحية كما دشنه النبي، صلى الله عليه و سلم، و وضع أصوله ثم سار على هديه الكريم خلفاؤه الراشدون يرتكز على أربعة مبادئ أساسية هي: قبول الإختلاف و التنوع - عدم الإكراه على الدين التعاون على البر و التقوى -تحريم العدوان و تقييد الحرب أخلاقيا. حيث لا تزال هذه المبادئ تشكل خلفية ثمينة و صالحة لحوار مستقبلي ناجع و منفتح بين الديانات الثلاث[٢].

ويجب – قبل أن نخوض في التفاصيل – أن نثبت حقيقة مهمة، وهي أن المسلمين يؤمنون بكل الأنبياء ويعتبرون تراث الأنبياء تراثهم، ويعتبرون رسالتهم الإسلامية امتداداً لرسالات الأنبياء الذين جاءوا من قبلهم، وأن الدعوة التي دعا إليها الأنبياء هي نفس الدعوة التي دعا إليها محمد صلى الله عليه وسلم وبالتالي فإن رصيد تجربة الأنبياء في دعوتهم للحق وعبادة الله وحده لا تنفصم عن دعوة المسلمين ورصيد تجربتهم . وانظر إلى قوله سبحانه {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}، فهي رسالة التوحيد التي يدعو إليها كل رسول. وعندما كان يكذب أي قوم رسولهم فقد كان ذلك تكذيباً لجميع المرسلين، وتأمل

---

[١] أسس الدعوة وآداب الدعاة - د. محمد الوكيل- ص ٤٥

[2] الحوار الإسلامي مع الأديان التوحيدية الأخرى: الخلفيات و الآفاق - عبد الملك منصور حسن المصعبي .

قوله تعالى في {كذبت قوم نوح المرسلين}، {كذبت عاد المرسلين}، {كذبت ثمود المرسلين}، {كذبت قوم لوط المرسلين}، {كذب أصحاب الأيكة المرسلين}[١]. فقد اعتبر الإسلام أنبياء الماضي وعقلاءه وحكماءه أنبياءه وعقلاءه وحكماءه. وجعل من خير الماضي وصلاحه خيره وصلاحه. ووجد ذلك تعبيره المكثف في الحديث القائل بان خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام[٢].

اليهود والنصارى في القرآن والسنة

من الجلي أن القرآن الكريم عندما يتحدث عن اليهودية والمسيحية لا يتحدث عن ديانات غريبة، بل يعتبرها تعبيرات مختلفة عن نفس الدين الإلهي الذي هو الإسلام من حيث هو تسليم لله و توحيد له، و لذا أطلق صفة المسلم على النبي إبراهيم، عليه السلام، و إعتبر مختلف أنبياء التوحيد مسلمين. فالفرق بين الإسلام و الديانتين الإبراهيميتين الأخريتين لا يتعلق بطبيعة العقيدة أو القيم أو الرؤية، بل في بعض الجزئيات التي إقتضتها تحولات الزمن و إعتبارات التاريخ. فالإسلام هو دين إكتمال المسار الإبراهيمي، و بذا كان لا بد أن يتسم بالمرونة و الإنفتاح و اليسر ليستوعب إختلاف السياقات المكانية و الزمانية. فهو، لهذا السبب، دين يقوم على إحترام الإختلاف و التعددية و قبول حرية الرأي و العقيدة[٣]. وقد ورد في القرآن عدد كبير من الآيات التي تأمر المسلمين بمعاملة أهل الكتاب (النصارى واليهود) أحسن معاملة وكان عنوان التعاون معهم في المجتمع الاسلامي على اساس القاعدة العامة التي رآها الفقهاء : (لهم ما لنا ـ وعليهم ما علينا)[٤]. فقال الله تعالى في سورة الممتحنة، آية ٨ : "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين" . كما قال تعالى في

---

[1] تاريخ فلسطين قبل الإسلام -وقفات مع تاريخ صراع الحق والباطل على أرض فلسطين

[2] الصورة والمعنى في الصراع العربي – اليهودي- د. ميثم الجنابي - مجلة المؤتمر عدد ١١٧٤ – ١٤-آب-٢٠٠٦

http://www.inciraq.com/Al-Mutamar/2006/1101_1200/1174/060814_1174_5.htm

[3] الحوار الإسلامي مع الأديان التوحيدية الأخرى: الخلفيات و الآفاق - عبد الملك منصور حسن المصعبي .

[4] السيد سابق / فقه السنة ـ المجلد الثاني ، ص٦٢٢ ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٩ م

سورة العنكبوت آية ٤٦ : "ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم" .

فالنصوص الإسلامية إختطت إطارا دقيقا للتعامل مع أهل الكتاب أساسه البر و التودد لمن يسالم المسلمين و لا يعتدي عليهم : " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم إن تبروهم و تقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون "(سورة الممتحنة آيه ٨) . فالتمييز هنا واضح وصريح بين المعتدي و المحارب والمهادن المسالم، والأصل في علاقة المسلم بأخيه اليهودي والمسيحي هو التعاطف والتعاون، ويحذر القرآن الكريم من التعميم الخاطئ المتمثل في الحكم على أهل ديانة ما بسلوك بعض المنتمين إليها : " ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل و هم يسجدون. يؤمنون بالله و اليوم الآخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يسارعون في الخيرات و أولئك من الصالحين. و ما يفعلوا من خير فلن يكفروه و الله عليم بالمتقين " (سورة آل عمران) و قد طبّق الرسول، صلى الله عليه و سلم، و خلفاؤه الراشدون هذه التعاليم الربانية أحسن تطبيق، و تمثلوها في علاقاتهم بالأقوام والملل الذين تعاملوا معهم في مراحل تأسيس الدولة الإسلامية وخلال عهود توسعها[1].

وقد امتدح القرآن الصالحين من اهل الكتاب كما يمتدح غيرهم من المؤمنين فقال الله تعالى في سورة آل عمران آية ٧٥: "ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك" وقوله تعالى : "يسارعون في الخيرات و أولئك من الصالحين" .

ويبين لنا التاريخ أنه عندما بلغ نبأ موت النجاشي للرسول (ص) استدار إلى جمع المصلين وقال لهم: "لقد مات اليوم أحد الصالحين. إذاً، فانهضوا وصلّوا من أجل أخيكم"؛ ثم أمَّهم للصلاة. ويرى بعض المسلمين أن النجاشي قد اعتنق الإسلام سراً، إذ أنهم لا يستطيعون قبول فكرة صلاة النبي محمد على روح شخص غير مسلم، لكن الخبراء بتاريخ الإسلام يقولون أن النبي صلّى عليه لكونه مسيحياً صالحاً قام

[1] الحوار الإسلامي مع الأديان التوحيدية الأخرى: الخلفيات و الآفاق - عبد الملك منصور حسن المصعبي

أيضاً بحماية مريديه من الاضطهاد على أيدي القبائل غير المسلمة في أول عهد الإسلام. وهناك عشرات الاحاديث النبوية التي تدعو المسلمون لمعاملة اهل الكتاب من اليهود والنصارى احسن معاملة، وقد حرم على المسلمين ايذاءهم او الاعتداء على املاكهم، او معابدهم ، او اكل حقوقهم . وكل عهد يعطي لغير المسلمين من النصارى واليهود، عهد يستوجب التنفيذ حسب الشريعة الاسلامية ، وقد عاهد الخلفاء المسلمون النصارى واليهود على كثير من الامور بعد انتهاء الحرب ، فتضمنت عهودهم (حمايتهم ، والحفاظ على حريتهم الشخصية والدينية، وإقامة العدل بينهم والانتصاف من الظالم)[1] . وجاء في الحديث (من ظلم معاهداً ،أو كلفه فوق طاقته فانا حجيجه)[2]. ولهذا قرر الاسلام المساواة بين الذميين والمسلمين . فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وكفل لهم حريتهم الدينية ، وذلك بعدم إكراه احد منهم على ترك دينه . قال اللّه تعالى في سورة البقرة الآية ٢٥٦ { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي } . ومن حق اهل الكتاب ان يمارسوا شعائر دينهم فلا تهدم لهم كنيسة ولا يكسر لهم صليب ، يقول الرسول صلوات اللّه وسلامه عليه (اتركوهم وما يدينون) . بل من حق زوجة المسلم (اليهودية والنصرانية) ان تذهب الى الكنيسة او المعبد ، ولا يحق لزوجها في منعها من ذلك .

فإحترام ما تقرره الأديان والعقائد هذا من الأسس الأولى لا نتدخل في شؤونهم حتى أن الإسلام بلغ من التسامح ذروة أنه لا يفرض عليهم الأشياء التي يحرمها الإسلام إذا كانت مباحة عندهم ... مثل أكل الخنزير وشرب الخمر، الخمر أم الخبائث عند المسلمين ومن الكبائر والموبقات ولكن الاسلام يقول للذمي : مادام دينك أباحها لا نحرمها وكل ما في الأمر لا تروجها عند مسلم . ويعتبر الخمر والخنزير في مذهب الإمام أبي حنيفة مالا متقوما من أتلف خمرا لذمي يهودي أو نصراني عليه أن يغرم ثمنها. وفي أيام دخول التتار إلى دمشق أسروا ناس من المسلمين ومن اليهود ومن المسيحيين وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية ومعه جماعة من علماء المسلمين عند هولاكو يطلبون منه فك الأسرى فقالوا له سنطلق لك سراح

---

[1]- السيد سابق / المصدر السابق - ص ٦٦٩

[2] السيد سابق / المصدر السابق ، ص٦٦٨ .

المسلمين فقط. فقال لهم أهل ذمتنا قبل أهل ملتنا والله لا أخرج قبل أن يفك أسر الجميع. وهكذا الدفاع عن أهل الذمة واجب على المسلمين حتى قال علماء المسلمين أن إيذاء الذمي أشد إثما من إيذاء المسلم، غيبة الذمي أشد في الإثم من غيبة المسلم لأن هذا معتبر كأن المسلمين هم المسؤولين عنه[١].

كما سوى الاسلام بين اهل الذمة وبين المسلمين في العقوبات[٢] قال الزهري (دية اليهودي ، والنصراني ، وكل ذمي مثل دية المسلم). ولهذا كان يقف المسلمون امام القانون مع النصارى واليهود سواء بسواء حتى ولو كان المسلمون من الخلفاء الراشدين او من الصحابة . وعن انس رضي الله عنه قال : رهن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ درعاً عند يهودي بالمدينة وأخذ منه شعيراً لأهله ". وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ان النبي (اشترى طعاماً من يهودي الى اجل ورهنه درعاً من حديد ، وفي لفظ : توفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودرعه مرهون عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير . رواهما البخاري ومسلم[٣] .

الحوار الاسلامى المسيحى

من خلال ما تقدم اتضح لنا كيف استطاع الاسلام أن يؤسس قاعدة متينه للحوار بين المسيحية والاسلام منذ البدايات الاولى ويستوعب اهل الكتاب من النصارى تحت كنفه ويضع الاسس والقواعد التى تحكم العلاقة معهم ويتجلى ذلك في عهد النبي، صلى الله عليه و سلم، لنصارى نجران في آخر عهد البعثة النبوية حيث عبر هذا العهد عن هذه الرؤية المنفتحة المتسامحة للاسلام، فنص على ما يلي : و لنجران و حاشيتها، و لأهل ملتها، و لجميع من ينتحل دعوة النصرانية في شرق الأرض و غربها، قريبها و بعيدها، فصيحها و أعجمها، جوار الله و ذمة محمد النبي رسول الله، و على أموالهم، و أنفسهم و ملتهم، و غائبهم و شاهدهم، و عشيرتهم، و بيعهم، و كل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير. لا يغير أسقف من أسقفيته، و لا

---

[1] برامج الشريعة والحياة – تقديم خذيجه بنت قنه - تاريخ النشر: الأربعاء ١٧ يناير ٢٠٠٧ قناة الجزيرة

[2]- السيد سابق / المصدر السابق ، ص ٦٠٣ ـ ٦٠٤ .

[3]السيد سابق / المصدر السابق ، ص ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ .

راهب من رهبانيته .. و لا يطأ أرضهم جيش.. و أن أحمي جانبهم، و أذب عنهم و عن كنائسهم و بيعهم و بيوت صلواتهم.. و أن أحرس دينهم و ملتهم أين كانوا.. بما أحفظ به نفسي و خاصيتي و أهل الإسلام من ملتي[1]".

وجاء الخليفة الراشد الاول ابو بكر الصديق ليسير على نفس النهج وارسل وصية ليزيد بن أبي سفيان أمير جنده الذاهب إلى الشام، يحدد فيها إطار علاقة المسلمين بالديانات الأخرى ويؤصل لقانون و أخلاقيات الحرب في الإسلام يقول فيها :إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم و ما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له.. و إني أوصيك بعشر : لا تقتل إمرأة و لا صبيا. و لا كبيرا هرما. و لا تقطعن شجرا مثمرا. و لا تخربن عامرا. و لا تعقرن شاة و لا بعيرا إلا المأكلة و لا تحرقن نخلا و لا تغرقنه، و لا تغلل و لا تجبن "[2].

وما نستخلصه من هذه الوثائق المرجعية الأساسية هو أن أحكام التمييز و الفصل ليست هي المقياس الأصلي لعلاقة المسلمين بأهل الكتاب، بل إن الإسلام يعتمد معيار الدولة المدنية غير الدينية التي تقوم العلاقة بين مواطنيها على أساس المصلحة المشتركة و التعاون على دفع الظلم و تحقيق العدل وبسبب هذه المبادئ والاخلاقيات فقد كان مجئ الإسلام – خلافاً لتعصب الأباطرة البيزنطيين- يبدو تحريراً لليهود وللمسيحيين الذين كانوا يسمون (الهراطقة)، أي تحريراً لمعظم سكان المنطقة ما عدا المحتلين البيزنطيين ... ولذا عندما اقترب المسلمين من سورية وفلسطين استقبلوا – على أنهم محررون- من قبل الجماهير العربية المهيأة من الناحية الدينية للاعتراف بمبدأ التوحيد الواضح في الإسلام الذي يرى في ابراهيم وموسى وعيسى رسلاً من عند الله وأنبياء قد سبقوا (محمداً) . يقول ميشيل السوري : "إن الله المنتقم قد أرسل إلينا بالعرب لينقذونا من الرومان. إن كنائسنا لم ترجع إلينا فقد احتفظ كل بما يملك .. ولكن العرب حررونا من وحشية البيزنطيين وحقدهم علينا".

---

[1] الحوار الإسلامي مع الأديان التوحيدية الأخرى: الخلفيات و الآفاق - عبد الملك منصور حسن المصعبي

[2] راجع هذه الوثائق في مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي و الخلافة الراشدة – جمعها و حققها حميد الله الحيدرابادي – طبعة القاهرة ١٩٥٦

لهذا فإن التعصب القمعي لدى الأباطرة البيزنطيين يتيح لنا أن نفهم كيف تـم حسم مصير سورية وفلسطين بمعركة واحدة، هي معركة اليرموك في العشرين مـن آب عام ٦٣٦ وكيف سحق الجيش البيزنطي وكيف تفجـر ذلـك العصيان قبـل معركـة اليرموك بـين صـفوف الجنـود المسـيحيين الأرمـن فـي الجـيش الامبراطـوري، وكيـف انسحب المسيحيون العرب السوريون من الجـيش البيزنطـي إبـان المعركـة .. وهكـذا وجد جيش الروم نفسه وحيداً فتم سحقه .. ثـم وصـلت جيـوش المسـلمين دون قتـال الى ابواب دمشق .. وفـي القـدس عـرض البطريـرك المسـيحي سـوفرونيوس الصـلح شريطة أن يأتي الخليفة نفسه إلى القدس لضمان تنفيـذ شـروط هـذا الصـلح، وقبـل الخليفة بذلك... ويذكر الاخباريون العرب ان الخليفة عمر لم يقبل الدعوة التي وجهها اليه بطريرك القدس الى اقامة الصلاة في إحدى كنـائس القـدس خوفـاً مـن أن يتخـذ بعض المسلمين المتحمسين ذلك ذريعة لتحويل الكنيسة الى مسـجد تخليـداً لـذكرى مروره بهـا.وخـلال حكـم الامـويين كانـت سياسـة الخلفـاء الامـويين تتسـم بالتسـامح والانفتاح حتى ان بعـض المسـيحيين كمنصـور بـن سـرجون وابنـه وحفيـده المعـروف بيوحنا الدمشقي تقلدوا مناصب هامة فـي خزينـة الدولـة وماليتهـا فكـانوا شخصـيات مرموقة في نظام الحكم[1].

وبعدها فـى ظـل الحكومـات الاسـلامية المختلفـة عـاش المسـيحيون فـى امـن وسلام ومارسوا عقائدهم بحرية ولم يتعرضـوا للاضـهاد الا علـى يـد الغـزاة الغربـاء، ولهذا كانت العصور الاسلامية فى معضمها عصـور ذهبيـة لاتبـاع الديانـه المسـيحية والاديان الاخرى، حيث اعتبر الإسلام خيمة جامعة للأديان كلها على اختلافهاً ونموذجاً رفيعاً للتعايش وحضناً رحيماً يتسع للتعددية في الرأي والمعتقد[2]. ولم يحاول الاسلام اجبار اهل الكتاب على تغيير دينهم وطالب دائماً بالحوار معهم (المجادلـة)، اي ضـمن لهم حرية الفكر حسب مفهومنا المعاصر، وترك لهم حق اتخاذ القرار. وقد كان موقـف القرآن الكريم بشكل عام ايجابياً من المسيحية من الناحيتين السياسية والسـلوكية[3].

---

[1] فلسطين ارض الرسالات السماوية – روجيه جارودي – ترجمة قصي اتاسي- ميشيل واكيم – ص١٢١-١٢٢

[2] اسرائيل .. البداية والنهاية – د. مصطفى محمود ص١٢٩

[3] العرب النصارى (عرض تاريخي) – حسين العودات -ص٦٤- ٦٥- الاهالى للطباعة والنشر والتوزيع – ط١ ١٩٩٢

وهنا يعترف القمص ابراهيم لوقا بهذه الحقيقة فيقول : ان نبي الاسلام قد حفظ للديانة المسيحية مركزها، وأيد جلالها، واثبت صحة الكثير من تعاليمها .. واحترم كتبها المنزلة[1].

ولكي نفهم كيف استطاع المسيحيون ان يعيشوا في اطار الحضارة الاسلامية العربية ويشعروا انهم من لحامها وسداها وانهم ليسوا غرباء عنها بل من العناصر الفاعلة في تشييد الحضارة العربية ومساعدة اخوانهم المسلمين لصيانة عقائدهم في مختلف ميادين العلوم ومقتضيات الحضارة، يجب ان نشير الى ان ذلك يعود الى الاسس المشتركة بين الديانتين المسيحية والاسلامية ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة[2]. مثل الايمان باله واحد خالق السموات والارض الحي القيوم الغفور الرحيم بعبادة والمحب لهم والذي يحيي ويميت، وكذلك الايمان بالرسل والانبياء وبفضل اللّه ونعمه علينا ولذلك يكرس المؤمن كل اعماله لطاعه اللّه وعبادته وحمده وشكره على نعمه الكثيره التى سخرها له والتى يجب ان يستعملها بحكمة اذ انه سيحاسب على كيفية تصرفه.

ان نقاط الالتقاء ومحاوره عديدة بين المسيحية والاسلام، وبالتالي بين المؤمنين المسيحيين والمؤمنين المسلمين. وسب ذلك اللقاء يكمن في كون الدينين ينبعان من مصدر واحد في الاساس هو مصدر التوحيد السامي – الابراهيمي- فالمسيحية فخورة بكونها تسير على المنوال الذي نسجه ابراهيم، والاسلام كذلك، يعلن، بكل صراحة، انه لم يأت بعقيدة جديدة، بل ان جل ما قام به هو تصحيح ما شاب الايمان الابراهيمي التوحيدي من انحرافات وغموض وشوائب. فالاسلام هو في نظر علماء الدين المسلمين – الحركة التصحيحية اللازمة والتي كانت منتظرة، لتنقذ الدين الحنيف، دين ابراهيم الخليل، من كل انحراف أصابه، خلال حقبات الزمن، وتطهره من كل وهن اصابه او شرك او خطأ ادخله الناس، زوراً وجهلاً، على عقيدة الاسلام الاصيلة، وايمان التوحيد الخالص.

---

1 المسيحية في الاسلام – القمص ابراهيم لوقا – ص٥

2 المسيحية والحضارة العربية – الاب الدكتور جورج شحاته قنواتي – ص ١٧ – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ط٢ ١٩٨٤

وكما المسيحية تقول عن نفسها إنها لم تبدع ديانه جديدة إنما هي بناء روحي يقوم على قواعد ترقى بنا بعيداً في الزمن، من آدم وحواء الى هابيل وشيت .. الى نوح، فسام، فابراهيم، ومن ابراهيم الى موسى وداود وسليمان، ومن سليمان الحكيم الى يوحنا- يحيى والمسيح . انها اذا، واسفارها التي هي كتب العهد الجديد، ليست سوى إتمام للبناء التوحيدي، الابراهيمي- الموسوي، الذي تجلى ووصل الى قمته بولادة المسيح وبشارته. انها الاكمال لتلك العمارة التي بدأت بآدم وحواء .. وهي مستمرة الى اليوم. وكما تلتقي المسيحية "الموسوية- اليهودية" في كثير من المحاور وفي عديد من النقاط الهامة، وكما تفترق المسيحية عن الموسوية في بعض المجالات وفي عدد من المحاور، كذلك يلتقي الاسلام المسيحية في كثير من محاور الايجاب وفي عديد من النقاط المشتركة المركزية، ويعود ليفترق عنها في بعض المجالات وعند عدد من المحاور[1] .

ان هذا الارث الزاخر لموقف الاسلام من المسيحيين ومن الديانه المسيحية يمكن ان يكون افضل منطلق للحوار بين الاسلام والمسيحية . فالاسلام كدين سماوى خاتم جاء معترفاً بالمسيحية وبرسالة السيد المسيح عليه السلام، حيث ان ما ورد فى القرآن والسنة عن السيد المسيح عليه السلام وامه مريم العذراء، سيكون له أثر كبير فى التسريع فى الحوار وجعل كثير من المسيحيين يتفهمون الاسلام ورسالته الخالدة بما سيكون له دور مهم في التقريب بين الديانتين السماوييتين بما يخدم قضية الانسان على الارض ويساهم في مواجهة المسيحية الصهيونية، ومحاولاتها لتشويه صورة الاسلام والمسلمين.

وبالرغم من انعقاد عدة مؤتمرات للحوار الإسلامي – المسيحي شارك فيها وشجعها الفاتيكان ودول ومؤسسات إسلامية متعددة، الا انها لم تتصد لكثير من القضايا الأساسية، ولم تشكل فرق عمل لوضع منهجية مشتركة تنطلق من ثوابت إيمانية ومن قناعات مشتركة لمواجهة الاخطار التي تواجه الجميع وبالذات خطر المسيحية الصهيونية. فالمواجهة يجب ان تشمل اقامة حوار بناء وهادف مع كافة

---

[1] محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحية والاسلام – غسان سليم سالم- ص١٨٨- دار الطليعة –بيروت – ط١ ٢٠٠٤

المذاهب المسيحية وبالذات الكاثوليكية والارثوذكسية وذلك من اجل اقامة تحالف مع هذه الكنائس للتصدى وفضح المخططات العدمية للصهيونية المسيحية، والتى لا تهدد العرب والمسلمين فقط، بل تهدد المسيحية ذاتها وتخرجها عن اطارها الصحيح، كديانه للمحبه والسلام، من خلال عملية التهويد المنظم للصهيونية المسيحية. وربما يكون كتاب "المسيح المسلم" للدكتور طريف الخالدى نموذج ممتاز للتعريف بالاسلام وموقفه من رسالة السيد المسيح عليه السلام سيسهم بكل تأكيد فى اثراء الحوار الاسلامى المسيحى .

المسيح المسلم[1]

هذا الكتاب يمتاز بميزتين، الأولى أنه فريد في نوعه ومضمونه، والثانية أنه يحمل رسالة بالغة الأهمية موجهة إلى القارئ الغربي. فموضوع الكتاب هو صورة السيد المسيح في التراث العربي الإسلامي، ومنهجه هو حصر الأدبيات والأقوال والقصص التي وردت في كتابات المؤرخين والأدباء والشعراء العرب والمسلمين عن السيد المسيح. وتتمثل أهمية مثل هذا الكتاب في أنه يهشم إحدى الصور النمطية في المخيلة الغربية عن الإسلام ونظرته إلى المسيحية، وهي نظرة لا أصل لها، خاصة عند غالبية الناس العاديين. فهذه النظرة تفترض عداء مستحكماً بين الإسلام والمسيحية، وبالتالي وجود نظرة عداء تجاه السيد المسيح بين المسلمين. والغريب أنه مقابل هذا العداء المفترض بين المسيحية والإسلام، بين محمد وعيسى، هناك افتراض تقارب وعلاقة تكاملية بين اليهودية والمسيحية أثمرت ما صار يطلق عليه البعض "التقاليد أو الحضارة المسيحية اليهودية المشتركة"، وذلك في سياق جهد محموم، لا تبتعد عنه السياسة ومرتبط بالمسيحية المتصهينة في الولايات المتحدة، لتخفيف وطأة "عقدة الذنب" التاريخية والعداء الكبير بين المسيحية واليهودية جراء ما يحمله المسيحيون من مشاعر ضد اليهود كونهم "قتلوا المسيح" بحسب رواياتهم.

[1] المسيح المسلم -تأليف د. طريف الخالدي- ط١ ٢٠٠١م - مطبعة جامعة هارفارد- المصدر :الجزيرة نت خدمة كمبردج بوك ريفيوز

وفي مقابل "الغفران" الذي تصكه أدبيات المسيحية المتصهينة لليهود على تلك "الجريمة" والتقارب المفتعل بين الديانتين هناك توكيد لعلاقة العداء المتوهم بين الإسلام والمسيحية تنسحب على طبيعة النظرة العدائية لنبي الإسلام محمد، وتفترض أن نظرة مشابهة لها موجودة عند المسلمين تجاه السيد المسيح. فلا تدرك غالبية مسيحيي العالم، وفي مقدمتهم مسيحيو الغرب، أن المسلمين يعتبرون المسيح نبياً من أنبيائهم، ويوقرونه كما يوقرون محمداً، وأنهم يصلون عليه كلما ذكر ويردون عليه السلام، وأنه لا يجوز بحسب قيم الإسلام إلا أن يخص المسيح وسائر الأنبياء بالاحترام والطاعة والتقدير، فضلاً عن أن يجول بخاطر المسلمين أن يعادوا أحد الأنبياء ويتطاولوا عليه كما يتم التطاول على سيدنا محمد (ص) مثلاً في الأدبيات الغربية المسيحية. وعلى ذلك فإن النظرة العدائية هي في الواقع باتجاه واحد، من قبل الغربيين تجاه نبي الإسلام، لأن النظرة التي بالاتجاه المعاكس، أي من قبل المسلمين إزاء السيد المسيح هي نظرة تبجيل لنبي مرسل.

لكن السؤال الذي يبرز هنا هو هل هناك خصوصية بارزة لتعامل النص القرآني، ومن ثم الأدبيات العربية الإسلامية، مع السيد المسيح تمنحه موقعاً متميزاً عن الأنبياء الآخرين الوارد قصصهم في القرآن؟ والجواب هو نعم ولا في الوقت نفسه. ففي حين أن بعض القصص الخاص بأنبياء آخرين يأخذ مساحة أكبر، أو أن ذكر بعض الأنبياء يتردد بشكل أكثر من السيد المسيح، من ناحية التكرار أو عدد المرات فإن ثمة خصوصية معينة للمسيح تتمثل في أنه كان آخر الأنبياء قبل النبي محمد، وأنه وصف في القرآن بأنه "روح الله" و"كلمة الله" كما أنه "ابن مريم" الذي لا أب له. لكن النص القرآني شديد التركيز على أن عيسى ابن مريم إن هو إلا بشر كغيره من العباد وأنه ليس إلها ولا يدعي الألوهية. كما أن هناك رفضاً موازياً لعقيدة التثليث المسيحية، وتوكيد بارز على مبدأ الألوهية الواحدية- الله الواحد الأحد الذي لا شريك له. وهذا التركيز الشديد هو الذي يثير وأثار حفيظة العديد من علماء اللاهوت المسيحيين في قرائتهم للقرآن. ومن هنا فإن المسيح "القرآني" وافق من ناحية المسيح "الإنجيلي" حيث صورته طافحة بالحب والألفة والتوقير، لكن في الوقت نفسه خالفه من ناحية رفض قصة الصلب التي يقول الإنجيل بأنها حدثت، كما والأهم من ذلك التوكيد على بشرية السيد المسيح وعدم ألوهيته. وكان أن اعتبر

البعض أن رفض القرآن لفكرة ألوهية المسيح وصلبه لن يؤدي إلى أي مصالحة تاريخية بين الديانتين وبالتالي فإنه لا مغزى للصورة الإيجابية عن المسيح في القرآن.

وبشكل عام يتناول النص القرآني قصص المسيح عبر أربعة أشكال أو مراحل، قصص مرحلة ولادة المسيح وما رافقها، وقصص المعجزات الخاصة به كإحياء الموتى وشفاء المرضى، وقصص الحوارات التي دارت بينه وبين الله، ثم الآيات الكثيرة التي توكد على بشريته وعبوديته لله. أما النصوص الوارادة عن المسيح في الكتابات العربية والإسلامية فهي في مجملها مثيرة وتقدم معرفة رائدة وفريدة من نوعها، فيها نقرأ أحاديث منسوبة إلى السيد المسيح تنقل لنا عظمة حكمته وروحه الشفافة، ونقرأ قصصا عن رأفته بالناس ونبوته وتضحياته، وكلها تؤكد على بشريته انسجاماً مع الرؤية القرآنية والإسلامية له. والسيد المسيح يتبدى لنا عبداً لله، وليس بإله، وهي السمة الأبرز والأهم لـ"المسيح المسلم"1.

وفي مقابل هذه النظره الايجابية تجاه المسيحيه والسيد المسيح، فاننا نجد نظره مغايره تماماً لدى المسيحيين تجاه الاسلام والرسول الكريم، حيث قوبلت المبادرة الحوارية للإسلام بذلك النوع من "الإنشاء الإيديولوجي" الذي نستطيع نعت تاريخه، باعتراف بعض الأوساط المسيحية المعاصرة، بأنه كان مجرد تاريخ للكذب على الإسلام[٢] الأمر الذي أضفى على ردود الفعل المسيحية القديمة طابعا أكثر عنفاً وأغزر إنشاءً وأبعد أثراً على المستوى النفسي والثقافي، مما شكل في الواقع عائقا أمام التفاهم بين الطرفين وحال دون الاشتراك في بناء حضارة إنسانية مشتركة. وحسب شهادة المستشرق المعاصر الكبير "يوسف فإن إيس" في كتاب صدر له سنة ١٩٧٨ "إن ما يسمعه المرء أو يقرؤه عن الإسلام في وسائل الإعلام الغربية [الحديثة] والطريقة التي يتحدث بها المثقفون في الغرب عموما عنه، لهو شيء مزعج جدا، مزعج بمعنى مزدوج: أولا بسبب المعلومات غير الصحيحة والآراء

---

1 المسيح المسلم -تأليف د. طريف الخالدي- ط١ ٢٠٠١م - مطبعة جامعة هارفارد- المصدر :الجزيرة نت خدمة كمبردج بوك ريفيوز

2- الإسلام والمسيحية- أليكسي جورافسكي- الكويت، عالم المعرفة، ط١٠ نوفمبر ١٩٩٦، الفصل الثالث والرابع (ترجمة محمد الجراد).

الخاطئة، وثانيا بسبب النبرة الشيطانية المخيفة التي يتم بها عرض هذه الأحكام عن الإسلام"[١].

وفي احدى الندوات المخصصة لدراسة سبل تعزيز التعاون بين الاديان، تركّزت معظم المناقشات، علي ما لدي المسيحيين من أفكار خاطئة عن الإسلام. ومن الصور النمطية الكثيرة التي جري تناولها، برزت خمسٌ اعتُبرت العائق الأكبر أمام الانسجام والتعاون بين الديانات والثقافات. فهي تربط الإسلام بالإرهاب والتعصّب واستعباد المرأة وانعدام التسامح تجاه غير المسلمين والعداء للديموقراطية وعبادة إله غريب وانتقامي[٢]. وهذه الصور كما يقول "بول فندلي" ليست بعيده عن ان الصور المزيفه عن الاسلام، التى حملتها من مرحلة الطفولة، فقد استمرت طويلاً فى تجربتى الى حد يجعلنى لا افاجئ بوجود أمريكيين آخرين يحملون افكاراً خاطئه مماثله. وثمة ما يثير الاحساس بحراجة الحال، لدى التأمل بهذا الكم الهائل من الصور النمطية المضللة عن الاسلام، الذى تدفق، عاماً بعد آخر، من صفوف مدارس الاحد فى انحاء امريكا، من دون ان يواجه الطعن. اذ ان الملايين من الشباب القابلين للتأثر ربما تقبلوا هذه التضليلات كحقيقة، ونقلوها، على مر السنين، كما هى، بلا تصحيح، الى ملايين آخرين من الناس[٣].

ويوضح بول فندلي كيف تمكن من تغيير نظرته للاسلام بعد ان عايش المسلمين وعرفهم عن قرب حيث يقول : كانت عدن أول محطة لي في استكشاف العالم الإسلامي. في ذلك البلد النائي تعرّفت، للمرة الاولي، إلي ديانة يؤمن بها أكثر من بليون نسمة يشغلون أنحاء العالم كافة. إنهم جماعة دينية لا يفوقها عدداً سوي المسيحيين الذين يبلغ تعدادهم ما يزيد علي بليوني نسمة. وفي المحطات التالية التي توقفتُ فيها، فتحت عينيّ علي ثقافة مستندة إلي الشرف والكرامة وقيمة كل إنسان، علاوة علي التسامح وطلب العلم؛ وهي معايير، عرفت، في ما بعد، أنها متأصّلة عميقاً في الدين الإسلامي. إنها أهداف كانت ستلقي استحسان أجدادي المسيحيين. ولكن مع هذه المعتقدات الأساسية والمشتركة، يواجه المسلمون

1- الإسلام في عيون الإعلام الغربي- سهام بادي - " مجلة رؤى، باريس: العدد ١٣ خريف ٢٠٠١، ص: ٤٩.

2 لا سكوت بعد -- اليوم - بول فيندلى ص ٣٠

3 لا سكوت بعد -- اليوم - بول فيندلى ص٣٧

مصاعب يومية في مجتمع أميركا المسيحيّ في غالبيته. إن معظم الأميركيين لا يعرفون أيّ مسلم؛ وما زالوا غافلين عن وجود المسلمين المتنامي بوتيرة سريعة في الولايات المتحدة. ولم يناقشوا يوماً الإسلام مع أي شخص مطّلع علي هذا الدين. ولم يقرأوا يوماً آية واحدة من القرآن الكريم. وتنبع معظم تصوّراتهم عن الإسلام من الصور السلبية المزيّفة التي تظهرها التقارير الإخبارية، والأفلام والمسلسلات التلفزيونية، والحوارات في الإذاعة والتلفزيون[1].

وقد اشرنا سابقاً الى دور المبشريين والمستشرقيين في رسم هذه الصوره المشوهه عن الاسلام والمسلمين ولهذا فإن ايه محاوله جديده للحوار بين المسيحية والاسلام يجب ان تبدأ بمراجعة الدراسات الإستشراقية المتأثرة بمناخ الحروب الصليبية لتنقيتها من ما خالطها من دس و تشويه لصورة الإسلام و نبيه و قيمه و شعائره، مع الإستفادة من كبار المستشرقين المنصفين الذين أشادوا بروحانية الإسلام و سماحة قيمه وتسامحه . ولا بد هنا من التنويه بالخطوات الإيجابية التي قطعتها الكنيسة الكاتولوكية منذ المجمع الفاتيكاني وصدور وثيقة Nostra Actate عام 1965 التي تبنت الحوار مع المسلمين والإنفتاح عليهم، من منطلق تعزيز المحبة الوحدة بين أتباع الديانات التوحيدية.

فقد نص المجمع الفاتيكاني بوضوح على "أن الكنيسة تنظر بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الأوحد، الحي القيوم، الرحيم القدير، خالق السماء والأرض، الذي وجه كلامه إلى البشر، و إنهم يسعون في الخضوع بكل نفوسهم لأحكامه الحقة كما خضع إبراهيم لله، الذي ينتمي إليه الإيمان الإسلامي بطيبة خاطر .و أنهم يجلون يسوع كنبي، و إن لم يعترفوا به كإله، و يكرمون مريم أمه العذراء ...وإذا كانت قد نشأت، على مر القرون، منازعات و عداوات كثيرة بين المسيحيين و المسلمين، فالمجمع المقدس يحض الجميع على أن يتناسوا الماضي، و

---

[1] لا سكوت بعد -- اليوم - بول فيندلى -ص١٩

يسعوا في تحقيق تفاهم صادق بينهم، و يعملوا معا على صيانة و دعم العدل في المجتمع و القيم الأخلاقية، و أيضا السلم و الحرية لجميع البشر "[1].

كما أعلن البابا بول السادس الرؤية الجديدة للعالم الإسلامي في خطاب بابوي بعنوان"كنيسته"-أي كنيسة السيد المسيح- قال فيه:"من الصواب أن تعجب بأولئك الناس-يعني المسلمين – لكل ما هو طيب وحق" "في عبادتهم لله (جل في علاه)". ولقد تأكد هذا الموقف في الخطاب البابوي الذي صدر بعد ذلك بشهرين سنة ١٩٦٤م بعنوان "نور لكل الأمم"، الذي جاء فيه أن "مبدأ الخلاص يشمل أيضاً أولئك الذين يُقرُّون بوجودالخالق وفي مقدمتهم المسلمون[2]. وقد أنشئت في سنة ١٩٧٤م لجنتان: لجنة لليهودية، وأخرى للإسلام ضمن كيان واحد يطلق عليه الآن " المجلس البابوي للحوار بين الأديان.

إن هذه المقاربة الجديدة تفتح الباب واسعا للحوار البناء بين المسلمين الذين لم يكن لهم أصلا مشكل عقدي مع الديانة المسيحية، و إن كان لا بد من التنبيه إلى أن بعض التيارات الأصولية المسيحية المتطرفة لاتزال تتمسك بالصورة المشوهة السابقة، و من بينها الحركات الصهيونية المسيحية في أمريكا. و قد إستمعنا لبعض رموز و أركان هذا التيار يسب الإسلام و ينعته بالديانة الزائفة الشريرة بعد تفجيرات نيويورك في سبتمبر ٢٠٠١[3]. ولكن تزايد الوجود الإسلامي في الغرب ادى الى زياده المعرفه بالاسلام، حيث يعتبر هذا الوجود عنصرا أساسيا في حسابات التفاعل من تعايش وصراع حضاريين بين المسيحية واليهودية من جهة والإسلام من جهة أخرى، وقد أدى هذا التواجد إلى بروز مجموعة من الظواهر المستحدثة كتزايد عدد المساجد والمراكز الإسلامية والجمعيات الخيرية والمدنية التي حقق بعضها نجاحات

---

[1] ندوة العيش المشترك في الإسلام و المسيحية – اللجنة الوطنية اللبنانية للتربية و الثقافة و العلوم – بيروت ٢٠٠٢ – راجع على الخصوص بحث د. محمد السماك : في ثقافة الحوار الإسلامي – المسيحي (ص ٢٦٠ – ٢٦٦)

[2] الاسلام والغرب : تعاون أم صدام – رالف بريبانتي- **http://www.science-islam.net/article.php3?id_article=630&lang=ar**

[3] ندوة العيش المشترك في الإسلام و المسيحية – اللجنة الوطنية اللبنانية للتربية و الثقافة و العلوم – بيروت ٢٠٠٢ – راجع على الخصوص بحث د. محمد السماك : في ثقافة الحوار الإسلامي – المسيحي (ص ٢٦٠ – ٢٦٦)

كبيرة، حيث وصلت مصداقيتها إلى مستوى الجمعيات الدولية غير الحكومية. وعن طريق التزاوج والاحتكاك اعتنق كثير من الغربيين الإسلام، وبهذا فتحت جبهة جديدة في التفاعل الحضاري بقيادة الجاليات المسلمة في الدول الغربية التي بدأت تشكل أحد أبواب الانبعاث الحضاري للإسلام في ظل التطور العلمي والتكنولوجي الذي يشهده الغرب، غير أن هذا الباب تعتريه صعوبات مهمة أبرزها وأخطرها التهمة بالإرهاب[1].

وعلى العموم فأنه في اطار العلاقة بين الاسلام والمسيحية في عصرنا الحاضر فإن هناك الكثير مما يمكن انجازه لتعزيز الحوار الهادف والبناء بين الجانبين بما يخدم قضيه الانسان على هذه الارض . فالخلاف بين الجانبين ليس كبيراً، بل ان نقاط الالتقاء اكثر من الخلاف. فلا داعي لان نختلف ونتعارك ونحن واقفون على عتبة إيمانية مشتركة، وما يقربنا من بعضنا البعض اكثر بكثير مما يبعدنا. والمعاشرة بالمعروف مع كل الطوائف والأديان المخالفة هي اصل من أصول الشريعة الاسلاميه، والمسلمون اكثر اعترافاً من المسيحيين بصلة القربى بين الاديان[2].

وامام مجموع هذه الحقائق الثابته، نقف بحيرة وعجب لنسأل : اين الحل الذي يجب ان يولد، ليبدأ المجهود المشترك الهادف الى فتح مجال الحوار الحقيقي الجدى بين نصارى العالم ومسيحييه من جهه، وبين مسلمي العالم ومؤمنيه من جهة آخرى، للوصول الى فهم عميق يجمع المؤمنين كافة كل المؤمنين، في مناخ واحد من الاحترام المتبادل الصريح اولاً، والتخطيط الواضح لبدأ عمل بناء مشترك، على ساحة الارض كلها ثانياً. فمستقبل البشرية والانسان ومصير الكرة الارضية ومن عليها مرهون، في الزمن الآتي، لقيام مثل هذا التعاون البناء المشترك، الذي يدعو اليه الناس، وندعو اليه نحن معهم، بكل ما اوتينا من قناعة وكد وحماسة. فإن الذي يجمع بين محمد والمسيح هو في الواقع، اكثر بكثير من الذي يفرق! أنه يجب علينا الا ننسى ايضاً أنه، بالرغم من وجود محاور هامة تجمع بين ديانتي التوحيد، فإن في الامر كثيراً من النقاط العديدة التي يفترق فيها المسيحيون والمسلمون، بعضهم عن

---

[1] بين حضارة القوة وقوة الحضارة - تأليف الدكتور غيات بوفلجة-عرض/سكينة بوشلوح

[2] لا سكوت بعد -- اليوم - بول فيندلى- ص ٥٤

البعض الآخر. لذلك وجب بدء العمل الصادق لاقامة الحوار الواجب انطلاقاً من قبول كل دين للدين الآخر والاعتراف له بحقه في الوجود والاعراب عن نفسه وحقائقه وايمانه. فعلى صخرة مثل هذه المبادئ وعلى ارضية متينه من الصراحة في التعامل والصدق في الأخذ والعطاء، يمكننا أن نبدأ دراستنا لمحاور الافتراق، دون ان نقع في محاذير التحيز والانحراف، والرياء والتقوقع، ومحاولة ذر الرماد في العيون والعقول[1].

الحوار بين الإسلام واليهودية

ربما يستغرب البعض طرح فكرة حوار بين الديانتين اليهودية والاسلامية في عصرنا الحاضر الذى يشهد صراعاً مريراً بين اتباع الديانتين من منطلقات ايديلوجيه ربما يرى البعض انها بعيده عن الدين، حيث كانت ارض فلسطين ملتقى هذا الصراع بين اسرائيل وحلفائها من ناحية والدول العربية والاسلامية من ناحية اخرى. وبالتأكيد فإن هذا الصراع زاد من الجفاء والبعد بين اتباع الديانتين السماويتين ولم يعد بالامكان البحث عن نقاط الالتقاء والتقارب والبحث عن الاصل المشترك لهاتين الديانتين ومحاوله الالتقاء عند قواسم مشتركه ربما ستساهم في وضع حد لهذا التدهور والحرب المستعره في المنطقة منذ زمن بعيد، والاهم انها يمكن ان تكون خطوه مهمه في ايقاف استغلال الصهيونية والاصوليون المسيحيون لهذه القضيه لتنفيذ مخططاتهم العدمية في المنطقة والعالم.

وكما اتضح لنا في السابق فان التاريخ الاسلامي كما تعامل مع الديانه المسيحية والمسيحيين بتسامح وانصاف وحفظ لهم حقوقهم الدينيه والمدنية في ظل الدولة الاسلامية منذ عهد الرسول (ص) وحتى بداية انهيار الدولة الاسلامية، فقد كان الحال كذلك مع اليهود حيث عاشوا في امن وسلام خلال فترات الحكم الاسلامى ولم يتعرضوا للاضطهاد والمضايقه كما حدث معهم في اوروبا بل وصل العديد منهم الى مناصب عليا في الدوله الاسلامية واسهموا في تطورها وازدهارها وكانت لهم الملاذ الامين من بطش الاوربيين قديماً وحتى وقت قريب. وهنا ينبه

---

[1] محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحية والاسلام – غسان سليم سالم- ص١٩٨-١٩٠- دار الطليعة – بيروت – ط١ ٢٠٠٤

المؤرخ (رابوبور) الى " أنه بعد فتح فلسطين على يد المسلمين فقد تحسن وضع اليهود على نحو ملموس وزاد نشاطهم الثقافي. ومع عهد الخلفاء المسلمين استطاعت أكاديمية طبريا أن تنتقل الى القدس لتصبح مركز اشعاع ثقافي : فلقد جرى فيها تثبيت النصوص العبرانية للعهد القديم . وفي فلسطين تم آنذاك تأليف أجمل تراتيل الصلوات الدينية اليهودية. ولم يتعرض اليهود والمسيحيون في ارض الاسلام الى اضطهادات ومذابح كتلك المذابح الضخمة التى جرت في الغرب ومنها المذابح الدموية العارمة ابان احتلال الصليبيين للقدس[1].

واذا كان الحال كذلك فلابد لنا من البحث عن الخلل الذى حدث لهذه العلاقه وهو بالتأكيد كان بسبب الهجمه الصليبيه الصهيونية الحديثه في عصرنا الحاضر، مما يعنى اننا يجب ان نبدأ بمحاولات للحوار مع اتباع الديانه اليهودية انطلاقاً مما ورد فى ديننا الاسلامى عسى ان يساهم ذلك فى اعادة بعض اليهود الى الصواب ويعرفهم بحقيقة ديننا الاسلامى الذى يعتبر اليهودية ديانه سماوية وكيف اننا كمسلمين نجل ونقدر الانبياء جميعاً ولا نفرق بين احداً منهم، حيث يعتبر الباحثون في علم الاديان، ان الرسالات الثلاث: الموسوية- اليهودية والمسيحية- النصرانية والاسلام هي، في الواقع، متصلة بعضها بالبعض الآخر: زمنياً وتاريخياً وتسلسلياً، وجغرافياً ومناطقياً واقليمياً، عقيدة ومبادئ وتعاليم . فهي تلتقي في كثير من الشؤون والمجالات، والمبادئ والتعاليم. ويؤكد معظم الباحثين انها حلقات ثلاث في عقد واحد فريد. ومن اجل ذلك، وفي سبيل الموضوعية العلمية، لا يستطيع الباحث الجدي ان يلج عالم المسيحية والاسلام، دون الانطلاق – ولو بايجاز – من الدين اليهودي لان الولوج الى دائرة : الكتاب المقدس من جهة، والقرآن المجيد من جهة اخرى لا يمكن ان يكون متكاملاً، متيناً وعميقاً، اذ لم يتطرق الباحث فيه الى التوحيد الابراهيمي الذي بدأ – زمنياً وتاريخياً- مع خليل الرحمن ابراهيم المطيع لله ومع ابنيه اسماعيل واسحق ثم مع حفيده يعقوب والاسباط ابناء يعقوب. ذلك ان عقد

[1] فلسطين ارض الرسالات السماوية – روجيه جارودي – ترجمة قصي اتاسي- ميشيل واكيم – ص١٢٦

التوحيد الفريد القيم : بدأ حلقة، حلقة، ودرة، درة .. الى ان انتهى برسالة القرآن ودعوة محمد، الرسول العربي[١].

وكما اسلفنا فقد حرص الرسول الكريم على دعوة اليهود للدين الاسلامي وحاورهم وجادلهم وفي بداية الفترة المدنية بعد الهجرة الى مكه عقد الرسول (ص) حلفاً ومعاهدة مع اليهود تجسد في دستور المدينة لينظم العلاقة بين الامة المسلمة الناشة باليهود ضمن دولة مدنية قائمة على التنوع تجسيدا موضوعيا للرؤية القرآنية للتنوع الديني. فمن بنود هذا الدستور الذي تتجاوز بنوده الخمسين لليهود دينهم و للمسلمين دينهم... و من تبعنا من يهود فإن لهم النصر و الأسوة، غير مظلومين و لا متناصر عليهم... و أن بطانة يهود و مواليهم كأنفسهم.. و أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، و على اليهود نفقتهم، و على المسلمين نفقتهم، و أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ... و أن بينهم النصح و النصيحة و البر المحض من أهل هذه الصحيفة دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه."

ومن الواضح من هذه المعاهدة التي تكرس تحالفا متينا بين المسلمين و اليهود انها تقوم على المساواة المطلقة و حقوق المواطنة المتماثلة – لإن إختلاف الدين لم يكن له أثر في طبيعة العلاقة بين المجموعتين المتعايشتين، و لم ينحل العقد إلا بغدر قبائل يهود المدينة التي إختارت الإنحياز للخط المناوي للمسلمين[٢] واصرت على موقفها من الدعوة الجديدة ووقفت موقفاً عدائياً من الاسلام والمسلمين منذ ظهور الاسلام، وتآمرت مع المشركين لاخفاء نور الاسلام وسحق دعوته، ولهذا فقد اضطر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان يعاملهم بالمثل فحاربهم، وعاهدهم، ولكنهم خانوا، وخدعوا فتم اجلاؤهم عن الجزيرة العربية، ليس لانهم يهود، بل لخياناتهم . وبعد ان انتصر الاسلام على المشركين، وعلى اليهود، وتمت له السيطرة اصبح اليهود، شأنهم شأن النصارى، يعاملون معاملة طبيعية كمواطنين، ما لم يخرجوا على النظام، ويمتنعوا عن القيام بواجباتهم

[1] محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحية والاسلام – غسان سليم سالم- ص ٧٦- دار الطليعة –بيروت – ط١ ٢٠٠٤

[2] الحوار الإسلامي مع الأديان التوحيدية الأخرى: الخلفيات و الآفاق - عبد الملك منصور حسن المصعبي .

المفروضة عليهم . فحقوقهم محفوظة طالما أدوا واجباتهم . وهذا لا ينطبق عليهم وحدهم كأصحاب دين مغاير، بل ينطبق على المسلمين ايضاً الذين يخرجون على النظام ويخالفون القوانين والانظمة التي ارساها الاسلام. ومما يؤكد ذلك ان الرسول (ص) عامل اليهود بعد غزوة خيبر بروح التسامح حتى انه اوصى عامله معاذ بن جبل (بأن لا يفتن اليهود عن يهوديتهم)[1] . وعندما دخل الخليفة عمر بن الخطاب مدينة القدس عام ٦٣٨ م، منح أهل القدس وبطريركها سافرونيوس عهداً بالسلم والحماية صار يعرف بعهد عمر أو بميثاق عمر بالإضافة إلى ذلك، ولتأكيد حماية الأماكن المقدسة للنصارى واليهود والعناية بها، عهد عمر بحماية كل مكانٍ من الأمكنة المقدسة الرئيسية، والعناية به، إلى أسرةٍ مسلمة مختلفة[2]. وعلى هذا النحو عومل يهود البحرين اذ لم يكلفوا الا دفع الجزية وبقوا متمسكين بدين آبائهم[3]. ونتيجة هذه المعاملة كما يذهب د. اسرائيل ولفستون فقد كان اليهود في اغلب مدن العراق يخرجون لاستقبال جيوش المسلمين بالحفاوة والاكرام لانهم كانوا يؤثرونهم على غيرهم اذ يرون فيهم قوماً يؤمنون باله موسى وابراهيم. وقد ازدادت هذه الروابط متنه مع امتداد الزمن حتى دخل اليهود في جيوش المسلمين ليناضلوا معهم في اقاليم الاندلس[4].

وهكذا فإن معاملة اليهود في ظل الحكم الاسلامي عبر التاريخ، لم تكن وليدة صدفة، ولا مجرد كرم اخلاقي من الحكام المسلمين، وانما كان ذلك بسبب العقيدة الاسلامية التي تلزم اصحابها حكاماً ومحكومين، بحماية اصحاب الديانات الاخرى، ومعاملتهم كمواطنين لهم حقوقهم التي لا يجوز المساس بها ولهم احترامهم كأصحاب ديانات سماوية يعترف بها الاسلام ويعترف برسلهم "آمن الرسول بما انزل

---

[1] تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام – د. اسرائيل ولفنستون –ص ٢٠٧ او فتوح البلدان للبلاذري ص ٧١

[2] حان وقت إنقاذ الإسلام من المحاكم الطالبانية في مقديشو- بشير غوث- arabic.tharwaproject.com/node/894

[3] تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام – د. اسرائيل ولفنستون –ص ٢٠٧ او فتوح البلدان للبلاذري ص ٧٨

[4] تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام – د. اسرائيل ولفنستون –ص ١١- مكتبة النافذة – الطبعة الاولى ٢٠٠٦

اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله ، وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله".

فالإسلام ينظر إلى اليهود باعتبارهم أهل كتاب سماوي وأهل دين سماوي هم مع المسيحيين ولهم أحكام خاصة في الإسلام دون غيرهم من الناس فلهم حق المؤاكلة نأكل من ذبائحهم ونتزوج من نساءهم (وطَعَامُ الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ والْمُحْصَنَاتُ مِنَ المُؤْمِنَاتِ والْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُم) فالاسلام أجاز للمسلم أن يتزوج يهودية أو نصرانية. ما معنى أنه يتزوج يهودية أو نصرانية يعني تصبح هذه ربة بيته وشريكة حياته وموضع سره وأم أولاده . فهناك رابطتان طبيعيتان رابطة النسب والدم ورابطة المصاهرة، وحينما يتزوج الإنسان يضيف إلى عائلته عائلة أخرى عن طريق المصاهرة ويصبح أبو الزوجة جد أولاده أمها جدة أولاده إخوانها أخوال أولادها أخواتها خالات أولاده وهؤلاء لهم حقوق الأرحام وذوي القربى فينشأ هذه اللحمة كلحمة النسب.

وبالرغم من ان الكتب المقدسة الموجودة الآن تعتبر من وجهة نظر الاسلام كتب محرفة، وليست كما نزلت على موسى وعيسى عليهما السلام، الا ان ذلك لم يمنع الاسلام بالزام المسلمين باحترام المؤمنين بها وحماية كنائسهم، واتاحة الفرصة لهم للتمتع بممارسة عباداتهم بالشكل الذي يعتقدونه. كما والزم الاسلام المسلمين بحماية حقوق غير المسلمين، ليس فقط بحرية العبادة، بل بحرية العمل والتملك، والحياة الحرة الكريمة، واعتبر الاسلام ان الاعتداء على احد من هؤلاء هو خروج على التعاليم الاسلامية، ما داموا يؤدون واجابتهم والتزاماتهم، ويؤدون الطاعة اللازمة، ولا يخرجون على النظام العام والقوانين والانظمة التي حددها الاسلام للمسلمين وغير المسلمين.

اليهود في ظل الحكم الإسلامي[1]

لقد واجه اليهود عبر التاريخ الطويل للبشرية انواعاً متعددة من الاضهادات والمظالم، لاسباب مختلفة، يعزيها بعض المؤرخين الى اسباب ذاتية تتعلق باليهود انفسهم، أو بسبب وظائفهم الاقتصادية، كما يعزيها البعض الآخر الى اسباب خارجة عن إرادة اليهود، بسبب الاغيار الذين يحملون عقيدة مخالفة لهم، او لأسباب اقتصادية أو سياسية أو غير ذلك. وقد صَوَّرَ المؤرخون اليهود في القرن التاسع عشر التجربة اليهودية في القرون الوسطى في ظل الإسلام باستخدام مصطلحات رومانطيقية شبه أسطورية على العكس تماماً من تاريخ الاضطهاد والقمع الذي عاشه اليهود الذين قطنوا في العالم المسيحي في القرون الوسطى، حيث قيل عن يهود الأراضي العربية وخاصة أولئك الذين عاشوا في أسبانيا المسلمة انهم عاشوا في عصر ذهبي أو ربما طوباوي[2]، مقارنه بما شهده اليهود من مذابح واضطهادات في معظم البلاد الاوروبية ـ ان لم يكن جميعها ـ شرقيها وغربيها ، فقد حصل ان واجهوا الطرد والحرمان والمذابح[3]. كما واجهوا احراق كتبهم الدينية كالتلمود في كثير من البلاد الاوربية في الوقت الذي كان فيه موسى بن ميمون (الذي كان يعمل في قصر الخليفة المسلم في بلاد الاندلس) يكتب عن التلمود والفلسفة اليهودية بحرية في ظلم الحكم الاسلامي[4]. وحتى اللغة العبرية التي اختفت تماماً في القرن الثالث قبل الميلاد وحلت محلها اللغة اليونانية والارامية، لم يتم احيائها الا بعد ستة عشر قرناً وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي .. العصر الذهبي للاسلام[5].

---

[1] من كتاب الاستعمار وفلسطين (إسرائيل مشروع استعماري)، رفيق شاكر النتشة ـ طبعة اوليى ١٩٨٤ ـ دار الجليل ـ عمان

[2] تعايش الأديان في الماضي : بقلم مارك كوهين، ترجمة كامل الزيادي-. نشر المقال باللغة الألمانية في صحيفة فرانكفورتر ألكمانية تسايتونغ
http://www.qantara.de/webcom/show_softlink.php?wc_c=339

[3] الاسلام و فلسطين - رفيق شاكر النتشة / محاضرة ص٤٢ ـ ٤٣ ، فلسطين المحلتة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨١م.

[4]- الجنرال جواد رفعت اتلخان / الاسلام وبنو إسرائيل ، ص٦٠ ـ٦١ ، ترجمة يوسف وليشاه ، الرياض ، ١٤٠٤هـ .

[5] ما بعد اسرائيل – بداية التوراة ونهاية الصهيونية – احمد المسلماني- ص ٥٦

هذا وقد وصل انتشار العقيدة اليهودية- حينما لم تكن اليهودية محصورة في حدود أمة- الى قمته في بابل ثم في بغداد في القرن التاسع أيام الخلفاء المسلمين، حتى إن كبير احبار اليهود كان يقيم في بلاط الخلفاء وله مكانة تفوق مكانة كبار النصارى. وقد برز في هذه الفترة من ازدهار العقيدة اليهودية تحت ظل الخلافة العربية شخصيات يهودية في العراق ومصر ... وكان انحسار الثقافة اليهودية على أثر انحسار الامبراطورية العربية التي ازدهرت في ظلها تلك الثقافة. ثم كان مركز تألق اليهودية من بعد ذلك في اسبانيا تحت ظل الخلافة الاسلامية حيث ظهر فيها ونبغ (امراء) الطائفة اليهودية مثل (حسدهي بن سبروت) وزير الخليفة في قرطبة، وصموئيل وزير سلطان غرناطه، وهناك فلاسفة ولاهوتيون وشعراء (سليمان بن جابيرول ويهودا هاليفي ولاسيما موسى بن ميمون) ظهروا ونبغوا في تلك المرحلة التي يسميها أندريه شوراكي (المرحلة الذهبية) لليهود في اسبانيا المسلمة حيث أثمر التلاقح اليهودي – العربي أنضج ثماره واحلاها[١].

ففي حين كانت اوروبا الغربية المسيحية تضطهد اليهود باسم الدين وتذيقهم الوان العذاب في القرون الوسطى، وتضطرهم على النزوح الى شرقي اوروبا وغربيها، كانت الدول العربية توليهم اسمى المناصب وتعترف لهم بحق المساواة المطلقة فيتجرون ويثرون، يبلغون شأناً في السياسة والادارة والاقتصاد لم يسبق له مثيل[٢]. وهكذا عاشوا في بلاد المسلمين لهم ذمة الله وذمة رسوله وذمة جماعة المسلمين وكان لهم ثروات هائلة ووصلوا إلى القرب من أهل الحل والعقد ومن قرب السلطان حتى في بعض الأحيان حسدهم المسلمون أنهم أصبحوا مقربين من أولى الأمر ومن السلاطين، وهناك شاعر مصري ساخر اسمه الحسن ابن خرقان له أبيات يقول فيها:

يهود هذا الزمان قد بلغوا غايات آمالهم وقد ملكوا المجد

فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك

---

[1] فلسطين ارض الرسالات السماوية – روجيه جارودي – ترجمة قصي اتاسي- ميشيل واكيم – ص١٨٦

[2] موقف عرب فلسطين من الهجرة اليهودية الصهيونية (١٨٨٢ ـ ١٩١٤م) - بحث مقدم الى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) - د. اسماعيل احمد ياغي / ص١ .

يا أهل مصر إني نصحت لكم تهودوا فقد تهود الملك[١].

هكذا تمتّع اليهود والمسيحيون الذين عاشوا في العالم الإسلامي بتسامح شرعي بوصفهم "أهل الذمة"، حيث لم تتكون في الإسلام قوانين خاصة لليهود كتلك التي تَكَوّنَتْ في العالم المسيحي، حيث كان يهود القرون الوسطى يعتبرون أقناناً للمجلس الملكي وفي بعض الأحيان مارست الكنيسة سلطتها المطلقة على اليهود متذرعة بمبدأ كنسي قديم يتعلق بعبودية اليهود الأبدية. إن التشريعات الإسلامية التي تتعلق بحياة اليهود تجسدت في ميثاق عمر الذي أُدْخِلَ في الشريعة الإسلامية. وقد حُوفِظَ على التنظيمات أو التشريعات كما هي بدون تغيير على مرور الزمن ونادراً ما تم خرقها. ولأسباب مهمة أخرى أيضاً لم يُصَب التجار اليهود المتجولين في الفلك الإسلامي بوصمة الآخرية(أي كونهم آخرين) التي عانى منها اليهود في أوربا. لأنهم كانوا من سكان الشرق الأدنى الأصليين وليسوا مهاجرين كما في الغرب اللاتيني، وغالباً لا يمكن تمييزهم جسمانياً من جيرانهم العرب المسلمين[٢].

يقول الكاتب اليهودي الماركسي إبراهام ليون في كتابه "المفهوم المادي للمسألة اليهودية " والذي علق عليه الكاتب اليهودي مكسيم ردنسون : "عامل الاسلام اليهودية بتسامح يفوق التسامح الذي لاقاه هذا الدين ـ من جانب المسيحية ـ كتيار ايديولوجي اعترف بحقه بالبقاء بالرغم من الهزيمة التي لحقت به". ويقول ايضاً في : وفي ظل الامبراطورية الاسلامية والدويلات التي قامت على اشلائها، والتي احتفظت فيما بينها بصلات وثيقة، ازدهرت التجارة بين مناطق متباعدة ، وتقدم الانتاج الزراعي الخاص بكل اقليم من الاقاليم، وراجت الصناعات اليدوية، وشارك اليهود كسائر عناصر السكان في هذا التقدم، ومارس عدد كبير منهم التجارة كما يقول ـ جواتين ـ : " لقد ادت هذه الثورة ـ البرجوازية ـ الى الاسراع في تحويل اليهود من شعب يمارس بالدرجة الاولى المهن اليدوية الى جماعة تهتم بصورة

---

[1] برامج الشريعة والحياة – تقديم خذيجه بنت قنه - تاريخ النشر: الأربعاء ١٧ يناير ٢٠٠٧ قناة الجزيرة

[2] تعايش الأديان في الماضي : بقلم مارك كوهين، ترجمة كامل الزيادي-. نشر المقال باللغة الألمانية في صحيفة فرانكفورتر ألكمانية تسايتونغ بتاريخ ٢٥،١٠،٢٠٠٣ -- موقع قنطره http://www.qantara.de/webcom/show_softlink.php?wc_c=339

رئيسية بالتجارة .. وعندما وجد اليهود انفسهم ابان العصر الاسلامي امام حاضرة ميركانتيلية قابلوا التحدي وتحولوا بدورهم الى امة تتكون من رجال الاعمال وباشروا بالقيام بدور رئيسي في نهضة الحضارة الجديدة[١].

وقد وجد اليهود الذين لم يعانوا الاضطهاد القاسي حيث كانوا يقيمون ملجأ لهم في البلدان المجاورة، وخاصة خارج البلدان المسيحية، في العالم الاسلامي الذي فتح لهم صدره [٢] . ويقول الكاتب اليهودي المعادي للصهيونية الفرد ليلنتال : وكما اشار المؤرخون اليهود فان العصر الذهبي لليهودية امتد من القرون البادئة عام ٧١١ ب.م عندما عاش اليهود متمتعين بالنفوذ والاحترام تحت السلطة الاسلامية في اسبانيا والبرتغال . وحين اضطر اليهود الى الفرار من وجه مجالس التفتيش المسيحية وجدوا ملجأ لهم في شمال افريقيا والشرق الاوسط .

ان ما يعرف في الغرب بالعداء للسامية لم ينشأ في العالم العربي في يوم من الأيام، ان العرب لم يكونوا قط معادين لليهود، والاسلام يعتبر موسى وابراهيم كما يعتبر يسوع انبياء ... وفي مصر عاش اليهود طوال الف سنة جنباً الى جنب مع المسلمين ـ وبعضهم من احفاد اليهود القدماء الذين خلفهم موسى وراءه عند خروجه من مصر، وفر آخرون الى مصر بعد التدمير الاول الذي انزله البابليون بهيكل القدس، وفي عام ٢٥٠ ق.م يحدثنا فيلو انه كان في الاسكندرية يهوداً اكثر مما كان في القدس، ووجد اليهود ملاذاً لهم في مصر نجاهم من الاضطهادات النصرانية في اسبانيا والبرتغال خلال القرن الخامس وكذلك اثناء الثورة الروسية والحكم الهتلري . ولا ريب في ان الغزو الاسرائيلي لمصر قد وضع حداً لهذا الملاذ المصري ليهود العالم[٣].

وجاء في كتاب "تاريخ العرب : ولقد لقى اليهود من محاسنة المسلمين فوق ما لقيه النصارى برغم مما في بعض الآيات القرآنية من تنديد بهم. والسبب انهم كانوا قليلي العدد فلم يخشى آذاهم، وقد وجد المقدسي سنة ٩٨٥م ان اكثر الصيارفة وارباب البنوك في سوريا يهود واكثر الكتبة والاطباء نصارى ونرى في عهد عدد من

---

[1] المفهوم المادي للمسألة اليهودية- ابراهام ليون – ص١٥٦-١٥٧، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٠م ،

[2] - المفهوم المادي للمسألة اليهودية- ابراهام ليون /ص١٦١ .

[3] هكذا يضيع الشرق الاوسط- الفريد ليلينتال – ص ٢٩٤- ٢٩٥ .

الخلفاء واخصهم المعتصد (٨٩٢ ـ ٩٠٢م) انه كان لليهود في الدولة مراكز هامة. وكان لهم في بغداد مستعمرة كبيرة ظلت مزدهرة حتى سقوط المدينة. وقد زار هذه المستعمرة بنيامين التطيلي حول سنة ١١٦٩ م فوجد فيها عشر مدارس للحاخامين وثلاثة وعشرين كنيساً منها واحد رئيسي مزدان بالرخام المخطط ومجمل بالذهب والفضة، وافاض بنيامين في وصف الحفاوة التي لاقاها رئيس اليهود البابليين من المسلمين بصفته سليل بيت داوود النبي ورئيس الملة الاسرائيلية (ريش جاوثا) في الارامية أي امير السبي او بصفته في الواقع زعيم جميع اليهود الذين يدينون بالطاعة للخلافة في بغداد . فقد كان لرئيس الحاخاميين هذا من السلطة التشريعية على ابناء طائفته مثل ما كان للجاثليق على جميع النصارى، وقد روى انه كانت له ثروة ومكانة واملاك طائلة فيها الحدائق والبيوت والمزارع الخصبة، وكان اذا خرج الى المثول في حضرة الخليفة ارتدى الملابس الحريرية المطرزة وعمامة بيضاء موشاة فيها الجواهر واحاط به رهط من الفرسان وجرى امامه ساع يصيح باعلى صوته (افسحوا درباً لسيدنا ابن داوود)[١].

وهكذا فأنه ليس من المدهش أن اليهود الذين عاشوا في الأراضي الإسلامية في العصور الوسطى لم يحفظوا أية ذاكرة جماعية عن عنف قام به مسلمون ضد اليهود، ناهيك عن معاداة السامية. و هذا على خلاف شديد مع إخوانهم الذين عاشوا في الأراضي المسيحية والذين رسموا تاريخهم على شكل سلسلة طويلة من المعاناة. ولكن هنالك سلسلة واحدة من العنف تأتي إلى الذاكرة. وهي المذابح والتحويل القسري التي قامت به طائفة متعصبة من الموحّدين في شمال أفريقيا وأسبانيا في القرن الثاني عشر ضد اليهود والمسيحيين وحتى المسلمين المنشقين أو الذين لا يوافقون طريقتهم. وهذا الاضطهاد هو الذي أجبر عائلة ميمون على هجرة وترك أسبانيا والاغتراب[٢].

وفي ظل الدولة العثمانية تمتع اليهود في فلسطين، التي كانت خاضعة للحكم العثماني، منذ سنة ١٥١٧ م وفي اماكن اخرى من الامبراطورية العثمانية، بقسط

---

[1] تاريخ العرب- فيليب حتي، د. ادوارد جرجي - الجزء الثاني ، ص٤٣٧ ـ ٤٣٨ د. جبرائيل جبور/ دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٦١م.

[2] تعايش الأديان في الماضي : بقلم مارك كوهين، ترجمة كامل الزيادي.

كاف من الحرية الدينية، لم تكن من نصيبهم في أي بلد اوروبي، فخلال الحكم العثماني، لم تتخذ اية اجراءات رسمية تستحق الذكر، تناهض اليهود او تميز بينهم وبين باقي السكان، كما كان الحال في معظم الدول الاوروبية ان لم يكن فيها كلها[١].

فقد عاش اليهود تحت الحكم العثماني بسلام لكنهم كانوا يلاقون دوماً في اوروبا الشرقية تمييزاً وكراهية قوية كانت تتفاقم من وقت لآخر لتنتهي بالمذابح[٢]. وتؤكد (الموسوعة اليهودية) بان السلطان عبد الحميد الثاني عامل يهود الدولة العثمانية معاملة طيبة، ويشهد بذلك بعض المقربين اليه من اليهود امثال "ارمينيوس فامبري " الصديق الشخصي للسلطان الذي صرح : انه من خلال الصداقة المستمرة التي تربطني بالسلطان منذ سنوات طويلة كانت لي الفرصة للتعرف على معاملته الطيبة لليهود . وكان اول حاكم تركي يعطيهم المساواة امام القانون مع رعاياه المسلمين، وعندما استلم الحكم امر باعطاء رواتب شهرية لحاخام تركيا الاكبر وبمعنى آخر عامل الحاخام كما يعامل كبار موظفي الدولة واتخذ تقليداً بان يرسل سنوياً في عيد الفصح الى حاخام القسطنطينية ثمانية آلاف فرنك لتوزع على فقراء اليهود في العاصمة التركية، وعندما منعت حكومة كريت المحلية في عام ١٨٨١م مشاركة اليهود في الانتخابات البلدية الغى عبد الحميد هذه الانتخابات ووبخ السلطات لتعديها على حقوق اليهود[٣].

ويعزو بعض المؤرخين (غير المسلمين) سبب بقاء اليهود على قيد الحياة الى استضافة المسلمين وحمايتهم لهم. يقول ج.ه. جانسن في كتابه "الصهيونية واسرائيل وآسيا :" وفي مناسبتين من التاريخ اليهودي في اوروبا نرى ان بقاء اليهود على قيد الحياة يعود الى استضافة وحماية الحكام المسلمين، كانت الفترة الاولى في القرن السادس عندما وضعت الفتوحات الاسلامية في اسبانيا حداً للاضطهاد اليهودي على يد المسيحيين هناك، ومنذ القرن العاشر فصاعداً أخذ الضغط على اليهود في اوروبا الغربية في الازدياد ببطء حتى اذا ما اطل القرن السادس عشر كانت تلك

---

[1] تاريخ الصهيونية- صبري جريس - الجزء الاول ، ص ٦٠ ، م.ت.ف ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٨١م.

[2] الصهيونية و إسرائيل وآسيا- ج. هـ. جانسن - ص١٦ ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٧٢م.

[3] موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (١٨٩٧ ـ١٩٠٩م)- حسان علي الحلاق- ص٣٠٩ ـ ٣١٠ .

المنطقة بكاملها قد افرغت من اليهود ما عدا بعض الجيوب الصغيرة والمبعثرة، حيث انتقلت الجاليات اليهودية نحو الشرق ووجدت ملجأ لها في الامبراطورية العثمانية[١].

لقد ألّفَ اليهود في أراضي الأشكنازي(أوربا الوسطى والشرقية) عدداً كبيراً من القصائد والمراثي في أثر الاضطهادات التي تعرضوا لها والشهداء الذين سقطوا منهم وخاصة بعد مذابح اليهود في الراينلاند وفي أماكن أخرى خلال الحملة الصليبية الأولى، وقد أُدْخِلَ قسم كبير من هذا النصوص الرثائية إلى الطقوس الدينية والتي ما زالتْ تُتْلى في المعابد إلى يومنا هذا. وعلى العكس من هذا، ومن بين آلاف القصائد العبرية التي كُتِبَتْ خلال القرون الإسلامية الكلاسيكية، فإن القصيدة العبرية الوحيدة من العصور الوسطى التي تنوح وتبكي على اضطهاد تعرض له اليهود في أرض عربية هي قصيدة تبكي و تنوح على استئصال المجتمعات اليهودية في شمال أفريقيا وأسبانيا خلال حكم الموحّدين[٢].

منع هجرة اليهود الى فلسطين

كانت صلة اليهود بفلسطين عبر التاريخ وقبل وجود الصهيونية الاستعمارية، مجرد صلة دينية عاطفية ولم يكن لهم اية مطامع سياسية، وكان هذا الامر قبل السبي البابلي، الذي قام به نوخذ نصر، اذ انه من الثابت تاريخياً ان اليهود كانوا موزعين في العالم العربي ، وغير العربي، في ذلك الوقت، ولم يكونوا مجتمعين فقط في فلسطين، بل كانوا مواطنين في كثير من الدول . كانت صلة اليهود بفلسطين مجرد صلة دينية عاطفية ورغبة لدى بعض الفئات اليهودية المتدينة في الاقامة قرب الاماكن المقدسة للتعبد وممارسة الطقوس الدينية لقضاء ايامهم الاخيرة في المدن الاربعة المقدسة (القدس، صفد، طبرية، الخليل) ناهيك عن ان اليهود المتدينيين كانوا يؤمنون بفكرة بعث الدولة اليهودية في فلسطين بحدوث

---

[1] الصهيونية و إسرائيل وآسيا- ج. هـ. جانسن -ص١٦ ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٧٢م.

[2] تعايش الأديان في الماضي : بقلم مارك كوهين، ترجمة كامل الزيادي

معجزة الهية يظهر معها المسيح المنتظر الذي سيعيد بناء "هيكل سليمان " ويقود العالم نحو الخير والسلام[١] .

وقد شهد اليهود في حياتهم بين المسلمين في العالم الاسلامي، اكرم حياة وعوملوا أطيب معاملة، كانت مضرب المثل لليهود في الاقطار الاخرى. وقد شهد على ذلك المؤرخون اليهود والنصارى، بالاضافة الى المؤرخين المسلمين، فمنذ ان فتح المسلمون فلسطين ، سمح الخليفة عمر بن الخطاب لليهود بالعودة الى القدس ومنحهم قطعة ارض على جبل الزيتون لاقامة الصلوات، كما سمح لهم بعد ذلك السلطان صلاح الدين الايوبي بالعودة بعد الاضطهاد والابادة التي لاقوها اثناء الحروب الصليبية، واخيراً سمح لهم العثمانيون بالعودة الى فلسطين بعد طردهم من الاندلس[٢].

وبعد خضوع فلسطين للحكم العثماني في اوائل القرن السادس عشر، بدأ يهود اوروبا يهاجرون اليها واقاموا في الاماكن المقدسة، القدس، طبريا، صفد، الخليل . وفي منتصف القرن الثامن عشر هاجر عدد من يهود بولندا وروسيا الى فلسطين بسبب اضطهادهم هناك، واستقر معظمهم في صفد وطبريا حيث لاقوا تحت حكم ضاهر العمر الحماية والامن . كما لاقوا من مختلف السلاطين العثمانين المعاملة الحسنة، ثم ازداد عددهم في اوائل القرن التاسع عشر بعد ان ازداد تدفقهم من اسبانيا بسبب مظالم فرديناند الكاثوليكي وفيليب الثاني . ويسمى هؤلاء اليهود بالسفارديم أي اهل الكتاب[٣]. وحين وافق السلطان سليمان عام ١٥٦٢م على تحويل مدينة طبريا الى مدينة يهودية عارض المسيحيون، وتدخل البابا مع الصدر الاعظم لافساد المشروع ورفض العمال العرب ان يعملوا ولكن والي

---

[1] موقف عرب فلسطين من الهجرة اليهودية الصهيونية (١٨٨٢ ـ ١٩١٤م) - د. اسماعيل احمد ياغي - ص٢ .

[2] مجلة البحوث الاسلامية / العدد السابع ١٤٠٣هـ ، ص ٢٢ ، تصدر عن رئاسة ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الامانة العامة لهيئة كبار العلماء، الرياض .

[3] موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (١٨٩٧ ـ١٩٠٩م)- حسان علي الحلاق- ص٨٣ -الدار الجامعية/ بيروت- ط٢. ١٩٨٠ م

دمشق ساعد على اتمام بناء السور الا ان التطور توقف بموت السلطان سليم سنة ١٥٧٤[1] .

ولم يواجه المهاجرون اليهود أي عقبة سياسية لان زعماء المسلمين لم يرفضوا في أي فترة السماح لليهود القادمين من البلدان الاجنبية بدخول فلسطين والاستيطان فيها . ولم يمنح هذا السماح للمسيحيين الغربيين، وبعد وصول اول فوج من المستوطنين الصهيونيين من رومانيا عام ١٨٨٢م اصدر السلطان عبد الحميد لاول مرة في التاريخ ، عام ١٨٨٥م، امراً يسمح بدخول اليهود كحجاج فقط لا كمستوطنين . على ان القانون لم ينفذ ابداً بصرامة، ولكن هذا القانون وما تلاه من قوانين تقيد الهجرة كانت تنطبق فقط على اليهود الاجانب، اما مئات الآلاف من المواطنين اليهود في البلدان المحيطة بفلسطين والخاضعة للامبراطورية العثمانية فقد كان باستطاعتهم دوماً الاستيطان في فلسطين[2] .

ففي الماضي كان يباح للاجنبي الاتجار مع البلاد العثمانية والمكوث فيها دون ان يملك اقل قطعة من الارض، لان الشرع الاسلامي لا يبيح له دخول البلاد الاسلامية الا اذا قبل احد امرين الجزية او الاسلام، واذا دخلها فلا يقيم بها الا لاجل معين الى ان تغير ذلك في ٧ صفر ١٢٨٤هـ (١٨٥٦م) بصدور الخط الهمايوني الذي يساوي بين حق الاجنبي وحق العثماني في الامتلاك العقاري بالبلاد العثمانية . ولكن الاوامر الجديدة كانت تستثنى اليهود الاجانب من التملك في فلسطين . وقد اشارت جريدة المؤيد في ١٨٩١/١١/٥م بان الدولة العلية كانت قد رحبت بالمهاجرين من يهود روسيا فكانت بذلك اعرف الدول بحقوق الانسانية ولكنها رأت بعد ذلك انهم يفدون الى البلاد التي يقصدونها زمراً وجماعات بحيث يضيق عنهم قضاء تلك البلدان، فلما تدبر الباب العالي في المضار التي تلحق الرعايا العثمانية من وفودهم بهذه الصفة اضطرت ان تمنع دخولهم الاراضي العثمانية[3] .

---

[1] موقف عرب فلسطين من الهجرة اليهودية الصهيونية (١٨٨٢ ـ ١٩١٤م) - د. اسماعيل احمد ياغي- ص٣ .

[2] الصهيونية و إسرائيل وآسيا- ج. هـ. جانسن -ص٢٣ .

[3] النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه (١٩٨٠ـ١٩١٨م)- د. خيرية قاسمية – ص٢٤-٢٥، م.ت. ف، مركز الابحاث، بيروت، ١٨٧٣م

لقد كان وصول المهاجرين اليهود الى اراضي الدولة العثمانية - ومنها فلسطين - يستقبل بعدم المبالاة، وينظر اليه نظرة انسانية، خاصة ان هؤلاء المهاجرين كانوا يأتون للاقامة من اجل العبادة، ويهربون من المذابح التي يلاقونها في بلاد اخرى ليست من العالم الاسلامي . ولا يعقل ان يخطر ببال المهاجرين الاساءة الى العرب في قطرهم وهم الذين رحبوا بهم وافسحوا لهم صدرهم الآن وعلى مدى عصور التاريخ[١].

ظهور الصهيونية والعداء لليهود

هكذا نجد ان المعاملة الطيبة، التي لا مثيل لها في أي بلد آخر، التي لاقاها اليهود في العالم الاسلامي لم تتغير الا بعد نشوء الصهيونية التي ابتكرها ورعاها، وخطط لها ونفذها المستعمرون غير اليهود اولاً ثم حفنة من عملائهم اليهود الصهاينة بعد ذلك كحل لمشكلة اليهود في اوروبا وتحقيقاً لنبوءات توراتية. فهذا العداء -كما يقول الشيخ القرضاوي- لم نبتكره نحن لسنا الذين اخترعنا هذا العداء.. اليهود عاشوا بين المسلمين وبين ظاهراني المسلمين قرون عديدة حتى حينما اضطهدتهم أوروبا ولفظتهم أوروبا لم يجدوا صدرا حنونا ولم يجدوا كهفا يؤوون إليه ويعيشون فيه آمنين مطمئنين إلا دار الإسلام.. أوطان المسلمين هي التي وسعتهم . ولكن عندما احتل اليهود أرض فلسطين وشردوا أهلها وفعلوا ما فعلوا فهم الذين بدؤوا بالعداء ولم نبدأ نحن بالعداء.

ويضيف : بل أنا أقول ربما كان اليهود أقرب إلى المسلمين من ناحية العقيدة ومن ناحية الشريعة أكثر من المسيحيين لأن اليهود لا يؤلهون موسى ليست عندهم عقيدة تثليث هم لا يؤلهون موسى كما يُؤله المسيحيون عيسى ابن مريم هم من ناحية الشريعة في كثير من الأشياء يتفقون مع المسلمين. النصارى لا يذبحون اليهود يذبحون، النصارى لا يختنون أبناءهم اليهود يختنون، النصارى لا يحرمون الخنزير اليهود يحرمون الخنزير ..النصارى لا يحرمون التماثيل ومعابدهم وكنائسهم مليئة بالتماثيل اليهود يحرمون التماثيل، أشياء كثيرة يتفق فيها اليهود مع

---

[1] موقف عرب فلسطين من الهجرة اليهودية الصهيونية (١٨٨٢ - ١٩١٤م) -د. اسماعيل احمد ياغي - ص٣ .

المسلمين فليست المشكلة مع اليهود مشكلة عقيدة ولا شريعة إنما هي مشكلة أطماع وأشياء جعلت هذا الموقف منذ العهد النبوي مع اليهود ثم في عهدنا هذا منذ بدؤوا يطمعون في أرض الإسراء والمعراج أرض فلسطين المقدسة المباركة[1].

وهكذا نجد انه ليس هناك من مبرر اطلاقاً، للاعتداء على أي قطر من اقطار العالم الاسلامي، (بسبب اضطهاد اليهود)، او (بسبب اللاسامية)، أو (بسبب المسألة اليهودية) التي لم يكن قد وقع عليهم بسببها أي اذى في العالم الاسلامي . فلم يكن هناك اضطهاد، ولا مذابح ، بفضل سماحة الاسلام والمسلمين . ولم يكن هناك لا سامية في العالم الاسلامي، خاصة في العالم العربي لان العرب هم اساس العرق السامي . ولم يكن هناك مشكلة يهودية في أي قطر عربي او اسلامي لانهم كانوا يعاملون احسن معاملة يلقاها اخوانهم في الدين في أي بلد في العالم. وكان من الاولى ان تحل مشكلتهم عند من اوجدوها . عند اولئك الذين اوقعوا فيهم المذابح والاضطهادات، وعند الذين اخترعوا اللاسامية ومارسوها، وعند اولئك الذين اوجدوا المشكلة اليهودية. ان معذبي اليهود كانوا غربيين : الجرمان واللاسامية توجد في امريكا وفي بريطانيا، كما توجد في كثير من البلدان الغربية ولكنها لم توجد في البلدان العربية قط[2]. وحتى قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م لم تسيطر الصهيونية على اليهود الشرقيين لانهم لم يعانوا من اللاسامية في البلدان التي اقاموا فيها[3]. ولكن انقلب بعد ذلك كل شيء، بفضل مخططات الاستعمار الغربي الذي بدأ بالتعاون مع عملائه الصهاينة ـ بافتعال القتل والحرق والدمار ضد المواطنين اليهود في البلاد الاسلامية والعربية خاصة، مما ادى وعن سابق تخطيط الى تهجير مئات الآلوف من اليهود العرب الى إسرائيل ليشاركوا في بناء الدولة الاسرائيلية.

يقول الفرد ليلينتال: والغريب العجيب ان يقف اليهود من العرب هذا الموقف العدائي الوحشي وهم الذين نعموا في ظل الدولة العربية الاسلامية بالسلام والرخاء، بينما يتعرضون في اوروبا لضروب الاضطهاد : لقد منحهم الاسلام الحرية

---

[1] علاقة المسلمين باليهود - الشيخ يوسف القرضاوي – برامج الشريعة والحياة – تقديم خذيجه بنت قنه - الأربعاء ١٧ يناير ٢٠٠٧ قناة الجزيرة

[2] هكذا يضيع الشرق الاوسط- الفريد ليلينتال - ص٣١٤..

[3] الصهيونية و إسرائيل وآسيا- ج. هـ. جانسن -ص٤٣.

واعتبرهم "اهل الكتاب " واتاح لهم الفرصة للوصول الى المراتب العليا في الدولة وشجع وأكرم من نبغ منهم من الشعراء، والفلاسفة، والعلماء، والاطباء، والمؤرخين .. وفي هذا الوقت بالذات كانوا يعتبرون في اوروبا "قتلة الرب" و "جلادي المسيح" وكانوا متكتلين في جماعات مغلقة على ذاتها، وبسب هذه العزلة عانوا الواناً من الزراية والاضطهاد وكثيراً ما اخذوا بجريرة آثار لم يرتكبوها[1] .

فرغم حسن معاملة الإسلام لليهود فإنهم اعتبروه مجرد صياغة بشرية لمادة من التوراة أو التلمود، وحاولوا احتواء الإسلام بكل الوسائل، ولم ينظروا إلى ما أثبتته نصوصه من تحريف الأحبار لأصل اليهودية، وما أدخلوه بموجب ذلك التحريف من كذب وتزوير، لذلك استخدم أحبار اليهود في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم مختلف الكيد، ووصفهم القرآن بأنهم أشد عداوة للذين آمنوا، كما حاولوا إدخال كثير من التشويه إلى مصادر الإسلام، أطلق عليه المفسرون مصطلح "الإسرائيليات ." وفي العصر الحديث ربطت الصهيونية بين الإسلام والتخلف، وبينه وبين الأصولية والإرهاب، ومعاداة الحضارة الغربية، كل ذلك من أجل تشويه صورته، وحجب حقيقته، وحاولت بكل الوسائل أن تحجب الآراء اليهودية التي تدعو إلى الحوار بين الإسلام واليهودية، أو التي لا تعتبر الإسلام عدوا لليهود[2] .

وهكذا انتج النزاع العربي اليهودي حول فلسطين قضية سياسية جديدة أثّرتْ على تاريخ اليهودية في القرون الوسطى في العالم الإسلامي. لقد استغل كلا الجانبين الصراع وعدّل قراءة خرافة التعايش الطوباوي بين الدينين لخدمة أغراضه السياسية. فقد لوّح العرب وكذلك مؤيدي القومية العربية براية التناغم والتآلف والتوافق العربي-اليهودي في الماضي وألقوا باللوم على الصهيونية المعاصرة لعدائها للعرب في الوقت الحاضر. بالمثل، استبدل عدد من الكُتّاب الصهاينة نظرية العصر الذهبي بما أدعُوُه النظرية المضادة -الاضطهاد الإسلامي أو الفهم البكائي الحزين للتاريخ العربي اليهودي. وزعم أؤلئك المُعَدِّلُون(الذين عدّلوا النظرة التاريخية السائدة) أن الحياة اليهودية في الإسلام بدايةً بالنبي محمد (ص) تميزت

---

[1] فلسطين الفكر والكلمة- د. محمود السمرة- ص٢٥٥، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ م.

[2] الموقف اليهودي والإسرائيلي من الحوار مع المسيحية والإسلام - مركز زايد للتنسيق والمتابعة.

بالصعوبة والمشقة والاضطهاد تماثل بالمرارة المعاناة الفظيعة التي شهدتها الحياة اليهودية في العالم المسيحي. وهذا يتضمن ان معاداة السامية عند العرب ليست أمراً جديداً ولكنه مرض مزمن قديم، وليس من المحتمل أن يذهب أو يزول حتى لو قامت إسرائيل بتنازلات سياسية كبيرة من أجل سلام الأمة الفلسطينية الناشئة[١].

ولكن إذا انتهى يوما ما الصراع بين العرب واليهود بصورة تامة، عندئذ سيُصْبِحَ ممكناً رؤية الماضي مرة أخرى ليس، بالطبع، كتعايش طوباوي بين الدينين ولكن كزمن عاش فيه اليهود مغروسين في مجتمع إسلامي في تعايش خلاّق مشتركين في أمور كثيرة ومتحررين إلى درجة كبيرة من البغضاء ومعاداة السامية التي عانى منها إخوانهم في الأراضي المسيحية[٢].

الحوار مع اليهود بين الرفض والقبول

أصدر مركز زايد للتنسيق والمتابعة دراسة تناولت موضوع "الموقف اليهودي والإسرائيلي من الحوار مع المسيحية والإسلام"، حيث وقفت عند ذلك الموقف عبر التاريخ، والمحددات التي حكمته، والخلفيات التي وجهته، بصورة تجمع بين استحضار الوثائق والشواهد، وتحليل الآراء والوقوف عند أبعادها، بأسلوب علمي رصين .

وتتبعت الدراسة موضوع الحوار في الديانة اليهودية بصورة عامة، فبينت مرتكزاته، وأسلوبه، ومعوقات قيامه، وكيف توجه اليهود إلى الانعزالية، والحذر من الاحتكاك والحوار مع الشعوب الأخرى، رغم ما فرضه عليهم منطق التاريخ من علاقات مع بعض المجتمعات عن طريق المصاهرة والاختلاط، وإن كانت علاقات ظلت دائما محل ريبة وحذر، وموضع تأثيم من قبل التيار العريض من معتنقي اليهودية، بل إن الجدل الذي دار حول ظاهرة الاختلاط، ولو عن طريق المصاهرة، نظرت إليه أسفار العهد القديم باعتباره مهددا لديانة بني إسرائيل التوحيدية، مما

---

[1] تعايش الأديان في الماضي : بقلم مارك كوهين، ترجمة كامل الزيادي-. نشر المقال باللغة الألمانية في صحيفة فرانكفورتر ألكمانية تسايتونغ بتاريخ ٢٥،١٠،٢٠٠٣ -- موقع قنطره
http://www.qantara.de/webcom/show_softlink.php?wc_c=339

[2] تعايش الأديان في الماضي : بقلم مارك كوهين، ترجمة كامل الزيادي.

دعا بعض أنبياء اليهود، مثل عزرا ونحميا إلى المطالبة بتحريم الزواج من الأجنبيات مطلقا، لئلا يؤثر على نقاء الدم الإسرائيلي [1].

وخلصت الدراسة الى أن مجتمعا، كالمجتمع اليهودي والإسرائيلي، لا يمكن أن يقبل بالحوار؛ لاعتقاده الديني بأنه صفوة البشر التي اختارها الإله، وأعطاها العهد، وبشرها بالخلاص، وخصها بالطهارة والفضل، وأن غيره "أغيار أغراب " لا تنبغي مخالطتهم، ولا العيش معهم لتدنيهم ودنسهم؛ الأمر الذي فرض أن يقام الحي اليهودي الخالص (الجيتو) في المدن الأوروبية خلال القرون الوسطى، والذي شجعته الصهيونية في العصر الحديث؛ بل على أساس من فكرته، وتذمرا من واقعه كان البحث عن وطن بديل، وكانت فلسطين أرض الميعاد والخلاص .

وتضيف الدراسة : "أن موقف اليهود من الحوار مع الإسلام كان سلبيا، ومحكوما بنظرة سياسية قوامها إقناع المسلمين بأحقية اليهود في فلسطين، واستصدار فتاوى من أئمة الإسلام تحرم الجهاد ضد المحتلين، وتقرن بين العمليات الاستشهادية من أجل الدفاع عن النفس والأرض بالانتحار، وتصف الفلسطينيين بالإرهابيين[2].

اما الشيخ يوسف القرضاوي فيرى :ان الإسلام يرحب بالحوار دائما ومنهج الدعوة الإسلامية كما شرحه القرآن الكريم "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " الحكمة والموعظة الحسنة مع الموافقين والجدال مع المخالفين ولكن القرآن قيد هذا في آية أخرى في قوله تعالى" ولا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ" إلا الذين ظلموا منهم الظلمة من أهل الكتاب ليس بيننا وبينهم حوارونحن نرفض الحوار مع حاخامات اليهود الذين يعيشون في إسرائيل ويؤيدون ما تقوم به إسرائيل من مظالم. إنما هناك يهود يعارضون قيام إسرائيل ويرون أن قيام إسرائيل ضد حكم الله هؤلاء نحاورهم نجلس معهم أما هؤلاء الذين يؤيدون البطش والجبروت الإسرائيلي والاستكبار في

---

[1] الموقف اليهودي والإسرائيلي من الحوار مع المسيحية والإسلام - مركز زايد للتنسيق والمتابعة.
[2] الموقف اليهودي والإسرائيلي من الحوار مع المسيحية والإسلام - مركز زايد للتنسيق والمتابعة.

الأرض وقتل الناس بغير حق هؤلاء لا نضع أيدينا في أيديهم نحن مع الحوار ولكن الحوار لمن يستحق الحوار.

ويضيف الشيخ القرضاوي : ان يهود هذا العصر هم يهود عصر الرسالة يعني من ناحية العقيدة ومن ناحية الشريعة ... ونحن الآن لا نتكلم من حيث عقيدتهم وشريعتهم لكن نتكلم من حيث المظالم التي ارتكبوها هذا هو سبب العداء بيننا وبينهم المعركة بيننا وبين اليهود ليست من أجل العقيدة بعض الناس يمكن ان يظن أننا نحارب اليهود من أجل عقيدتهم هذا خطأ نحن لا نحارب اليهود من أجل عقيدتهم نحارب اليهود من أجل الأرض التي اغتصبوها وشردوا أهلها من أجل أنهم احتلوا الأرض هذا هو سبب المعركة بيننا أما اليهود كيهود ليس بيننا وبينهم معركة[١].

وتخلص دراسة مركز زايد الى القول :بخصوص الحوار مع اليهودية، فلا بد من التمييز الواضح بين الجانب المتعلق بالمعتقدات و القيم الدينية والجانب المتعلق بالتوظيف السياسي والأيديولوجي لهذه القيم و المعتقدات كما هو شأن الفكر الصهيوني الذي قامت عليه الدولة الإسرائيلية المغتصبة و العدوانية. و لئن كان الإسلام يعترف برسالة موسى و يعظم أنبياء بني إسرائيل، و يقترب من حيث أحكامه و تعاليمه من الشريعة اليهودية، فإن النصوص التلمودية و شروح الهالاخاه المعتمدة لدى المؤسسة الدينية اليهودية لا تزال مشبعة بالكراهية و الحقد على الديانة المسلمة و لا تزال رافضة الإعتراف برسالة الإسلام، و من ثم فإن أي حوار مطلوب بين الإسلام و اليهودية يتطلب أولا تصحيح هذا الخلل الخطير في التعامل مع الديانات الأخرى[2].

ويجب الاشارة هنا الى ان كثير من المؤرخين يغرق عند مواجهتهم لادعاءات اليهود المعاصرين بحقهم في فلسطين في الانشغال بعلوم الآثار، وذكر الشعوب التي استوطنت أو حكمت أو مرت على فلسطين وكم حكم كل منها هذه الأرض

---

[1] علاقة المسلمين باليهود - الشيخ يوسف القرضاوي – برامج الشريعة والحياة – تقديم خذيجه بنت قنه - تاريخ النشر: الأربعاء ١٧ يناير ٢٠٠٧ قناة الجزيرة

[2] الموقف اليهودي والإسرائيلي من الحوار مع المسيحية والإسلام - مركز زايد للتنسيق والمتابعة.

ليخرجوا في النهاية بنتيجة مؤداها ضآلة الفترة والمساحة التي حكم فيها اليهود عبر التاريخ مقارنة بالعرب والمسلمين، ورغم أن هذا الجانب مفيد في رد ادعاءات اليهود من النواحي التاريخية والعقلية المنطقية، إلا أن كثيراً من هؤلاء الكتاب والمؤرخين يقعون في خطأين كبيرين حسبما يظهر لنا:

• الأول: اعتبار تراث الأنبياء الذين أرسلوا إلى بني إسرائيل أو قادوهم تراثاً خاصاً باليهود فقط، وهذا ما يريده اليهود !!

• الثاني: الإساءة إلى سيرة عدد من أنبياء بني إسرائيل باستخدام الاستدلالات المستندة إلى توراة اليهود المحرفة نفسها، وهم عندما يستخدمونها فإنما يقصدون الإشارة إلى "السلوك المشين" لبني إسرائيل وقادتهم عندما حلوا في فلسطين، ليضعفوا من قيمة دولتهم ويبينوا انحطاط مستواهم الحضاري، ويدخل أصحاب هذا المنهج في الاستدلال بما ذكرته الإسرائيليات من اتهام للأنبياء بالغش والكذب والزنى واغتصاب الحقوق وقتل الأبرياء، في محاولات لإثبات قسوة ومكر ولؤم اليهود وتشويه صورة حكمهم ودولتهم في ذلك الزمان .

يضاف الى ذلك امر مهم جداً وهو ان بعض الذين تصدوا للبحث في تاريخ بني اسرائيل قد اتوا على كل شئ في تاريخ اليهود نفياً والغاء، .. حيث تعرضت التوراة لنقد قاس من قبل عديد من الباحثين، وقد تراوح هذا النقد من ابداء ملاحظات مهمة حول مصداقية وقائع جاءت في التوراة او القيمة الحقيقية لبعض الاسفار، الى النفي الكامل لقدسية التوراة وصدق الديانه اليهودية. وتأتي خطورة الرؤية الاخيرة من انها لا تصطدم مع العقيدة اليهودية وحدها .. اذ ان النفي المطلق لليهودية انما يصطدم تماماً بالمسيحية والاسلام على السواء .. وعلى ذلك فإن نفي التوراة انما يعني ضمناً نفي الانجيل والقرآن معا[1] .

وهنا يجب ان ننبه الى ان القرآن الكريم كفانا مؤونة التعرف على أخلاق اليهود وفسادهم وإفسادهم، غير أن أنبياءهم وصالحيهم أمر آخر، فالأنبياء خير البشر، ولا ينبغي الإساءة إليهم والانجرار خلف الروايات الإسرائيلية المحرفة، التي لا تسيء للأنبياء فقط وإنما لله تبارك وتعالى . لقد حرف اليهود التوراة، وساروا على نهج

[1] ما بعد اسرائيل – بداية التوراة ونهاية الصهيونية – احمد المسلماني- ص ٤٧

التوراة المحرفة في أخلاقهم وفسادهم وإفسادهم محتجين بما نسبوه إلى أنبيائهم كذباً وزوراً، ومن الواجب على المؤرخين وخصوصاً المسلمين ألا يندفعوا في استقرائهم لتاريخ فلسطين إلى اتهام أنبياء اللّه بما افتراه عليهم اليهود وذلك في سبيل إثبات حق الأقوام الأخرى في فلسطين [١].

ولكن قد يظن بعض المسلمين أنه إعمالاً لقاعدة المعاملة بالمثل، يعامل اليهود في البلاد العربية والاوربية بمثل ما يعاملون به المدنيين في فلسطين وهو القتل ومصادرة الاموال او سلبها. واعتقد ان هذا تصرف لا يقبله الاسلام "لا تزر وازرة وزر اخرى"، ولكن من المؤسف ان بعض المسلمين اليوم تبنوا عدداً من صفات وخواص معاداة السامية الأوربية بعد أن تأسْلَمَتْ كراهية اليهود هذه، أي اتخذت طابعاً إسلامياً مدعوماً بخليط من نصوص معادية لليهود من المصادر الإسلامية، تلك النصوص التي لم يكن من أهمية لها ولا تأثير لها على معاملة المسلمين لليهود في القرون السابقة. ولكن بعد ظهور الصهيونية واسرائيل كان متوقعاً ان يعتم موقف العداء هذا على أي فهم متوازن لماضي الإسلام الحقيقي ومواقفه وسياسته المتسامحة المتساهلة تجاه اليهود والأقليات غير المسلمة الأخرى. كما ان هنالك عدد من اليهود من البلاد العربية الذين يعيشون الآن في إسرائيل استبدلوا ذاكرة القبول الإسلامي لليهود وفترة الانسجام الكبير في الماضي ببغض ومقت شديد ضد الإسلام في الوقت الحاضر.

ولهذا يجب أن تبذل الجهود في كل أنحاء العالم سواء في الشرق الأوسط أو أوربا أو أميركا من أجل تشجيع فهم أكثر توازناً للعلاقات اليهودية الإسلامية في القرون الوسطى وذلك بدعوة المسلمين واليهود من أجل استكشاف الثقافة المشتركة في الماضي[٢]. فهل يمكن لمتغيرات سياسية أن تخفف من حدة هذا العداء

---

[1] تاريخ فلسطين قبل الإسلام -وقفات مع تاريخ صراع الحق والباطل على أرض فلسطين

[2] تعايش الأديان في الماضي : بقلم مارك كوهين، ترجمة كامل الزيادي-. نشر المقال باللغة الألمانية في صحيفة فرانكفورتر ألكمانية تسايتونغ بتاريخ ٢٥،١٠،٢٠٠٣ -- موقع قنطره **http://www.qantara.de/webcom/show_softlink.php?wc_c=339**

كالوصول إلى حل سياسي لأزمة الشرق الأوسط، لأن العيش في تسامح محفور في الذاكرة التاريخية[1].

آفاق الحوار الإسلامي مع الديانات التوحيدية في العصر الحاضر[2]

من المؤكد أن الحوار الإسلامي مع الديانات الأخرى اليوم يختلف كليا من حيث الأهداف والآليات عن تجربة الحوار السابقة في العصور الوسطى، لإختلاف السياقات وتغير أنماط التدين وأشكال حضور الدين في المجتمعات المعاصرة بالمقارنة مع المجتمعات الإسلامية والمسيحية الوسيطة التي كانت تنتظم بحسب مقاييس الدين. ومع ذلك فإنه يجب الحفاظ على لب الرؤية الإسلامية المنفتحة والمتسامحة من أجل جدال بالتي هي أحسن مع الحضارتين اليهودية والمسيحية. ويمكن أن نقسم الرهانات المستقبلية لهذا الحوار إلى ثلاثة ملفات حيوية : ملف ديني، و ملف حضاري، و ملف إستراتيجي.

أما الملف الديني فيتعلق بضرورة التغلب على أنماط التشويه و سوء الفهم الموروثة عن حقبة الصراعات الدينية السابقة و الحروب الصليبية. و لا يكون ذلك إلا بتشجيع الدراسات المقارنة بين الديانات الثلاث لتبيان الأوجه المشتركة الكبيرة بينها، و للتدليل على أن الفروق الطفيفة بينها لا تشكل عائقا للتعايش والتفاعل بينها. ففي الساحة الغربية يجب مراجعة الدراسات الإستشراقية المتأثرة بمناخ الحروب الصليبية لتنقيتها من ما خالطها من دس و تشويه لصورة الإسلام و نبيه وقيمه وشعائره، مع الإستفادة من كبار المستشرقين المنصفين الذين أشادوا بروحانية الإسلام وسماحة قيمه وتسامحه. ولا بد هنا من التنويه بالخطوات الإيجابية التي قطعتها الكنيسة الكاتولوكية منذ المجمع الفاتيكاني وصدور وثيقة Nostra

---

[1] في ظل الصليب والهلال: اليهود في العصور الوسطى- مارك كوهين– مراجعة بيآته هنريشس - ترجمة عبد اللطيف شعيب - دار نشر بيك، ميونيخ مارس/آذار ٢٠٠٥ - حقوق الطبع قنطرة ٢٠٠٥ - الأحد 06 فبراير 2005

[2] المصدر:الحوار الإسلامي مع الأديان التوحيدية الأخرى: الخلفيات و الآفاق - الدكتور عبد الملك منصور حسن المصعبي.

Actate عام 1965 التي تبنت الحوار مع المسلمين والإنفتاح عليهم، من منطلق تعزيز المحبة والوحدة بين أتباع الديانات التوحيدية.

فقد نص المجمع الفاتيكاني بوضوح على "ان الكنيسة تنظر بتقدير الى المسلمين الذين يعبدون الله الأوحد، الحي القيوم، الرحيم القدير، خالق السماء والأرض، الذي وجه كلامه إلى البشر، و إنهم يسعون في الخضوع بكل نفوسهم لأحكامه الحقة كما خضع إبراهيم لله، الذي ينتمي إليه الإيمان الإسلامي بطيبة خاطر. و أنهم يجلون يسوع كنبي، و إن لم يعترفوا به كإله، و يكرمون مريم أمه العذراء... وإذا كانت قد نشأت، على مر القرون، منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيين والمسلمين، فالمجمع المقدس يحض الجميع على أن يتناسوا الماضي، ويسعوا في تحقيق تفاهم صادق بينهم، ويعملوا معا على صيانة ودعم العدل في المجتمع والقيم الأخلاقية، وأيضا السلم والحرية لجميع البشر"[1].

إن هذه المقاربة الجديدة تفتح الباب واسعا للحوار البناء بين المسلمين الذين لم يكن لهم أصلا مشكل عقدي مع الديانة المسيحية، وإن كان لا بد من التنبيه إلى أن بعض التيارات الأصولية المسيحية المتطرفة لاتزال تتمسك بالصورة المشوهة السابقة، ومن بينها الحركات الصهيونية المسيحية في أمريكا. و قد إستمعنا لبعض رموز وأركان هذا التيار يسب الإسلام و ينعته بالديانة الزائفة الشريرة بعد تفجيرات نيويورك في سبتمبر ٢٠٠١.

أما بخصوص اليهودية، فلا بد من التمييز الواضح بين الجانب المتعلق بالمعتقدات و القيم الدينية والجانب المتعلق بالتوظيف السياسي والأيديولوجي لهذه القيم والمعتقدات كما هو شأن الفكر الصهيوني الذي قامت عليه الدولة الإسرائيلية المغتصبة والعدوانية. ولئن كان الإسلام يعترف برسالة موسى ويعظم أنبياء بني إسرائيل، ويقترب من حيث أحكامه وتعاليمه من الشريعة اليهودية (في مقابل المسيحية التي لا شرائع لها)، فإن النصوص التلمودية و شروح الهالاخاه المعتمدة لدى المؤسسة الدينية اليهودية لا تزال مشبعة بالكراهية والحقد على الديانتين

---

[1] حول الحوار الإسلامي – المسيحي راجع :ندوة العيش المشترك في الإسلام و المسيحية – اللجنة الوطنية اللبنانية للتربية و الثقافة و العلوم – بيروت ٢٠٠٢ – راجع على الخصوص بحث د. محمد السماك : في ثقافة الحوار الإسلامي – المسيحي (ص ٢٦٠ – ٢٦٦)

المسيحية والمسلمة ولا تزال رافضة الإعتراف برسالة الإسلام، ومن ثم فإن أي حوار مطلوب بين الإسلام واليهودية يتطلب أولا تصحيح هذا الخلل الخطير في التعامل مع الديانات الأخرى.

و في الساحة الإسلامية، لا بد من مراجعة بعض الأحكام الفقهية والتأويلات الدينية التي تنظر نظرة مناوئة لأتباع الديانات الأخرى، ومنها أحكام أهل الذمة التي تحتاج الى اعادة دراسة لتتناسب مع مفهوم دولة المواطنة المدنية الحديثة. وكثيرا ما يفهم من آيات السيف الواردة في سورة براءة أن علاقة الإسلام بأهل الكتاب بعد إنتصار الإسلام أصبحت تقوم على الحرب لفرض الإستسلام والجزية. ولقد فند العلامة رشيد رضا في تفسيره "المنار" هذه الصورة مبينا أن المقصود من الآيات المذكورة وخصوصا الآية ٢٩ " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون "هو" أنها تعني قاتلوا الفريق من أهل الكتاب، عند وجود ما يقتضي وجوب القتال كالإعتداء عليكم أو على بلادكم أو إضطهادكم وفتنتكم عن دينكم أو تهديد أمنكم وسلامتكم". ففي القرآن مائة آية موزعة على ٤٨ سورة تأمر بالتعامل الحسن مع أهل الكتاب، في مقابل تلك الآيات التي نزلت في سياق محدود معروف.

فقوانين الشريعة المحكمة والمفصلة تحمي غير المسلمين الذين يعيشون في أقطار إسلامية. ولكن نال من هذا الاتساق بدرجة كبيرة التنافس بين الإسلام والمسيحية على الهيمنة العالمية والذي تمثل في صورة مصغرة في الحروب الصليبية ومنذ وقت قريب تنامى الخلاف بين الإسلام والمسيحية؛ بسبب قيام دولة إسرائيل، ومساعدة الغرب لها مساعدة غير مشروطة، بزعامة الولايات المتحدة[1].

وربما ساهم ذلك فى رسم صور نمطية عن الغرب االمسيحي والمسيحية بعيده عن الفهم القرآنى، فلم يعد السيد المسيح حاضرا بأفكاره وروحه السلامية في حياتنا نحن المسلمين حضورا ملائما يكافئ الشخصية وحضورها القرآني.

---

[1] الاسلام والغرب : تعاون أم صدام – رالف بريبانتي- **http://www.science-islam.net/article.php3?id_article=630&lang=ar**

والمثير أننا عندما نحاول الاقتراب منه فلا يكون إلا من خلال الفروق العقائدية حيث تنتشر أشرطة وكتب تنفي الصلب والتأكيد على أن الله رفعه إليه، وهذه حدود عقائدية لا مجال للتلاعب فيها أو التنازل عنها، أو حتى المحاباة بادعاء أي تقريب. لكن أن نختصر الشأن القرآني في هذه المعاني وننسى أن نقد القرآن لعقائد أهل الكتاب لم ينسحب على الحياة الاجتماعية (أن تبروهم).. والعلاقات الإنسانية (أليست نفسا).. بل تساكنوا في حياة تعاقدية أثراها التعدد وحفظها التوحد (ولا يزالون مختلفين) ولذلك خلقهم، وتجسد ذلك في دستور المدينة بين المسلمين واليهود ولولا افسادات اليهود لرأينا تجربة تعددية نادرة وفريدة.

أما الملف الحضاري فيتعلق بعلاقة حوار الديانات بحوار الحضارات الذي هو من الشعارات الأساسية المطروحة اليوم. فمع أن الحضارة الغربية ليست كما هو معروف حضارة يهودية – مسيحية، إلا أنه لا يمكن إنكار أهمية هذا العامل الديني في تشكلها التاريخي – فهي الحضارة التي ورثت الإمبراطوريات المسيحية الوسيطة، وإستوعبت التراث الديني اليهودي والمسيحي في مفاهيمها وقيمها الحضارية والسلوكية. فالمشكل المطروح اليوم هو هل يشترك المسلمون مع اليهود والمسيحيين في القيم والمفاهيم المؤسسة للحضارة الحديثة ؟ لقد طرح هذا السؤال بحدة وقوة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١. ومن أبرز تجلياته الرسالة التي بعثها ستون مثقفا أمريكيا من المحافظين المتدينين إلى مثقفي العالم الإسلامي يطالبنوهم فيها بالإندماج في الثقافة العالمية الحديثة بالإنطلاق من خمسة مبادئ، لا يرون أن الإسلام يقرها وهي :

١- إن البشر يولدون متساوين في الكرامة كما في الحقوق.

٢- الشخصية الإنسانية هي العنصر الأساسي في المجتمع، وتكمن شرعية دور الحكم في حماية هذه الشخصية، والمساعدة في تأمين فرص التفتح الإنساني لها.

٣- يرغب البشر بطبيعتهم في البحث عن غاية الحياة و مقاصدها.

٤- حرية الضمير والحرية الدينية من الحقوق التي لا يمكن إنتهاكها في الشخصية الإنسانية.

٥- القتل بإسم الله مخالف للإيمان بالله وهو يشكل خيانة عظمى لكونية الإيمان الديني[١].

وبطبيعة الأمر، ليس للمسلمين إعتراض على هذه المبادئ الخمسة التي أصّلها الإسلام وشدد عليها منذ أربعة عشر قرنا بتكريسه تكريم الإنسان، وتحريم قتل النفس بغير حق، ورفضه الإكراه في الدين، ومطالبته بالعدل بين الناس.. ومع ذلك، فلا بد للمسلمين من بذل جهد علمي وفكري واسع لتفسير وشرح منطلقاتهم الحضارية، وتنقية دينهم من شوائب التطرف والتشدد التي ليست منه وإنما هي من دس وتشويه مجموعات وحركات الغلو والتنطع.

ولا بد في هذا السياق من التنبيه إلى الأصول الشرقية للديانات السماوية التي نزلت في نفس الأرضية الحضارية والتي أنزل فيها الإسلام، فلا عبرة إذن بالتمييز بين قيم حضارية شرقية وغربية متناوئة، بل يتعين البحث عن جذورهما المشتركة وأنماط التأثر والتأثير الواسعة بينهما ضمن التراث الإنساني الشامل.

فرسالة النبي إبراهيم عليه السلام، ظهرت في بلاد الرافدين وإنتقلت عبر ذريته بين مصر والجزيرة العربية وفلسطين. وكانت لغة السيد المسيح هي الآرامية القريبة من العربية.. وكما إستوعبت الحضارة العربية- الإسلامية التراث اليوناني – الروماني ونقلته إلى الغرب الحديث بعد تطويره فكانت صلة الوصل الضرورية بين هذا التراث والنهضة الأوروبية، فإن الحضارة الإسلامية لا تجد اليوم غضاضة في هضم قيم ومعارف الحضارة الغربية الحديثة التي هي في الحقيقة أول حضارة كونية بالمعنى الصحيح للعبارة لأنها حصيلة إمتزاج مختلف الثقافات والديانات وفي مقدمتها حضارتنا وديننا.

أما الملف الإستراتيجي، فيتعلق بالتصور الشائع في بعض الأوساط الغربية بكون الإسلام هو العدو الإستراتيجي الجديد الذي خلف الخطر الشيوعي، بالإستناد لما نلمسه اليوم من تنامي أنشطة الإرهاب و العنف التي تستهدف البلدان الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية. ويبين المفكر والكاتب البريطاني فريد

---

[1] مجلة الإجتهاد العدد ٥٤ – ربيع ٢٠٠٢ ص ٢٠١ – ٢١٣ -
http://www.mansourdialogue.org/Arabic/lecs%20(42).htm

هاليداي، ضحالة هذه النظرية التي يسميها بنظرية الفراغ، معتبرا أن ليس من مقارنة بين الخطر الشيوعي والإسلام الذي يجب أن لا يخلط بينه وبين حركات التطرف والإرهاب، منتهيا إلى "أن أساس مقاربتنا لقضية العالم الإسلامي والعلاقات الدولية.. يجب ألا يكون الدين أو النص أو العقيدة، بل النظر إلى الممارسات الفعلية للشعوب والدول وتفحص كيفية إستعمالها للدين، وليس العكس". فالمشكلات الإستراتيجية المعقدة التي يطرحها الإرهاب اليوم لا علاقة لها بالدين الإسلامي، بل هي مشاكل تفسر بأزمة إنتقال النظام الدولي من توازنات الحرب الباردة إلى نمط الأحادية القطبية الذي لم يعزز بعد توازناته. والإرهاب الذي لا دين له ولا حضارة بل هو ظاهرة عرفتها وتعرفها حاليا كل السياقات والمجالات الحضارية، إستهدف العالم الإسلامي أكثر من غيره، ولا بد من تحديد دقيق لمفهومه وطرق التعامل الفعال معه، للتمييز بينه وحق المقاومة المشروعة ضد الإحتلال ضمن ضوابط القانون الدولي. ويمكن للحوار الديني أن يلعب دورا فاعلا في تجنيب العالم مخاطر العنف والإرهاب، من خلال غرس قيم التسامح والسلم، إلا أن هذا الهدف مشروط بعوامل أربعة أساسية يتوجب التنبيه إليها وهي:

- الدفاع عن الشرعية الدولية وفكرة الشراكة بين الأنظمة الإقليمية التي يتكون منها النظام الدولي بما فيها النظام الإقليمي العربي – الإسلامي الواسع والنظام الإقليمي الغربي برافديه الأساسيين الأوروبي والأمريكي.

- السعي المشترك لحل القضايا الشائكة العالقة التي تسمم العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية التي هي العقدة المستعصية في العلاقة بين المسلمين واليهود.

- عزل ومحاربة حركات الإرهاب والعنف التي ترفع كذبا اللافتة الدينية سواء كانت يهودية كما في صهيونية شارون المتعصبة والتي تدعمها الأحزاب الأصولية الأرتدوكسية- ، أو مسيحية أو مسلمة.

- بناء تحالف قوي بين أتباع الديانات الثلاث للتنسيق ضد المخاطر الكبرى التي يواجهها العالم، وأهمها إنتشار أسلحة الدمار الشامل والأسلحة غير التقليدية التي تستأثر بها الدول الصناعية المتقدمة، وإنتشار الجريمة والعنف، وتلوث البيئة، وتفكك الأسرة، وإنفلات التقنيات الجديدة من التوجيه الأخلاقي والتسديد الروحي.

حوار الاسلام والغرب

فكرة الحوار بين الاسلام والغرب، او "حوار الحضارات" تناولها كثيرون من قبل، ومازالت الدعوة اليها تتجدد واللقاءات تعقد بين الحين والآخر لكن ذلك لم يقلل من اهمية الموضوع اذ ان احداث السنة الاولى من الالفية الثالثة، وما تلا تلك الاحداث، بينت للكثيرين ان نمط العلاقات بين عالم الاسلام وعالم الغرب اخذ منحنى جديداً، فالموقف بين الجانبين تجاوز حالة التوتر ودخل مرحلة الحرب الفعلية الشاملة، وهى حرب اعلامية ونفسية وسياسية وقتالية، قام ويقوم بها جانب واحد، بينما غرق الطرف الآخر في ردود الافعال الناتجة عنها. ومع تطور المعركة واختلاط دخانها بدخان الاعلام صار التحرك كله يجرى في ساحة معتمة تسللت وتتسلل اليها قوى جديدة متغايرة الاهداف متعارضة، مما يزيد المسرح حلكه وظلاماً . والايام والسنوات القادمة تبدو حبلى بمزيد من الاخطار التى لا يعلم مداها الا اللّه. ولذا فإن الحوار صار أكثر ضرورة، ومازال في درجة من الاهمية كبيرة، وان اهميته تستلزم محاولات اخرى جريئة دائبة، لتناوله بأساليب جديدة، ومن خلال رؤى متعددة ومتنوعة[1]. فقد بدا واضحا أمام الغالبية العظمى من المهتمين بإنهاء الصراع المحتدم حاليا بين الديانات والحضارات المختلفة، والذي تعددت صوره، ودرجات حدته من التراشق بالاتهامات إلى التراشق بالأسلحة المدمرة دون تحقيق النصر النهائى لأى طرف، أن الطريق الوحيد المتبقى هو التحاور بهدف إيجاد حد أدنى من الأسس المشتركة للتعايش السلمى ونبذ العنف[2].

في اطار هذا الفهم ينطلق د. دكتور عبد اللّه أبو عزة في كتابه "حوار الاسلام والغرب" من خلال رؤية محورية فحواها ان بين الاسلام والغرب كثيراً من المبادئ والعناصر الثقافية المتماثلة المشتركة، وهى عناصر رئيسية عند الجانبين، مع اقدار من الاختلاف حول بعض الامور المهمة وامور اخرى اقل اهمية. فإذا انضافت الى ذلك المصالح المشتركة التى يفرضها الوجود المشترك – وهو وجود لا خيار فيه حيث يعيش الجميع فيما سمى "القرية العالمية"، او في : بيت زجاجى"لا يحتمل العبث-

---

[1] حوار الاسلام والغرب- تأليف د. عبد الله أبو عزة ص٧

[2] الحوار بين الإسلام والغرب- جريدة الشرق الاوسط- ١٩- ٩- ٢٠٠٣- عدد ٩٠٦١

يغذو مشروع الحوار، او مشاريع الحوار، قمينه بالاهتمام الجدى من جانب كل الاطراف التى تعيش في هذا البيت الزجاجى- افرادا وجماعات – لمصلحة جميع سكان القرية ولضمان الحد الادنى من امنهم وسلامتهم. ومنهجية المؤلف في هذا المشروع البحثي ترمى الى رصد هذه العناصر الثقافية المشتركة، ثم تجليتها وابرازها وتأكيد اصالتها عند الجانبين على اساس ان ذلك سيكون قاعدة يمكن الانطلاق منها لتحديد اسباب العداوات، توطئة لازالة الجفاء تدريجياً، ولاغراء مجتمع القرية الصغيرة بالاعتراف بوحدته الانسانية ولتحفيزه لتأكيد هذه الوحدة، والدفاع عنها في واقع الحياة العملية على الصعيدين الدولى والثنائي، وبالحوار الايجابي المثمر البناء[1].

يقول الدكتور كمال أبو المجد: بعيدا عن التعصب والتخويف المتبادل هناك عناصر مشتركة بين الحضارتين الغربية والاسلامية ترشحانهما للتواصل والحوار والتفاهم والتعاون وتبادل الخبرات وتحولان دون الصدام والمواجهة، فلا ننسى ان الحضارة الغربية قامت تاريخيا على ساقين، ساق هيلينية يونانية غير مؤمنة، وساق مسيحية روحية مؤمنة، وبسبب هذه الساق الروحية المؤمنة نبتت في نسق القيم المغذي للحضارة الغربية اوضاع ومقولات وقيم ومبادئ كثيرة الشبه بما يحمله الاسلام للانسانية من قيم في العلاقات، هذا العصر المغذي للحضارة الأوروبية بزاده الروحي والاخلاقي يفتح بابا هائلا للتواصل والحوار والتكامل بين الحضارتين الغربية والاسلامية[2].

من هنا ينطلق د. دكتور عبد اللّه أبو عزة في كتابه "الحوار بين الاسلام والغرب" مركزاً على محور رئيسي واحد فحواه ان بين عالم الاسلام وعالم الغرب كثيراً من عناق الاتفاق والتشابه، ملخصاً ذلك بالقول: المتفق عليه أكبر بكثير من عناصر الفرقة»، ناهيك على أنه أشمل وأعمق أثراً.، حيث يتناول أبو عزة في كتابه عناصر الاتفاق عبر ألفي سنة من التاريخ ليكشفها في المسيحية قبل ظهور الاسلام بست قرون، مستمرة بعد انبثاق عالم الاسلام، الى جانب ذلك تناول الاحوال والتيارات العقدية والفكرية في الغرب متتبعاً التغيرات المهمة في منظور الحركات

---

[1] حوار الاسلام والغرب- تأليف د. عبد الله أبو عزة ص٨ – دار المأون للنشر والتوزيع – الطبعة الاولى
[2] الحوار بين الإسلام والغرب- جريدة الشرق الاوسط- ١٩- ٩- ٢٠٠٣- عدد ٩٠٦١

الكبيرة والصغيرة بدءاً من انقسامات وصراعات القرن الرابع الميلادي، مروراً بحقبة سيطرة روما وبابويتها وعصر الاصلاح الديني البروتستنتي وانبعاث الفكر التوحيدي وتأسيس العلمانية السياسية ثم الاجتماعية وظهور التيارات المناوئة للكنيسة والدين كله وتتبع مسيرة البحث العلمي الذي عاد ينشد الحقيقة الاولى وصولاً الى البحث العلمي في الالفية الثالثة[1].

وفي نفس الاطار حاول جارودي ان يلخص جذور هذه العلاقة بين الغرب والشرق حتى قبل الاسلام بوقت طويل حيث يقول : ان اتصال الاوربيين بالشرق العربي وارتباطهم به هو موقف ثابت في تاريخ اوروبا (ما عدا الحملات الصليبية وحركة الاستعمار وصنيعته الصهيونية) .. وهذا الموقف لا يعود الى الموقع الجغرافي للشرق فحسب بل لان الغرب يستمد جذوره الروحية من الشرق. فالفلسفات التي سبقت سقراط قد نمت وتطورت في اسيا الصغرى حيث ولد تاليس وبارمينيد وزينون وهيرقليط وغيرهم. أما الانحسار فكان بسبب الحروب الميدية .. ثم راحت آسيا تمد ثانية العالم الهلنستي ليعطي ما اعطى من ديانات خلاصية بينما كانت افريقية ومصر على وجه الخصوص توحيان الى فيثاغورس وافلاطون ما توحيان، اما الاسكندر في عبوره الى الهند فقد تابع حلمه بأن يربط الهلنستية بحضارة آسيا. وحينما كان العالم الهلنستي يحتضر في قوقعة (المدنية) الآيله الى الانهيار حاول الاسكندر ان يبدع عالماً جديداً .. وهكذا تلاقت – في اثناء عبوره الهند – فلسفة اليونان بحكمة الهند بينما راحت الاسكندرية في افريقية تتحول الى اكبر مركز للاشعاع الروحي في كل منطقة البحر المتوسط على مفترق الطرق فيما بين آسيا وافريقية واوروبا المتوسطية.

وانطلاقاً من القدس في فلسطين وانطاكية في سورية والاسكندرية في مصر راحت تنتشر صوب الغرب الموجات المسيحية الاولى محملة برسالة عالمية شاملة. وفي الشرق الادنى انطلق (آباء الكنيسة) من كابادوقية (في تركيا اليوم) ومن انطاكية يبشرون بالعقيدة الجديدة كما بشر آباء الكنيسة من الاسكندرية (في مصر

---

1 حوار الاسلام والغرب- تأليف د. عبد الله أبو عزة - جريدة اللواء الاثنين ١ ايار ٢٠٠٦ العدد رقم : ١٧٠٤

اليوم) ومن قرطاجه (في تونس اليوم) حيث عاش القديس أوغسطين. وبعد ذلك قام شارلمان عام ٧٩٧ وقبل ان يصبح امبراطور الغرب بالتحالف مع خليفة المسلمين هارون الرشيد، كما عقد فرانسوا الاول عام ١٥٥٣ حلفه مع سليمان القانوني سلطان الامبراطورية العثمانية. ثم جاءت الفصول المرة التي مثلها الصليبيون والاستعماريون والصهاينة بمزاعمهم في التفوق وممارساتهم الدموية ... لتكون نقيضاً لتلك التقاليد العريقة التي عملت على التبادل المثمر فيما بين الشرق والغرب... كان ذلك كله نقيضاً للمصالح الاقتصادية والسياسية والروحية لاوروبا[1].

تشابك المصالح

ان تشابك المصالح المشتركة التى يفرضها الوجود المشترك بين الغرب والعالم الاسلامي في عصرنا الحاضر ادى الى فتح آفاق جديدة للحوار بين الغرب والعالم الاسلامي، فعلى الصعيد الاقتصادي تعتمد اوروبا اليوم في نصف ما تحتاجه من النفط على الشرق الاوسط وتستورد ٧٠٪ مما تحتاجه من العالم العرب .. وكذلك تحتاج فرنسا الى النسبة نفسها من غاز الجزائر. ان حجم علاقة فرنسا التجارية بالجزائر وحدها يفوق اربعة اضعاف حجم علاقتها التجارية باسرائيل. وقل الشئ نفسه عن اوروبا كلها، فنصف صادرات الدول العربية تتجه صوب اوروبا التي تصدر الى العالم العربي ١٢٪ من صادراتها اى ما يعادل صادراتها الى الولايات المتحدة. ان الدول العربية سواء كانت مصدرة او مستوردة هي افضل شريك تجاري لاوروبا. نعم يمكن لهذه العلاقات الاقتصادية القائمة اليوم ان تتسع وتزدهر وتصبح اشد التحاماً بين اوروبا والعالم العربي وبلدان العالم الثالث غير المنحازة[2]. ولكن لابد من ضبط هذه العلاقة على اسس سليمة قائمة على العدل والاحترام المتبادل.

فنحن لا ننكر أن للغرب مصالح في بلاد المسلمين، كما أن للمسلمين كذلك مصالح في بلاد الغرب، تماماً كما أن لكل شعب مصالح لدى الشعوب الأخرى، فالناس في النهاية جنس بشري واحد، يعيشون على أرض واحدة، هم جميعاً عباد اللّه،

---

[1] فلسطين ارض الرسالات السماوية – روجيه جارودي – ترجمة قصي اتاسي- ميشيل واكيم – ص٣٥٠

[2] فلسطين ارض الرسالات السماوية – روجيه جارودي – ترجمة قصي اتاسي- ميشيل واكيم – ص ٣٥١

والأرض كلها أرض الله . لكن أن تكون هذه المصالح وحيدة الجانب، أي مجرد مطامع للغرب في بلاد المسلمين، لا يهمه سوى كيف يستخلصها منهم فهذا هو ما يرفضه الإسلام ويرفضه المسلمون، بل ويرفضه كل إنسان سوي . المسلمون ليسوا مجرد أرض تنهب، ثم ترش بالماء لتخصب، فتنهب من جديد، وليسوا بقرة تعلف لتحلب. المسلمون بشر كما الغربيون بشر! لهم مثلهم حق الحياة، وحق الكرامة، وحق السيادة على أنفسهم وأرضهم. المسلمون قوم ككل الأقوام، لهم شخصيتهم المتميزة، وحقوقهم المستقرة، وهويتهم الواضحة، وحضارتهم المتفردة، ولهم في بلاد الغرب مصالح، كما للغربيين في بلادهم مصالح، ولهم في بلاد الشرق مصالح، كما للشرقيين في بلادهم مصالح، تستخرج ويتم تبادلها بالتعاون والوفاق، لا بالقهر والإلزام .

فإذا أقر الغرب بتبادل المنافع والمصالح، وتلاقح الأفكار والرؤى، وتمازج الثقافات وتعاون الحضارات، فلا يبقى ثمة للغرب أي مبرر للخوف على مصالحه . والقلق على مستقبل علاقاته مع المسلمين، في ظل حكم الإسلام، لأن الإسلام يقوم على السلام والتعاون، والعلاقات الدولية السليمة، ويؤكد على الالتزام بالعقود والوفاء بالعهود، واحترام المواثيق والمعاهدات، وان رجال الإسلام، هم في الحقيقة والواقع خير من يمثل هذه المبادئ والقيم الإسلامية، ويفي بالعهود والمواثيق، وهم بريئون كل البرائة من تهم الجمود والتحجر والعنف والإرهاب والتطرف وما إلى ذلك من هذه النعوت الظالمة، التي لا تمت إلى الواقع بصلة .

أما إذا أنكر الغرب هذا المبدأ، كما يفعل اليوم، ولم يهتم الا بمصالحه فقط، وراح يغلفها بالديمقراطية والحرية والنظام الدولي الجديد، والعولمة وسوى ذلك مما يتوسل به الغرب لتحقيق مطامحه ومطامعه الخاصة، والوصول إلى التسلط على المسلمين والسيطرة على بلادهم ومقدراتهم، ونهب ثرواتهم، وشل أراداتهم، - كما هو حاله اليوم – وجرّد إعلامه، وسلاحه الثقافي والتقني، وجرّ أساطيله الاقتصادية والسياسية والعسكرية لحرب المسلمين، ومسخ هويتهم ومحق شخصيتهم – كما فعل دائماً ولا يزال يفعل اليوم – فان تخوفه حينئذ سيكون مبرراً، وإن قلقه سيكون في محله لأنه لن يجد المسلمين مطواعين لرغباته وممارساته تلك، ولن يكون الغرب الا خاسراً في معركته تلك، إن آجلاً أو عاجلاً، وحينئذ لن تكون نتيجة العدوان

الغربي أن يخسر الغرب مصالحه في بلاد المسلمين فقط، بل ربما اكثر من ذلك بكثير[١].

لقد شهد المسلون كيف أن الغرب يمارس نفاقه عن طريق دعوته للديمقراطية بينما هو يقوم بخلق ومساندة أقسي وأعنف الأنظمة الديكتاتورية في العالم في بلدانهم! وشهدوا أيضاً لهاث أوروبا وراء سوق مشتركة أدت إلي وحدة باسم الاتحاد الأوروبي بين دول تتكلم بلغات مختلفة وتعتنق معتقدات مختلفة وتتفاوت في تاريخها وثقافاتها. وفي حين خاضت معظم تلك الدول الأوروبية أسوأ الحروب العالمية فإن وحدتها من جديد كانت أمراً رغب به الغرب فتم ذلك. لكن الغرب لا يسمح باتحاد أو توحد العالم العربي أو المسلمين، ولا حتي بالقيام بأبسط التسويات أو التعديلات بين حدود دول العالم العربي الصغيرة ودويلاته التي رسم الغرب خارطتها بعد الحرب العالمية الأولي. لقد شاهد المسلمون بأم أعينهم كيف تتفاوت الثروة في مجتمعاتهم أكثر فأكثر، وأن مصادرهم الطبيعية وعائداتها تنتقل إلي أيدي القلة المتنفذة من أبناء جلدتهم والتي تسلمها بدورها إلي القلة الغربية علي هيئة ودائع يمكن أن تتعرض إلي التآكل أو التجميد أو، في أفضل الأحوال، إلي استثمارات تفضي إلي ثراء الآخرين بينما دولهم تصرخ بأعلي صوتها طلبا للاستثمارات والمشاريع[٢].

وفي ختام كتابه "الاسلام والغرب" يقول د. عبد الله ابو عزه : وما اود ان اقوله عن غذنا المشترك، فهو التذكير بأننا – عالم الاسلام وعالم الغرب- نعيش في بيت زجاجي، هذا الكوكب الصغير الذي يسمى بـ كرة الارض، والذي لم يعد يتحمل اى عبث . ان الاستناد الى القوة والقهر في التعامل بين الشعوب لن يؤدى الا الى خراب ودمار يصيب جميع السكان[٣]. ومن هنا فإن الحاجة تتصاعد الى طرح نموذج اسلام اوربي ليس لقدم المسلمين وتزايدهم المطرد في هذه القارة وحسب، بل لضرورات تتصل بالقضايا الكبرى التي تهم البقاء الانساني في هذه الأيام، فهناك دعوة جادة لتعميق الحوار بين الأديان، فعلى حد تعبير العلامة هانس كنغ في كتابه القيم

[1] الاسلام .. والغرب .. وإمكانية الحوار –ابراهيم محمد جواد
[2] امبراطورية الشر الجديدة - عبد الحي زلوم- القدس العربي- ٢٠٠٣/٢/٣
[3] حوار الاسلام والغرب- تأليف د. عبد الله أبو عزة- ص٢٨٧ - دار المأمون للنشر والتوزيع في عمان.

"مشروع لأخلاق عالمية: "لا سلام عالمياً بل سلام بين الاديان، ولا سلام بين الاديـان بلا حـوار بـين الأديـان، ولا حـوار بـين الأديـان بـلا دراسـات جـادة وأبحـاث موضـوعية. فهناك رغبة عالمية صادقة وملحة لصياغة انسان جديد يؤمن بالتنوع الثقافي ويدعو الى الموازنة بين الروح والمـادة، لمواجهـة أمـراض التكنولوجيـا، وفـي مقـدمتها الغـاء الهوية، وتفتيت وحدة الكيان الانسـاني، وتمزيـق الطبيعـة وتعميـق الفـروق الطبقيـة بين الناس والشعوب والأوطان". وتتأكد هذه الحاجة مـع تعـالي الصـيحات التـي تـدعو الى توكيد بل الى تأسيس ثقافة التسامح التي تتوقف بدورها على الاعتـراف بثقافـة الآخر[1].

الحوار بين الديانات والحضارات ..... لماذا؟

يشـهد العـالم الحـديث فـي ظـل الموجـة الثالثـة أو "عهـد القطيـع والقبيـل الإلكترونـي" بلغـة "فريـدمان" تحـولات غيـر مسـبوقة تنـذر بإحـداث تـأثير كبيـر فـي منظومات القيم والعلاقات والثقافات.. وعلى الرغم من التطور المذهل الـذي يشـهده قطاع الاتصالات فقد لاحظ الباحثون بمرارة أنه كلما زادت وسائل الاتصالات كلما قل التواصل! وكلما زادت الآليات الكفيلة بتقريب المتباعدين كلما تقوقع أبنـاء الحضـارة علـى أنفسـهم، وبـاتوا أقـل إحساسـا لحـرارة مشـاعر ومشـاغل الغيـر، وأكثـر اعتـدادا واعتزازا بذواتهم وبشكل دوغمائي. وتبدو الصورة التـي يمكـن تقـديمها لعـالم اليـوم متنافرة في جزئياتها، بل ومتعارضة فـي بعـض منهـا! ففـي الوجـه الأول نعـيش فـي عالم متلاحم متشـابك المصـالح والوسـائل والغايـات، بشـكل جعـل الكثيـرين ينـأون بأنفسهم عن الارتباط بكيانات قطرية ضيقة، وينعون الدولة الوطنية التي باتـت فـي منظور الاجتماعيين كبيرة جدا عنـد مواجهـة المشـاكل الصـغرى، وصـغيرة جـدا حـين مواجهة المشاكل الكبرى ! وفي الجانب الآخر من الصورة شـهد تزايـدا مقرفـا لتيـارات العنف والكراهية وتناميا متسارعا للأقليات الفكرية والطائفيـة وتفتيتـا للأغلبيـة إلـى

---

[1] الاقليات المسلمة في الغرب من العزلة الى الاندماج الفاعل - غالب حسن الشابندر- المصدر :التوحيد/١٠٧/ ٢٠٠١ م

مجموعات فسيفسائية ولوبيات متناحرة، فضلا عن تسارع وتيرة نمو قوى العنف والتدمير التي تهدد مصير البشرية[1].

فها نحن نرى كيف ان العولمة الأميركية تأخذ أشكالاً متقدمة ولاسيما على الصعيدين السياسي والعسكري، إذ أصبح من الواضح أن أميركا تريد فرض عولمتها على العالم ولو بقوة السلاح، مما جعل الجميع يشعر بأن الهيمنة والظلم والاجرام والوحشية الأمريكية هى كابوس نتطلع الى يوم الخلاص من وطأته والانعتاق من أسره في يوم من الايام ومن هنا يبدو حوار الحضارات بديلاً مهماً لهذه العولمة البشعة التي تريد أن تصبغ العالم بلون واحد، وهذا ما دعا كثير من المفكرين، الى الدعوة الى وجوب ترسيخ مبدأ حوار الحضارات والاديان، على اسس الايمان بوحدة النسيج الانساني، وتكامله في مواجهة من يعتقد بمبدأ التسلط الثقافي والفكري لدرجة نفي الاخرين وتهميش وجودهم.

لقد حان الوقت للحوار بين الثقافات، لو أراد الإنسان أن يعبر دون أن يموت، العتبة الثالثة من تاريخه ... العتبة الأولى كانت ولادة الإنسان وإرادته الاوليه التي ساعدته على مواجهة الحياة ... الثانية كانت ولادة الحضارة مع الزراعه ... الثالثة تتلاعب بالنواة والذره وقلب المادة ومن سماتها هذا التلاعب في الجينات الذي هو قلب الحياة . فقد اصبح الآن للانسان القدرة على إلغاء كل إنجازاته ومكاسبه السابقه، وله أيضا القدرة التكنيكية عبر سيطرته على الذرة أن ينهي أي اثر للحياة على الارض. لقد قادت أحلام احتواء الطبيعة لديكارت وفاوست إلى انهيار العالم وإهدار غالبية الطاقات الطبيعية، وقادت نظريات وعقائد آدم سميث إلى تحويل الإنسان إلى رجل آلى خاو يتلاعب بالعقول والقلوب، هذا بالرغم من ان هناك حضارات أخرى تلك التي في آسيا وأمريكا اللاتينية وإفريقيا والإسلام، عاشت على أسس علاقات أخرى مع الطبيعة والإنسان والله – (الإلهي) فالمشكلات المطروحة في إطار كوكبي تتطلب إجابة في إطار كوكبي[2].

---

[1] حوار الحضارات والثقافات: رؤية في حوار الحضارات وصراع الأمم- بقلم الحسين ولد مدو.

[2] أمريكيا طليعة الإنحطاط- روجيه جارودى-ص ١٤٣

وفي اعتقادنا وتقديرنا ان الحوار والالتقاء بين كل من آمن بالله واليوم الآخر سوف يؤدي- بكل تأكيد- الى ان يصبح الايمان اكثر عمقاً واقوى ازدهاراً واكثر كثافة وضياء، سواء بين الناس والشعوب والامم من جهة، او بين الدول والمؤسسات العامة والخاصة، الحكومية وغير الحكومية من جهة اخرى. وغني عن القول – وكلنا يعرف تماماً تلك الحقيقة المرة- انه، وحتى يومنا هذا، لا يزال اكثر من نصف سكان الارض، لا يعرفون من هو اله ابراهيم ولا يؤمنون بالاله الكائن الاعلى، الخالق، الديان . ومن ما لا شك فيه ان اي اسهام في عملية التغذية وحركة الدعم لتيار الفهم والتفهم بين سائر المؤمنين بالله الكائن الخالق، الديان، يعتبر عملاً ايجابياً خيراً، وجهداً بناءً مباركاً. فالمؤمنين، كل المؤمنين، اكانوا يهوداً ام مسيحيين او مسلمين، عليهم ان يبذلوا جملة من المساعي والاهتمامات في سبيل الوصول الى احياء تلك "الورشة القديمة- الحديثة" وتنشيطها. ورشة المشاركة والحوار بين كل مؤمن ومؤمن آخر من هؤلاء الذين اهتدوا الى وجود الصانع الازلي. وهذا الاسهام المطلوب والمسعى المرجو اللذين نتحدث عنهما، لا بد لهما، مهما كان حجمها محدوداً، ورقعة اتساعها ضيقة، من ان يأتيا- اذا ما قاما على المثابرة وطول الاناة- بثمار يانعة ناضجة خيرة[١] .

ان حقيقة ما نواجهه ليس صراع حضارات، بل هو صراع بين الحضارة الانسانية، والهجمة الدونية التى اختارت المال والذهب كرب خاص لها، وجعلت منه عصب الحياه فى هذا الزمان اللانسانى[٢]. ولهذا لن تحل المشكلات التي تواجه البشرية الآن إلا إذا توجهنا وتوصلنا إلى إعادة تكوين النسيج الإنساني المخرب والمدمر بأربعة قرون من الاستعمار والهيمنة الغربية ولن نحلها إلا إذا توجهنا لتطوير حوار حقيقي للحضارات بين كل ثقافات العالم. ان النقطة الرئيسيه في الحضارة الغربية وعلى رأسها الامريكية هي افتقادها لاي روح، فليس لديها أي مشروع جماعي من اجل مستقبل الانسان، اللهم الا تطوير انتاجها واستهلاكها اعتمادا على

---

[1] محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحية والاسلام – غسان سليم سالم- ص ٦- دار الطليعة –بيروت – ط١ ٢٠٠٤

[2] صهيونية الخزر وصراع الحضارات – وليد محمد على ص٢٢٧

التفوق في السلاح وهذا ما جاهد هنتنجتون في اخفائه، بزغم المواجهة بين الحضارة اليهوديه المسيحيه والحلف الاسلامي الكونفوشيوسي[١].

إن الحوار الذي نريده بين الحضارات، حوار يحول دون استمرار الحضارات في النظر إلى بعضها البعض من خلال مرآة مكسورة ... حوار يقوم على الإيمان بوحدة الأصل البشري وعلى مبدأ التعارف والتسامح الثقافي في مواجهة العنصرية ونفي الآخرين... حوار يؤكد المشترك الإيجابي بين الحضارات، ويقر بأنه لا وجود "لحضارات زائفة" ويزيل ويمحو ذهنية المحاصر في عقل بعض الحضارات. والحوار لا بد أن ينطلق من استعداد كل حضارة لفهم الأخرى، وتجنب إصدار أحكام مسبقة عليها، والاتفاق على إعادة صياغة صورة الآخر في إطار من التسامح، والرغبة المشتركة في بلورة قيم إنسانية، لإحداث التفاعل الحضاري، وقد تساعد في ذلك معطيات المجتمع العالمي الجديد القائم على إنتاج المعلومات وتداولها بشكل سريع وميسور وواسع يتجاوز الحدود الجغرافية للحضارات وللثقافات[٢].

ففي غياب الحوار المطلوب بين مكونات المجتمع الدولي الواحد يخشى أن تتوزع شعوب المعمورة إلى فئتين: فئة تمارس عبادة الذات، وأخرى تمتهن حرفة (نفي الآخر) ...والمفارق أن هذه القطيعة المترتبة على غياب الحوار تأتي في وقت تتناسل فيه التشريعات النبيلة الداعية إلى مزيد من الإنصاف والعدل والتسامح، وفي وقت تتزايد فيه أعداد دعاة الرفق بالإنسان والحيوان، وتتأكد الحاجة إلى الحوار في عالم يدفع خمسة ملايين من أبنائه قربانا لآلهة الحرب كل عقد من الزمن ويعيش أكثر من خمسه الفقر والمعاناة، ويعاني في مجموعه من (شيء من الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات)، عالم سكانه مهووسون بصناعة الأنماط المقولبة في حق الغير، ومسكونون بالتنابز بالألقاب، تسوده الديمقراطية وتتأصل منه الدكتاتورية، يمجد التعددية على المستوى القطري ويكفر بها على المستوى العالمي...تدعو تعاليمه ومواثيقه إلى المساواة والعدل والإنصاف والتسامح، بينما

---

[1] أمريكيا طليعة الإنحطاط- روجيه جارودى- ص ٣٠

[2] حوار الحضارات .. لماذا؟ بقلم يوسف الحسن- جريدة الخليج

يشكو سكانه الغبن والقهر والاغتراب والاستلاب والقلق والغثيان وكل مفردات الفلسفة الوجودية[١].

فالهدف الرئيسي من حوار الحضارات هو مساعدة الاخرين ليس فقط عبر متخصصين أو بعض الفلاسفة ولكن بالجموع الشعبية العريضة- من هنا فان المشكلات العالمية المطروحة اليوم وان كان أهمها قد ولد بسبب هيمنة خاصه وطويلة للغرب لا يمكن حلها إلا عن طريق حوار مع الحضارات غير الغربية، من اجل تخيل وتصور وتعايش علاقات جديده بين الإنسان والطبيعة، وبين الإنسان والإنسان، وبين الانسان والمقدس. هكذا فقط يمكن أن نفتح أفق ثقافه كوكبيه مرسخه عبر اتحاد حقيقي للانسانيه لا عن طريق تركيبة تلفيقية ولكن مبنية على مفهوم مغاير لفكر الهيمنة بحيث تكون تركيبة سيمفونيه تعزفها الثقافات المختلفة. والطريق مفتوح أمام الشعوب التي خضعت كليا للغرب لكي تنجو من تنميه فرضها الاستعمار وكانت تنميه اجنبيه غريبة عن الثقافة الاصليه لتلك الشعوب . ولا يعني ذلك أبدا أن ننكر مساهمة الغرب بل يعني أن نعطي الغرب مكانة كاملة وليس اكثر من مكانه وخاصة في تنسيق قوى العلم والتكنولوجيا مع اهداف انسانيه حقيقيه. وبهذه الطريقة وحدها يمكن استكمال الملحمة الانسانيه على ظهر هذا الكوكب. ولقد كتب رائد فضاء حط قدميه على سطح القمر، عند عودته. "بدت الأرض من هنا رائعة الجمال مضيئة وبدت موحدة يسودها السلام وكانت هذه أول مرة ترمق فيها عين بشريه الأرض بنظرة شاملة وفي فضاء لا يحده الأفق. فهل سنصل إلى إدراك هذه الصورة ونتمسك بها في المستقبل؟"[٢].

بالطبع يمكن تحقيق هذه الصوره من خلال حوار جاد بين الحضارات والثقافات يقوده مثقفين منفتحيين يؤمنون بذلك الحوار، حيث ستكون المهمة الأولى للمثقفين هي كشف الاكاذيب التي تسود المراجع المدرسية ووسائل الإعلام وهما اللذان يخدمان الغرب للإبقاء على هيمنته بأيديولوجيات مغالطة عن حداثته، وليس ثمة افتراض واحد عن تلك الحداثة المزعومة لا يعد افتراء وكذبا[٣]. فبنسيانهم لما

---

[1] حوار الحضارات والثقافات: رؤية في حوار الحضارات وصراع الأمم- بقلم الحسين ولد مدو.

[2] أمريكيا طليعة الإنحطاط- روجيه جارودى-ص١٤٤-١٤٥

[3] أمريكيا طليعة الإنحطاط- روجيه جارودى - ١٤٦

استعاروه من آسيا (ومن إفريقيا فيما بعد ومن باقي العالم عبر الاسكندريه) كانوا يعدون كل ما لا ينتمي للعالم الإغريقي وكل من لا يتكلم لغتهم برابرة، خالقين بذلك من هذه العزلة الاصطناعية الهائلة أسطورة المعجزة اليونانية[1].

ولكن الاتجاه الى الاعتقاد بأن التاريخ يبدأ (بنا)، وبان الماضي لا يمكن ادراكه الا على أنه تحضير وانتظار لما سيحدث (لنا) ... لم يكن وفقاً على المسيحية وحدها، وذلك من سوء الطالع. نعم إن مثل هذا المفهوم للتاريخ المكتوب على انه تبشير بمستقبل جاهز منجز، يتيح لكل طرف أن يعد نفسه خاتمه للملحمة الإنسانية وغاية التاريخ وحدثاً فريداً ووحياً لا يأتيه الباطل. وبهذا المنظور يصبح كل (ماض) حدثاً عفى عليه الزمن ويكون كل ابداع جديد انحطاطاً ومروقاً!

ان العبريين وقد ادعوا لانفسهم الامتياز بالوعد وبانهم شعب الله المختار، واليونان باحتقارهم المتعالي (للبرابره) أى لكل ماليس يونانياً، والرومان بما لديهم من (عقدة) التفوق والامتياز ثم الكنيسة التي خلفتهم مدعية العالمية (الكاثوليكية)، وأولئك المسلمين الذين انغلقوا على خصوصيتهم ففسروا الآيه القرآنية (.. خير أمة أخرجت للناس) لا على أنها دعوة والتزام بل على أنها امتياز مكتسب، وذلك بروح من الاكتفاء المتعجرف ... إن هؤلاء وأولئك كانوا يعدون أنفسهم محور العالم شأنهم شأن أباطرة الصين القديمة[2].

ان الحوار الجاد بين الحضارات يعني أيضا وقف عمليات الاستيعاب والاستلحاق بين الحضارات، ويهدف إلى "عقلنة" سلوك الدول داخل هذه الحضارات، ومنع أو عرقلة استخدام الدول "القوة" لأغراض الهيمنة. وفي الوقت نفسه فإن الحوار بين الحضارات يسهم في تثبيت السمة الرئيسية للثقافات الإنسانية وهي استجابتها للتطور والاغتناء بالتفاعل فيما بينها، كما يسهم الحوار في "عقلنة" النزاعات التي قد تنشأ أثناء تثبيت الهويات الثقافية لهذه الحضارات، أو التي تتوالد في ظروف الأزمات الاقتصادية، نتيجة حدوث احتكاكات بين أبناء الحضارات المختلفة خلال موجات

---

[1] كيف نصنع المستقبل / روجيه جارودي - د. منى طلبه- ص٥٦

[2] فلسطين ارض الرسالات السماوية – روجيه جارودي – ترجمة قصي اتاسي- ميشيل واكيم – ص١٤٠-١٤١

الهجرات السكانية عبر حدود دوائر هذه الحضارات أو تلك النزاعات التي قد تسببها هجرات غير شرعية، وتغذيها فروق ومشكلات سياسية وعقيدية وتاريخية.

إن من فوائد الحوار وغاياته أبطال المناخات المفعمة بالمخاوف ومشاعر العنصرية والكراهية، وتوفير المناخ الملائم لتبادل الوافد النافع من الثقافة والعلم والخبرة. إن الحوار بين الحضارة يعني أن تتبادل العلوم والمخترعات، وليس مجرد الثقافة والإعلام والآداب والفنون، وإلا كان التبادل تبادلا محدودا، ويفتح المجال للهيمنة الثقافية واحتلال العقل ومسخ الثقافات الأخرى. إن الحوار لا يعني نسيان أو تجاهل التميز بين الحضارات، لكن العزلة عن التأثيرات الحضارية الأخرى أمر صعب مثله مثل التبعية أو الذوبان. وهكذا فإن الدعوة للحوار، هي دعوة للتسامح والتعايش مع الآخرين، وإنكار لنزعات التفوق والسيطرة، وهي نظرة لقضايا المستقبل، وتعبير عن إرادة الحضارات المعاصرة لمعالجة هذه القضايا، وعن قناعتها بضرورة التعاون للنجاح في ذلك[1]. فالحوار يقتضي سلفا تعددية الفاعل وخلافية القضية، والتساوي بين المباشرين لهذا الفعل النبيل، وهو عملية تتيح للمشارك فيها التحول إلى فاعل ومفعول معه بدل مفعول فيه بلغة النحاة .فالحوار على حد تعبير أدغارموران يقتضي المساواة، فلا حوار بين العبد والسيد، ويمكن كل فرد من عرض وجهة نظره وبراهينه، إنه استعداد للاستماع للآخر وإقرار بكونه يستحق أن ينصت إليه إذا تحدث، وأن يتحدث إذا أراد..وبديهي كذلك أن لا حوار إلا في القضايا المعلقة التي لا تحظى بدرجة الإجماع، كما أن التعددية في الحوار شرط لقيامه وإلا لتحول من Dialogueإلى مونولوج Monologue حديث المرء إلى نفسه!

يقول المفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد في مقدمة الترجمة العربية لكتابه الشهير (الثقافة والإمبريالية): إن فكرة التعددية الثقافية لا تؤدي بالضرورة إلى الهيمنة والعداوة، بل تؤدي إلى المشاركة، وتجاوز الحدود، وإلى التواريخ المشتركة والمتقاطعة، وهذا يعني إن حوار الحضارات والثقافات ينبغى أن يعزز التسامح والتفاهم ويعمل على إشراك الآخر، واستكشاف القيم المتبادلة عن الثقافة الأخرى للمساهمة في إزالة الكليشيهات والصور النمطية.. هذا مع ضرورة طرح

[1] حوار الحضارات .. لماذا؟ بقلم يوسف الحسن

القضايا الجدية للنقاش والابتعاد عن الوعظ والتصريحات المغلفة بالنوايا الحسنة[1]. وفي اعتقادنا أن بإمكان المفكر المسلم المساهمة الإيجابية في مد جسور من ذلك "التعارف" الإنساني انطلاقا من قيمه الاجتماعية والدينية التي تناديه دوما أنه "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين"[2].

وبموجب هذه الآية فإن الكف عن العدوان العقدي وعن العدوان السياسي، خاصة في أجلى مظاهره وهو الاستعمار والطرد من الأرض، إن الكف عن ذلك كفيل بإقامة جسور من الحوار المتكافئ بقصد التفاهم، وجسور من التسامح والتعايش بقصد التساكن "والتبشير" بغد أفضل وبتاريخ مفتوح، لا بحرب آخر الزمان! ولا ريب أن المفكر المسلم المعاصر يتحمل مسؤولية إعادة بناء هذه المفاهيم والقيم الإيجابية في ثقافته الإسلامية خدمة للحضارة الإنسانية جمعاء، بعيدا عن الأهداف الإيديولوجية والتوظيفات السياسوية والتسيب الفكري الذي قد يطال تلك المفاهيم[3]. ولهذا يتوجب على علماء الدين المسلمون بذل ما هو أكثر من المجهودات الشفهية في سبيل خدمة حوار الأديان والحضارات.. ويكمن عملهم الفعلي في تأسيس نظام قيمي جديد لدى مريديهم، ينظر لاختلاف الأديان على أنه حق شخصي ومنبع للغنى الثقافي، وليس موضوع نزاع أو عداء. عليهم أن يقبلوا ويعلموا أتباعهم قبول أن للحقيقة الإلهية تأويلات مختلفة وأن ينظروا لهذه التأويلات من حيث تكاملها بدلا من النظر إليها على أنها تلغي بعضها بعضاً. إن من الضرورات اليوم أن يبذل الجهد لتحقيق مبدأ الحوار مع الآخر وفق عقد اجتماعي يحترم الحريات ويصون الحقوق ويؤمن الإنسان من الخوف[4].

لقد آن الأوان لاعادة النظر في العديد من المسلمات الراسخة في اذهاننا عن صورة الآخر، كما أن على الغرب بخاصة ان يقدم صورة موضوعية ونزيهه عن العرب

---

[1] حوار الحضارات والثقافات: رؤية في حوار الحضارات وصراع الأمم- بقلم الحسين ولد مدو.

2- قرآن، سورة الممتحنة، آية ٨.

3- أية قيم دينية لحضارة إنسانية ؟ - د. عبد المجيد الصغيّر- مؤتمر الدوحة الخامس لحوار الأديان ٧-٩ مايو ٢٠٠٦

[4] المسيحيون العرب كمثال -هلال خاشان- **http://arabic.tharwaproject.com/node/8**

والمسلمين . ان الغرب ليس كيانا واحداً بل يمتاز بالتنوع والاختلاف ، كما أن المجتمعات العربية والاسلامية تعيش في ظل التنوع الثقافي والديني والاجتماعي. واذا كان صحيحا ان الغرب اخترع وصنع الصورة التى يريدها عن المسلمين والعرب، فإن المسلمين ايضا صنعوا صورتهم عن الغرب، فلا العالم الاسلامي يظهر على حقيقته ولا الغرب يظهر على حقيقته. واذا كنا ننتقد تشويه الغرب صورة المسلمين والعرب، الا اننا لا ننتبه الى ان صورة الغرب ليست أقل تشويها[1]..

ان الحل الوحيد الممكن لجوع البعض وبطالة البعض الآخر وهجرة الجياع في بحثهم الوهمي عن العمل، هو تغيير جذري لعلاقة الغرب مع العالم الثالث، مع وضع نهاية لسيادة الغرب ولتبعية الجنوب لان التبعية هي التي تنتج التخلف، نحن نعيش عالما مشطورا بين الشمال والجنوب، وفي الشمال كما في الجنوب، بين من يملكون ومن لا يملكون شيئا : ال ٢٠٪ الأكثر ثراء على الكوكب يحوزون ٨٣٪ من الداخل العالمي، وال ٢٠ ٪ الأكثر فقرا يحوزون ١,٤ ٪. وحيث إن الاستعمار خلال خمسة قرون ونظام بريتون وودز خلال نصف قرن قد خلقا عدم المساواة هذا بين الشعوب، فان التبادل الحر يعمل على تفاقم السيطرة والتبعيه. ويرى جارودي في كتابه "كيف نصنع المستقبل" ان تغيير الانحرافات الراهنه يمكن ان يتم من خلال:

اولا : تدمير الاسطوره التي تضفي كلمة ديمقراطية على حرية السوق ... فالسوق الحر قاتل للديمقراطية ... (بواسطة تراكم الثروة في قطب والبؤس والفقر في القطب الآخر). وهذا يتضمن بعض القرارات السياسية التي تعمل على التحرر من العولمة المزعومة للاقتصاد، أي من الإرادة الامريكيه التي تريد إن تجعل من أوروبا ومن باقي العالم مستعمرة تفتح منافذ أمام اقتصادها الخاص في جميع المجالات : من المنتجات الزراعية إلى الصناعات الفضائية ومن المعلومات إلى السينما.

ثانياً : ضرورة اعادة حرية تأسيس علاقات جديدة جذرياً مع العالم الثالث، وهذا يعني:

---

[1] مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات الى انسنة الحضارة وثقافة السلام – د. محمد سعدي – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ٢٠٠٦- ص ٣٦٨

١- ان "باندونج"[1] جديده ضرورية من اجل إن يكون القرن الحادي والعشرون علامة على نهاية عصر ما قبل التاريخ الحيواني للإنسان حيث كانت الثروة في عالم مشطور، حكرا على أقلية ضئيلة وتقتضي التبعية والاستغلال، بل وموت الجزء الأكبر من البشريه.

٢- إن بعث الوحدة الإنسانية لا يمكن إن يتم بواسطة العنف والسلاح اللذين كانا يفصمان عراها، ولكنه يتم بواسطة تحالف كل القوى الإنسانية حقا: من الاقتصاد إلى الثقافة الى الايمان .

٣- ان ضعف الشعوب المضطهدة الحالية راجع في جزء كبير منه الى انقسامها نتيجة خلافات وحروب استشارها ودعمها سادة العالم الحاليون. فالمهمة الاولى هى وضع نهاية لهذا التمزق عن طريق التفاوض السلمي بشأن كل هذه الصراعات التي تخدم القاهرين .

٤- إن يرفضوا بشكل جماعي دفع الديون المزعومة لصندوق النقد الدولي، وذلك لإن على الغرب دينا ثقيلا تجاه العالم الثالث . ... فمن يسدد لهنود أمريكا استنزاف كل قارتهم ... ومن يعيد إلى الهند القديمة مصدرة النسيج، ملايين الأطنان من القطن التي أخذت من المزارعين بثمن بخس، وأدت لتحطم الصناعة الحرفية للنساجين الهنود لصالح الشركات الكبرى في لانكشاير؟ ... من يعيد لإفريقيا حياة ملايين من أبنائها الأقوياء الذين حملوا كعبيد لأمريكا بواسطة جلابي العبيد الغربيين طوال ثلاثة قرون؟[٢].

تأسيس نظام قيمي جديد

الهدف من هذه الأفكار المتنوعة هو الإعداد للقرن الحادي والعشرين لنحياه كاملا. ذلك لأننا إذا واصلنا هذه الإنحرافات القائمة، فإننا نوشك على تدمير الإنسان، وقتل مليارات من البشر جوعا في الجنوب، وتحميله باتباع نموذج التنمية الغربي ما يوازي ضحايا هيروشيما كل يومين. لتصبح الحياة بلا هدف أو أفق، ما لم نوقف هذا

---

[1] باندونج مدينة في اندونيسيا عقد فيها في ابريل عام ١٩٥٥ اول مؤتمر للدول غير المنحازة .

[2] كيف نصنع المستقبل / روجيه جارودي - د. منى طلبه- ص١١٦-١١٧

الشرخ المتعاظم في العالم، ستتقاقم البطالة والإقصاء والعنف والمخدرات . إن هذا نداء للمقاومة ضد تفريغ العالم من المعنى، ونداء لتشييد عالم موحد وواحد، يتأسس على مبادئ تختلف تماما عن تلك المبادئ التي قادت الغرب بأجمعه إلى الإنحطاط، وقادت العالم إلى الاحتضار. فلقد ماتت الآمال خلال النصف الأخير من القرن، نتيجة حربين مات فيها ٨٠ مليون قتيل[١].

ان ما سمي بالحلم الامريكي يحاول احكام قبضته على العالم محاولاً تحويل كافة الاحلام الجميلة والقيم النبيلة لمئات المفكرين والمثقفين على مر العصور الى كوابيس مرعبة تزلزل الكيان الانساني على الارض وتهدد بإفناء الحضارة الانسانية . ولكن لنعلم يقيناً وعلماً قاطعاً بأن طريق الشر بفساده وباطله مسدود، وبأن الديمومة هى للحق والخير والجمال فى الوجود ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، أبداً وسرمداً والا لما كان اللّه وكان الشيطان وحده منذ عهود بعيده[2]. ولهذا فإن روجيه جارودى بعد أن كشف بشاعة النمط الامريكي، دعا الى تأسيس نظام قيمي جديد للنهوض وبناء مستقبل الانسانية، حيث يقول: أن النهضة الإنسانية، بل ومجرد بقاء الإنسانية، يستلزم بناء المستقبل على أسس أخرى. إن كشف حساب هذا القرن لا يوضح إفلاس ماركس الذي خانوا اشتراكيته، بل يوضح إفلاس آدم سميث الذي اندفعت ليبراليته إلى نتائجها القصوى، فأصبحنا مهددين بانتحار كوكبي[3].

واليوم يكون ضروريا محاكمة ثقافة وحضارة الغرب على أساس دورها الهدام للثقافات الاخرى طبقا للفكرة الملعونة (الشعب المختار) (التي تتم عبر رفض الآخر وإنكاره حتى إبادته)[٤]. فالغرب يرفض ويدين المختلفين، وهو بهذا الرفض للأشكال الانسانيه الأخرى يحمل أسباب انهياره النهائي، ويضع مستقبل الانسانيه في خطر حقيقي، فقد تخطى الزمن تلك الاحاديه للثقافة الغربية وهيمنتها المهددة بالانشطار. فالقرية العالمية ملك للجميع، ضمن ما تعارف عليه العالم من القوانين

---

[1] امريكا طليعة الانحطاط- روجيه جارودي

[2] رسائل حضارية فى مواجهة اليهودية/ الاب فوتيوس خليلص٦٠

[3] امريكيا طليعة الانحطاط – جارودى – ص٢٣

[4] أمريكيا طليعة الإنحطاط- روجيه جارودى- ص١٤٢

والمواثيق الدولية العامه. وايه قوة تتجاوز ذلك وتستهين به سوف تكسب عداوة جميع الشعوب، وربما لن تقوى على الصمود لكل هذا العداء عندما يتراكم ويشتد[١].

لقد إستطاعت امريكا، بالفعل وفي خلال أسابيع، أن تصدِّع جسوراً إنسانية بَنَتْها الشعوب لَبنةً لَبنةً، وأعلَتْها القرون الطويلة مدماكاً مدماكاً. وقد أثبت النظام العالمي الجديد الذي أنشأته أنه لا يتورّع عن تغيير وجه العالم إلى الأسوأ والأقبح، وأن يهدّد مصير الإنسانية كلّها، إذا ما أُصيبت مدينة أميركية أو إسرائيلية بمكروه. ولعلّه، بذلك، يقدِّم برهاناً على عدم أهليته ليحكم العالم وليكون مؤتَمَناً على المصائر. وهذا الواقع الذي تكشّف يكفي للحكم عليه و يقضي بتغييره. وقد أصبح هذا التغيير واجباً إنسانياً أوّل لحفظ الوجود. فلا أمَلَ بالسلامة، إلاّ إذا أبكر العالم في معرفة هذه الحقائق، وسارع إلى المواجهة، وتمكّن من وضع الظلاميات جميعاً في محجر واحد، حيث تتناهش هي، ولا تنهش لحم الشعوب وقلب الحضارة كما تفعل الآن. المهمّة الأولى، في عملية التغيير ورسالته، هي منع حصول الكارثة، بمنع هذا النظام من التقدّم نحوها والدفع إليها. وهي مهمّة فورية، وعلى دول العالم وشعوبه أن تتجنّد لها. والمهمّة الثانية هي إيجاد ضمانات المستقبل وإنشاؤها. ضمانات القوى العظمى كارثة، والضمانات العسكرية فاسدة وخطرة، والضمانات السياسية التقليدية قاصرة[٢].

فهناك مرحلة تاريخية تحتضر، هي تلك المرحلة التي سادها الغرب (حسب الأصل اللغوي للكلمة: البلاد التي تغرب فيها الشمس) منذ خمسة قرون، وهناك مرحلة أخرى في طريقها للميلاد في البلاد التي تشرق فيها الشمس : الشرق[٣]. فكيف نفتح آفاقاً جديدة ومستقبلاً يتسم بالإنسانية بعيداً عن حقول الأطلال التي خلفها التاريخ الحيواني للإنسان والذي يكتمل مع القرن العشرين ؟ لابد إذن من كشف الأخطاء في بوصلة التاريخ الإنساني. فلقد كان الانفصال الأول للغرب هو ما قام به سقراط (والذي يقول عنه نيتشه إنه كان بداية الإنحطاط)، وتابعاه أفلاطون

---

[1] حوار الاسلام والغرب- تأليف د. عبد الله أبو عزة ص٢٨٨

[2] عولمة الرعب - يوسف الأشقر، نشر على الإنترنت : الثلثاء ٢٤ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٦- **http://www.aschkar.org/spip.php?article20**

[3] كيف نصنع المستقبل / روجيه جارودي - د. منى طلبه- ص١٨

وأرسطو. فلقد أفسدوا التاريخ العقلي للغرب بفلسفة "الوجود" التي كانت أساساً لكل الهيمنة، ولقد حاولنا أن نستعيد "فلسفة العمل" وهي فلسفة بقية الإنسانية منذ ميلاد الأداة الأولى، من المقبرة الأولى ومن الحلم الأول في حياة خالدة إبداعية .

وكان الإنفصال الثاني للغرب هو الحروب الصليبية وحروب الاستيلاء ومحاكم التفتيش ضد حكمة الشرق. وكان الإنفصال الثالث للغرب تلك "النهضة" المزعومة التي استخدمت الاكتشافات العلمية والتكنولوجية في الشرق (مثل البوصلة، والبارود، والمطبعة) لتحويلها الى أدوات للسيطرة على الشعوب والأرواح. لقد بدأ هذا الانفصال عام ١٤٩٢، مع الإبعاد الأخير للثقافات الشرقية، بالاستيلاء على غرناطة، وغزو وتحطيم ثقافات سكان أمريكا الأصليين، بالجوع إلى الذهب بدءاً بكريستوفر كولومبوس. إنها إذن ٢٥٠٠ سنة من فلسفة السيطرة. ولا بد من تحديها، وفتح آفاق جديدة أمام الإنسان، واقتراح أن تستبدل بوحدة العالم تحت سيطرة الإمبريالية تلك الوحدة السيمفونية، ويستلزم ذلك الاستعانة بحكمة وثقافة العوالم الثلاثة لنضع الإنسانية في الطريق الصحيح للإزدهار المتبادل لكل الثقافات لكي نصد المرامى القاتلة للمركزية العنصرية الغربية، ونوقف الهيمنة.

لقد تسبب الغرب في حربين عالميتين اودت الاولى بحياة ثمانية ملايين من البشر، بينما اودت الثانية بحياة خمسين مليوناً. واذا كان بعض الساسة الغربيين يفتخرون بأن الديمقراطية الغربية جلبت الى العالم فترة سلام استمرت ستين سنة فان هذا الادعاء يجانب الصواب، وينسب الى ديمقراطية عالم الغرب انجازاً ليس من انتاجها، اذ السلام الذي ساد منذ عام ١٩٤٥ انما توفر بحماية قوة الردع النووى المتوازنة. والآن زال ذلك التوازن باختلالات بنيويه في كيان احد جانبيه، ومن غير المستبعد ان يستبد الغرور او العناد ببعض القوى فيتم تدمير البيت الزجاجي، ولا تخلو الاجواء من ارهاصات بذلك. واذا كان الردع النووى قد زال او ضعف اثره، فلابد ان يحل محله رادع آخر هو الوفاق الانساني المحكوم بالمواثيق والقوانين الدولية، ومبادئ المساواة والديمقراطية الحقيقية- وليس المتأكلة- بين البشر، وبين الدول كما هى بين الجماعات والافراد[1] .

[1] حوار الاسلام والغرب- تأليف د. عبد الله أبو عزة ص٢٨٧

ان منع الكارثة لا يكفي لضمان المستقبل . إنه يمنح الإنسانية فرصةً لإستعادة أنفاسها ولإستيعاب ما يحدث بأبعاده المصيرية، من دون أن تكون المقصلة فوق رأسها ، مستقبل الإنسانية، في رأينا، إمّا يكون دورة حضارية جديدة، أو لا يكون. هذا يعني، على وجه التحديد، أنّ ثمة نظرة أُخرى إلى الإنسان والحياة والكون يجب أن تسود بكامل منظومتها المفهومية والقيَمية والخُلُقية، وبكامل عدّتها السياسية. بلوغ هذا الهدف هو أعظم تحدٍّ تواجهه الإنسانية، لا لتجميل حياتها بل لحفظ بقائها. إنه بناء جديد لا تُمكن إشادته دفعةً واحدة، بل مدماكاً مدماكاً .حسبنا الآن أن نؤسّس له ونتّجه إليه[1].

ولهذا لابد من العثور على معايير اخرى للتقدم، تختلف عن معايير قوة التقنيات والثروة "الناتج القومي"، لنعرف التنمية بازدهار الإنسان وليس بالنمو الاقصادي. ويفترض هذا على المستوى العقائدي أن نعطي الإنسان بعده الأساسي: وهو التسامي، على الا يكون التسامي .. تعبيراً عن الإله الملك، الذي يحكم مصائر البشر والإمبراطوريات من الخارج ومن أعلى، ولكن أن يكون ذلك التسامي منبثقاً من عمل الإنسان الخلاق، مع الوعي بأن الله حين خلق الإنسان فلكي يكدح الإنسان لملاقاة الله متخذاً منه مثلاً أعلى. ولذلك لا بد من التخلي عن الظن الخاطئ بأن "التاريخ المقدس" إنما هو تاريخ قبيلة واحدة، ذلك أن هذا التاريخ ينبع من كل عائلات العالم، ومن كل الثقافات، وكل الحضارات، ومن الهند الأمريكية ومن أفريقيا وآسيا [2].

لهذا يجب ان نعمل على تأسيس ثقافة جديدة : ثقافة الحياة لا ثقافة الموت / ثقافة الحوار لا ثقافة الامر، ثقافة الشخصانية والجماعية وليست ثقافة الفردية / ثقافة المحبة والحب وليست ثقافة الحقد والكره / ثقافة السماح والتسامح وليس ثقافة الثار / ثقافة الانفتاح وليس ثقافة الانغلاق / ثقافة قبول الاخر وليس ثقافة الغاء الاخرين / ثقافة البناء والاعمار وليس ثقافة الهدم / ثقافة الانا تصبح النحن

---

[1] عولمة الرعب - يوسف الأشقر، نشر على الإنترنت : الثلثاء ٢٤ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٦.

[2] أمريكيا طليعة الإنحطاط- روجيه جارودى- ص٢٢٤

وليس ثقافة الانا والانا فقط / ثقافة العلم والمعرفة وليس ثقافة الجهل والتخلف .هذا هو المناخ الملائم لصنع قيم جديدة ... على اسس الحق والخير والجمال .

ان الازمة التي نعيشها هي أزمة حضارة وصَلتْ إلى الطريق المسدودة، لعلّة في قِيَمها، ومفاهيمها، وعقليتها الخُلُقية، وكامل نظرتها إلى الوجود ومبادىء تعاملها معه. هي عدائية وإعتدائية على الإنسان والطبيعة وأجيال المستقبل. من هنا أنّ ضمانات المستقبل لا تكون إلاّ بثورة في الحضارة تقيم التوازن المفقود مع ثورة الوسائل، وتُنشىء محرِّضات إنسانية جديدة تستنفر خيرَ ما في الإنسان لا شرّ ما في غرائزه المتوحّشة. المجتمعات هي الطرف الأصيل في هذه الثورة-الضمانة، وهي موضوعها ومسرحها وأداتها والوسيلة[1]. وهذا يفترض أيضاً على الصعيد الجمالي، تغيير دراسة العمل الإبداعي للإنسان، حتى لا نحصر الجمال في النماذج الغربية وحدها، والتي قدمها الإغريق وعصر النهضة في القرن السادس عشر. وبهذه الطريقة وحدها، يمكن للفن الخروج من قيود وحدود أرسطو، فلا نحكم على الفنون بمعايير التشريح والمنظور في عصر النهضة وحدها، (ومقاييس بومبي التي أعقب كبار الرواد طوال ثلاثة قرون). ونتحرر أيضاً من القيد الآخر، لأن مجرد النفي والعصيان أدى إلى تدهور الفن المسمى "الفن المعاصر"، والذي توهم أنه يصبح فناً "حديثا" كلما زاد جهلاً بالماضي، حتى أصبح هذا الفن يشمل بعض اللوحات أو النحت مما يشبه الأراضي المليئة بالنفايات، وأصبح يثير الضجيج بدلاً من الموسيقى، وحول الرقص إلى حركات هستيرية تخلو من أي معنى إنساني[2] .

قد انتهت الحضارة الاوربية الى علاقة استهلاكية مع الطبيعة وتقلصت جماليات الزمان المبدع في الموسيقى وفي الرسم فحلت المقطوعات القصيرة السريعة الايقاع التي تختلس الوقت وتبتره واللوحات السريعة التي سطعت بديلاً عن الزمان الكامل للابداع وذلك لمسايرة عامل الانتاج والاستهلاك. كان الكلداني يتطلع الى جماليات السماء دوماً فورث عنه طاليس اليوناني علم الفلك .. اما فيثاغورس فقد كان ابناً باراً لعلوم الجماليات المصرية التي ابدعت الاهرامات .. كل تلك

---

[1] عولمة الرعب - يوسف الأشقر، نشر على الإنترنت : الثلثاء ٢٤ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٦.

[2] أمريكيا طليعة الإنحطاط- روجيه جارودى- ص٢٢٣- ٢٢٦

الحضارات التاريخية التي لا يمكن القول بأنها بائدة قد منحت عالم اليوم مقدماته العلمية، بعد ان انفتحت على قيم الكون الجمالية[1].

يقول أحد كبار الفنانين المجددين في هذا القرن، ورائد التكعيبية "خوان جريس" : "إن عظمة الفنان تتوقف على قوة الماضي الذي يحمله داخله، وليس ذلك لتقليد القدامى، أو الحفاظ على الموروث، ولكن لتجديد شعلة الرسالة التي كان أعظم حملة لوائها يعملون لإعلان الإمكانية الدائمة لتجديد إنسانية الكائن البشري". وهذا يفترض على الصعيدين السياسي والاقتصادي، تحطيم أصنام "العلوم الإنسانية" المدعاة التي تتمثل طريقتها في شف علوم الطبيعة، وإقامة مبادئ – على هذا النحو – تحط من قيمة الإنسان. إن الرجل الاقتصادي الذي لا بد له من أن يكون أحد هذين النموذجين : إما منتجاً، وإما مستهلكاً، متحركاً طبقاً لأغرضه الخاصة، هو أساس قاتل يحاول "الاقتصاديون" إخفاءه عن طريق آلات حسابية وهمية، لإعطاء مظاهر علمية لما هو في الواقع أيديولوجية موجهة لتنظير وتبرير نظام ظالم موجود وقائم . إن قلب المستقبل هو إعادة البحث، والتقديم الذاتي لكل المفاهيم الأخرى للإنسان، المولودة من خلال ثقافات أخرى، وتقديم السبل لخلق ظروف وشروط تقنية واقتصادية، وسياسية وروحية للجميع، تسمح لكل كائن إنساني (إمرأة أو رجل) بأن يصبح أكثر إنسانية، بمعنى أن يصبح "شاعراً" بالمعنى العميق للكلمة : وهو ان يصبح مبدعاً للنسخة الاصلية للمستقبل المحتمل[2].

يقول رجل من الهنود الحمر معلقاً على همجية الرجل الابيض الذي افسد كل شئ عندما غزا امريكا كاشفاً عن خواءه الروحي والانساني : نعتبر هذه البلاد قسمتنا ونعرف إن الرجل الأبيض لا يفهمنا، تستوي هذه الأرض عنده والأرض المجاورة لأنه الغريب الذي تسلل في ظلمات الليل فنال من هذه الأرض كل ما تمنى، انه لا يرى الأرض أختا له بل عدوا يقهره ولا يعبأ، انه يسرق الأرض من أبنائها ولا يعبأ، هذه قبور آبائه ومهاد أبنائه منسية، وها هو ينظر إلى أمه السماء فلا يراها إلا سلعة تسرق أو تباع كالأغنام والخرز إن جشعه يلتهم الأرض فلا يغادرها إلا صحراء ... لا

---

[1] العالمية الاسلامية الثانية – ابو القاسم حاج حمد ص ٢٣١

[2] أمريكيا طليعة الإنحطاط- روجيه جارودى- ص٢٢٣- ٢٢٦

يترك هذا الرجل الأبيض حيث يحل ويرحل شبرا من ارض دون ضجيج، لم يبق لديـه مكان لسماع حفيف الأوراق وتفتحها في الربيع[1].

*** *** ***

[1] حق التضحية بالآخر- تأليف منير العكش-ص١٦٥

الباب الرابع
امتنا ودورها الحضارى

إن أمتنا بما تمتلك من ارث حضارى عريق، لازالت تمتلك من المقومات ما يمكنها من استنبات مشروعها الحضارى النهضوى وتخلق تراكمات تمكنها من بناء مركز قوة، وقاعدة هامة من قواعد ارتكاز الشعوب المقهورة فى كفاحها المفتوح ضد المشروع الاستكبارى الصهيونى المتوحش. وهذا ليس بجديد عليها. فقد تمكنت من ذلك فى الواقع العملى التاريخى. فهى حملت بتجربتها العملية الطمأنينة والسلام، وجسدت على ارض الواقع كيفية تحقيق التطور الانسانى المشترك دون اخضاع ولا خضوع، ليس لمن اعتنق الاسلام فحسب، بل لكل الشعوب التى احتكت بها[1].

فبلادنا العربية هى مهد الحضارات الانسانية، وعلى ارضها كانت الدعوة الاولى لرفض عبودية الانسان، والى عبادة اله واحد احد. فبينما كانت قبائل العالم القديم، كل يسعى الى اله خاص يختص بها، جاء سيدنا ابراهيم ابو الانياء برسالة التوحيد، توحيد البشر جميعاً على عبادة اله واحد. فكل البشر متساوون امام هذا الخالق، لهم نفس الحقوق والواجبات اياً كان اصلهم او انتمائهم الجغرافى. وبنى مع ابنه اسماعيل الكعبة المشرفة – بيت الله الحرام – من دخلها فهو آمن بغض النظر عن المكان الذى اتى منه او القبيلة التى يحمل اسمها. واستحوذت الكعبة كمنارة لحضارة التسامح والاخاء والمساواة والامن على افئدة الناس جميعاً فى المنطقة، مما اثار حسد الاقوام الاخرى التى سعت الى تدمير هذه المنارة الجديدة، فكانت محاوله ابرهه ملك الحبشه لهدم الكعبه، رمز التوحيد والعدل والمساواة بين الشعوب، ولكن كان للكعبة رب يحميها.

واستمر الصراع بين الاتجاه الانسانى الذى يرى فى الانسان قيمه بحد ذاته، يجب ان تسخر كل الاشياء لخدمته، وبين نظره ترى ان الانسان كغيره من الاشياء لا قيمة له بحد ذاته كانسان، بل ان مدى قوته وسيطرته وما يملك هى التى تحدد

---

[1] صهيونية الخزر وصراع الحضارات – وليد محمد على ص ٢٠٧

قيمته، حيث كان اليهود اول من حاد عن طريق الصواب، بعد ان قام احبارهم بتوجيه الديانة اليهودية التى نزلت على سيدنا موسى عن مسارها التوحيدى، حيث جعلوا منها ديانة مغلقة وخاصة باليهود دون غيرهم، واعتبروا انفسهم شعب الله المختار، حيث كان ذلك خلال السبى البابلى، التى كتبت خلاله اغلب اسفار ما تسمى بالتوراه الحالية، لتخدم مصالح طبقه من اليهود، لتبرير الاستيلاء على الارض والرغبه فى السيطره والنهب، ولتصبح التوراة وثيقة عنصرية تحرض ضد الانسان، وتبيح المحظورات فى سبيل جمع المال، وعاتوا فى الارض فساداً وتحكموا بواسطة مهنة الربا الخالية من كل اخلاق وشرف فى اوضاع كثير من الشعوب، ولذلك تعرضوا لانتقام الآخرين وحروبهم. واخترعوا لهم اله خاص بهم (يهوه) اله حرب وشر يقود اتباعه لتدمير كل الشعوب بهدف السيطرة على ثرواتهم لتصبح ملكاً خاصاً لهم. "واصبح منذ هذه اللحظة أي شخص لا ينتمي للاثنتين عشرة قبيلة لا يمثل جزءاً من الشعب المختار من الله عن طريق هبة الأرض والوحي بالشريعة، وهكذا وجد الآخرون أنفسهم كالبرابرة بالنسبة لليونان مطرودين من الحضارة الوحيدة الحقيقية : الحضارة اليهودية.

"وبعد تسعة قرون جاء المسيح، ودعوته الكونية التي حشدت اكبر طاقة في تاريخ البشر والآلهة، تلك الآلهة التي كان يجري تصورها حتى ذلك الحين على أنها ملوك جبابرة، وفتح الطريق الأول لحياة مبدعه بتحطيم الممنوعات القديمة وخصوصية الشريعة، وبقطيعة مع المفهوم القبلي والوثني لإله جزئي ومنحاز قد اختار شعباً محدداً، مذكرا بأن الله هو أبو كل البشر... جاء عيسى عليه السلام، هادياً للبشرية، ومنقذاً لها من سطوة الحاخامات والمرابين، وليطهر الهيكل من رجسهم، وليؤكد للناس جميعاً معانى الاخوه والمحبة والسلام والرحمة، ولكن هذه الدعوة لم تسلم من التشويه على يد بعض الادعياء، الذين كان لادعائاتهم اليد الطولى فى حدوث الانقلاب البروتستانتى باسم الاصلاح الدينى، والذى اعاد المسيحية الى احضان اليهودية. وكان هناك رجل يعرف جيداً كلتا الثقافتين وهو بولس الطرطوسي .. وقد أنجز توليفة منادياً فيها بزعامة يسوع، وبلور مذهباً لا يرجع أبداً إلى كلمات

يسوع وممارساته في حياته لكي يجعل من النجار الفقير في الناصره: مسيح (باليونانية خر يستو Christos) اليهود وخليفة داود"[1].

ثم جاء الاسلام الحنيف مكملاً لرسالة الحق، لخدمة الانسان واسعاده، دين رحمة ومساواه وعدل، ليوحد العرب ويرفع الظلم عنهم وعن شعوب كثيره استعبدتها امبراطوريات ذلك الزمان، فدخل الناس فى دين اللّه افواجاً، ونشأت حضاره اسلامية عظيمه وحدت شعوب وقبائل من اقصى المغرب الى اقصى المشرق تحت رايه واحده، وجد الجيمع فى ظلها الامن والسكينه والسلام، والفرصه للابداع والتطور. فقد فتح المسلمون عبر تاريخهم الطويل صدورهم لغير المسلمين: يهوداً ونصارى ومجوساً وأتاحوا للعناصر ذات الكفاية منهم احتلال مواقعهم الاجتماعية والوظيفية في إطار من مبدأ تكافؤ الفرص، لم تعرفه أمة من الأمم عبر التاريخ. لقد اسهم غير المسلمين في صنع حضارة الإسلام واغنائها دونما أية عقد أو حساسيات من هذا الجانب أو ذاك، كما فتح الطريق أمامهم للوصول إلى أعلى المناصب، بدءاً من الكتابة في الدواوين وانتهاءً بمركز الوزارة نفسها، وأتيح لأبناء الأديان والمذاهب الاخرى إن يتحركوا في ساحات النشاط الاقتصادي والمالي بحرية فنموا ثرواتهم وارتفعوا بمستوياتهم الاجتماعية بما يوازي قدراتهم على العمل والنشاط، وملئوا بهذا وذاك مساحة واسعة في ميدان النشاط الاقتصادي والمالي جنباً إلى جنب مع مواطنيهم المسلمين[2].

وعلى صعيد التوسع الجغرافي، كان المسار الإسلامي آخذا بالصعود والتفوق حتى استطاع المسلمون فتح مدينة القسطنطينية عام ١٤٥٣ عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، ثم تواصل زحفهم حتى كادوا يدخلون فيينا عاصمة النمسا عام ١٦٨٣، متوجين بذلك مسيرة ألف سنة من الفتوحات والانتصارات بدأت في الشام والعراق في القرن السابع الميلادي، وتواصلت في آسيا وأفريقيا وأوروبا. وصاحب تلك الحملات العسكرية تجارة واسعة ومتنوعة وممتدة في القارات الثلاث، وحركة ثقافية وعلمية وفنية. وظهرت حضارة اسلامية متميزه وفريدة شاركت في صنعها جميع

---

[1] كيف نصنع المستقبل- روجيه جارودي - د. منى طلبه- ص٥٧

[2] مذكرات حول واقعة الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)- د. عماد الدين خليل- ص١٢٩

الشعوب. فالإسلام يتميز عن غيره من الاديان بأنه دين المساواة الذي حرر الناس من الإقطاع الفارسي والطائفية الهندية والأرستقراطية الغربية، ورفض التفرقة على أساس الجنس أو اللون أو الثراء أو المكانة الاجتماعية.

انهيار الامبراطورية الاسلامية وصعود الغرب

بعد هذه الاندفاعه القوية التى استمرت اكثر من عشرة قرون، بدأ المد الإسلامي بالتوقف والانحسار فتوقفت الانتصارات، وبدأ الانحسار من أنحاء مختلفة من العالم. فخلال فترة أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر، شهدت الساحة التاريخية ثلاث إمبراطوريات إسلامية رئيسية: الإمبراطورية العثمانية في الأناضول وسورية وشمال إفريقيا والجزيرة العربية، والإمبراطورية الصفوية في بلاد فارس، والحضارة المغولية في الهند. وقد اعتنقت معظم دول شرق آسيا (الملايو، أندونيسيا ...إلخ) الإسلام علي يد التجار المسلمين. وفي تلك الأثناء، كانت أوروبا بصدد تطوير حضارة جديدة أوجدت نظاماً قائماً علي رأس المال علي أنقاض النظام الزراعي. وحدث تطور صناعي وتجاري كبير في الغرب في حين ان المجتمعات الاسلامية لم تواكب هذه النهضة وبدأت في الانحدار.

ففي الأندلس في نهاية القرن الخامس عشر بدأ انحسار المد الاسلامي، وتوقفت حركة الترجمة الكبرى وتوقف الإنتاج العلمي والمعرفي، وبدأ الأوروبيون يحرزون تقدما ملموساً في فنون الحضارة. وبقدوم ما يسمى (المعرفة الجديدة) بدؤوا يتقدمون بسرعة، وسبقوا التراث العلمي والتكنولوجي ثم الثقافي للعالم الإسلامي بأشواط طويلة. فقد كان السلطان العثماني في أوائل القرن السادس عشر الميلادي تشغله المنافسة الكبرى مع المماليك في مصر والشام وإيران الصفوية، واستطاع السلطان (سليم الأول) أن ينهي دولة المماليك ويفتح البلاد العربية كلها. ولكن الصراع العثماني-الصفوي استمر حتى القرن التاسع عشر، واستهلك هذا الصراع المسلمين وألهاهم عما يدور في أوروبا غير بعيد عنهم من تقدم وتطور. فعندما استطاع فاسكو دي غاما الوصول بحراً من البرتغال إلى رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر، فتح طريقاً بحرياً بين أوروبا وآسيا متجاوزا المجال الإستراتيجي

للطريق السابق الذي كان يسيطر عليه المسلمون. وبدأ البرتغال والإسبان والهولنديون ينشئون قواعد لهم، في جنوب شرق آسيا وفي الموانئ والسواحل المطلة على المحيط الأطلسي والمحيط الهندي، لتأمين طرق التجارة والتحكم فيها. وكانت القارة الأميركية مصدراً للموارد والهيمنة التي لم تصلها القوة الإسلامية العثمانية، ومكنت الأراضي الخصبة والمعادن التي امتلكها الأوروبيون من الاستغناء عن كثير من المنتوجات القادمة من الشرق الأوسط وآسيا، ونشطت المهارات التجارية والحرفية[1].

وكانت هزيمة الأتراك في فيينا عام ١٦٨٣ بداية تحول وانكسار، وتبعتها هزائم متوالية ومتواصلة في مالطة عام ١٦٨٤، وفي المواجهة مع روسيا عام ١٦٩٦ عندما استولى القيصر الروسي بطرس الأكبر على مدينة أزوف على البحر الأسو . ومنذ القرن الثامن عشر وبعده، أصبحت الدول الإسلامية تتهاوي الواحدة تلو الأخري تحت مطارق الاستعمار الغربي الناشيء. كما ادى انتشار التقنية في الغرب إلي ظهور الثورة الصناعية. وانقضّ الغرب الصناعي مستعمراً الدول المسلمة بهدف ضمها إلي شبكة مصالحه التجارية، وسمحت الدول المستعمرة بإجراء تحديث سطحي في الدول المستعمَرة لتكفي فقط المستعمرين الغربيين وتمكنهم من استغلال المواد الخام في هذه المستعمرات[2]

وربما يكون التاريخ الحديث للشرق الأوسط بدأ عام ١٧٩٨ مع الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون، حيث أخضعت للمرة الأولى إحدى الدول في قلب ديار الإسلام لحكم دولة أجنبية، وبدأت مظاهر التغير الثقافي في الشرق. وبدأ الحكام في الآستانة والقاهرة يستعينون بالغرب لتحديث دولهم وجيوشهم، فقد استقدم الخبراء العسكريون الغربيون في عمليات إعادة تنظيم الجيش، واستخدمت أنظمة الإدارة الغربية، والأسلحة الغربية، وأرسلت البعثات التعليمية إلى الغرب لاقتباس العلوم الغربية (الإفرنجية)، هذا بالرغم من ان المسلمون كانوا يحتقرون الغرب ولا يأبهون بالجهود الحثيثة التي يبذلها للنهضة والتقدم، وعندما أفاقوا على

---

[1] أين الخطأ؟.. التأثير الغربي واستجابة المسلمين -برنارد لويس -ترجمة: محمد عناني-تقديم ودراسة: رؤوف عباس

[2] امبراطورية الشر الجديدة - عبد الحي زلوم- القدس العربي- ٢٠٠٣/٢/٣

صدمة التفوق التقني في بداية القرن الثامن عشر كان الغرب قد سبقهم بأربعمائة سنة في التقدم العلمي، وبدأ التأثير الغربي يغزو الشرق من مدخل التقنية.

وهكذا أصبح العالم الإسلامي اليوم، إذا قورن بالعالم المسيحي الذي دأب على منافسته طوال ألف عام، فقيراً ضعيفًا وجاهلاً، وتبدى للجميع في القرنين التاسع عشر والعشرين تفوق الغرب وهيمنته، فقد غزي العالم الإسلامي في كل جوانب حياته العامة والخاصة. ولم يقتصر الأمر على أن يجد المسلمون أنفسهم ضعفاء وفقراء بعد قرون من الثراء والقوة، فقد أتى القرن العشرون بمزيد من الإذلال والهزائم، وتقدمت عليهم دول أخرى كانت أضعف وأفقر مثل اليابان ودول شرق آسيا. وهنا بدأ كثير من المفكرين والمصلحين محاولة معرفة اسباب هذا الخلل، حيث كانت الاجابات متنوعه ومختلفة. فقد حُمّل المغول والأتراك والاستعمار الغربي واليهود مسؤولية التخلف والضعف، وأعادها البعض إلى أسباب ثقافية وفكرية تعود إلى التخلي عن الثقافة الإسلامية والركض وراء الثقافة الغربية[1].

وبالتأكيد فإن كل هذه الاسباب صحيحة ولكننا سنركز هنا على الاسباب الفكرية والثقافية التى ادت الى انهيار العالم الاسلامي، لاعتقادنا بانها تمثل الثقل الرئيس في عوامل النهوض والانكسار لاى حضارة او ثقافة. فالحضارة الاسلامية بدأت في اتخاذ منحناً تنازلياً بعد ان ظهرت الخلافات الفكرية والمذهبية بين اتباعه، مقرونه بالجمود والتقليد، وبلغت ذروة ذلك عندما تم قفل باب الاجتهاد وبدأ التضييق على حرية الفكر والابداع الذى طبع حركة الاسلام الاولى، فكان نتيجة ذلك ان قل الالتزام بتعاليم الاسلام او ظل الالتزتم موجوداً ولكن من خلال الأخذ بالمظهر دون الجوهر.

---

[1] أين الخطأ؟.. التأثير الغربي واستجابة المسلمين -برنارد لويس -ترجمة: محمد عناني-تقديم ودراسة: رؤوف عباس

الغزو الفكرى أدواته وأهدافه في العالم الإسلامي[1]

لما بدأ المسلمون يتخلون عن مبادئ دينهم العظيم، بدأ يدب فى عضدهم التفرق والوهن والضعف، فوصل حالهم الى ما هو عليه، ليفسحوا - بسبب تقصيرهم- المجال، مره اخرى لحضاره لا تعترف بالانسان كقيمه، بل كشئ كغيره من الاشياء، حضاره تميز بين الناس عنصرياً على اساس لونهم وجنسهم وانتماءاتهم ... حضاره لا مكان للثقافه ولا لتلاقح الحضارات، ولا لخصوصيات الشعوب. حضاره اصبح الصراع والحروب هو البديل لنهجها، والقتل والتدمير وسفك الدماء طريقها، فى غابه كونية اصبح شعارها البقاء للاقوى .. وفرق تسد والغاية تبرر الوسيله، فكانت حصيلة عصرنا الحاضر ظلم وجور واستغلال ونهب وابادة وحروب مدمره لن تنتهى مادامت هذه الحضاره مسيطره .. ومادام الآخرون مما يملكون البديل الانسانى صامتين ومقصريين، فاسحين المجال لتمادى قوى الشر لاكمال مشروعها العدمى للبشرية، تحت مسميات وشعارات براقه لحقوق الانسان والديمقراطية والحرية، والتى لم يحققوها فى بلدنانهم او فى اى من البلاد التى حلت عليها نقمتهم واحقادهم. فقد نجح هذا المشروع العدمى الذى تقوده امريكا بخلفيتها التوراتية، فى اماكن كثيره كما عرضنا سابقاً بدءً من ابادة الهنود الحمر واستعباد السود، مروراً بنهب امريكا اللاتينية وتدمير اوروبا وانتهاءً بما يخطط للعالم الاسلامى منذ فتره كبيره .

ولكن لكى تكتمل الحلقة الجهنمية، ويتم اخضاع العالم الاسلامى لمخططات اسياد الظلام، من يهود وامريكان اشباه يهود، كان لا بد من ضرب هويتنا وحضارتنا وتاريخنا. ومن اجل هذا تزداد شراسة الهجمة وحشية وهمجية وانكشافاً. فنحن وحتى اللحظة لا زلنا نتمسك بانتمائنا وهويتا، ونعتز بتاريخنا، منصهرين فى بوتقه حضارتنا وقيمنا. وهذا ما يراد اسقاطه عبر الهجوم اللاحضارى الكاسح، الذى يسعى الاعداء من خلاله لدفعنا للتنكر لهويتنا وانتمائنا، نلعن تاريخنا، ونحتقر حضارتنا ونسفه قيمنا ونعتبر كل ذلك سبباً لجهلنا وتخلفنا. وقد بدء التخطيط والتنفيذ لهذه

---

[1] الغزو الفكرى أدواته واهدافه في العالم الاسلامي – سلسلة مقالات للمؤلف نشرت في جريدة الوحدة الاماراتية عام ١٩٨٧

الهجمة منذ زمن بعيد، منذ فشل الحروب الصليبية فى تحقيق اهدافها، وذلك عن طريق ما سمي الغزو الفكرى الذى كانت خطورته على العالم العربى والاسلامى اشد من الغزو العسكرى، حيث أدرك الغرب بعد فشل الحروب الصليبية أن الغزو العسكري للبلاد الإسلامية لابد أن يخفق مهما طال الزمن، ما لم يصاحبه غزو فكري يقضي على عوامل القوة والمنعة الكامنة في الإسلام. وفي هذا يقول كيرك: "أن الحروب الصليبية فتحت أذهان الغربيين إلى مستوى الحضارة في الشرق الأوسط، ذلك المستوى الذي كان يفوق بكثير حضارة الغرب. ومع تفتح أذهان الغربيين اتجه هؤلاء إلى غزو الشرق فكرياً بعد أن عجزوا عن غزوه عسكرياً".

ومصطلح الغزو الفكري من المصطلحات التي ظهرت في عصرنا الحديث بعد أن تعرضت كثير من دول العالم للاستعمار الغربي والذي عمل جاهداً على إبقاء سيطرته على هذه الدول حتى بعد زوال سيطرته العسكرية والسياسية عنها. وذلك عن طريق إبقائها في حالة تبعية فكرية واقتصادية لها. والغزو الفكري يقصد به بوجه عام ذلك الجهد البشري المبذول ضد شعب أو أمة من الأمم لكسب معارك الحياة فيها، وتسهيل قيادتها، وتحويل مسارها التاريخي عن طريق إخضاعها لثقافة وفكر غريب عنها وعن شخصيتها ومقوماتها التي تميزها، وجعلها تعيش في حالة تبعية فكرية، فتعيش عالة على الثقافات الأخرى. فالغزو الفكري مكمل لأساليب الغزو التقليدي ومساعد لها، وفي بعض الأحيان يكون بديلاً عنها، مع التقائه معها في الأهداف وإن اختلفت وسائل ومظاهر كل منهما. فبينما يعتمد الغزو العسكري على قوة السلاح وما تحققه الجيوش من انتصارات في ساحات المعركة، لتحقيق أهدافه، يعتمد الغزو الفكري على مدى دراية الغزاة وعلمهم بأحوال الأمة التي يراد غزوها، ومعرفتهم بمواطن الضعف والقوة في فكر وتراث هذه الأمة، فيعملوا على محاربة وتشويه مواطن القوة فيها، وزيادة مواطن الضعف بشتى الطرق. ومن مظاهر الغزو الفكري هي سيطرة ثقافة وفكر الدولة الغازية على ثقافة وفكر الدولة المغزوة، بحيث تظل هذه الدولة أو الأمة في حالة تبعية فكرية وثقافية للدولة الغازية.

فالغزو الفكري هو أن تسود أخلاق وعادات وتقاليد أمة من الأمم، أخلاق وعادات وتقاليد أمة أخرى. فإذا كانت الأخلاق والعادات والتقاليد تنبع من القيم

والمثل الأصلية لأي أمة من الأمم ومن الظروف التي تعيش فيها، فإن تنكر الأمة لأخلاقها وعاداتها وتقاليدها هو تنكر لأصالتها ومسخ لشخصيتها وهويتها المميزة.

الغزو الفكري هو أن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب أو تحل محلها أو تحاربها بإحياء اللهجات العامية فيها، فتعيش لغة المغلوب عالة على لغة الغالب فتصبح غريبة في وطنها ويدب فيها الضعف بسبب إهمالها وكثرة المصطلحات والمفردات التي تدخلها من خارجها. وإذا كانت اللغة هي وسيلة الإنسان للتعبير عن أحاسيسه وأفكاره، فإن ضعف اللغة من غير شك يؤدي إلى ضعف الفكر وخواء مضمونه. فيزداد الميل للتقليد الأعمى ويقل الابتكار والإبداع لدى مفكري الطرف المغلوب.

الغزو الفكري هو أن يعيش أدباء ومفكرو وعلماء أمة من الأمم عالة على أدباء ومفكري وعلماء أمة أخرى، ويتحولون إلى أصحاب وكالات فكرية لا يعرفون معنى للإبداع والابتكار، فيقومون بتبني أفكار ومذاهب ونظريات غريبة عنهم وعن مجتمعهم وشخصيتهم المميزة، متناسين خصوصية فكر وثقافة كل أمة من الأمم. وهذا هو العجز بعينه الذي يجعلهم يختارون أسهل الطرق وأخطرها عن طريق التقليد بدعوى عالمية الفكر والدعوة للتجديد والحداثة.

الغزو الفكري هو أن تهمل أمة من الأمم تاريخها وتراثها وتتخذ من تاريخ وتراث أمة أخرى مثلاً أعلى لها. فتهمل تاريخ أبطالها وسير النابغين من أبنائها فتفقد ثقتها في نفسها وتاريخها. الغزو الفكري هو أن يتعرض تاريخ وفكر ونظام حياة أمة من الأمم لحملات التشويه والتخريب والاحتواء من فكر أمة آخر. "فعندما يظهر تأثير أجنبي في شيء ذي أهمية جوهرية لثقافة ما مثل المؤسسات والمساجد، فهذا يعني أن الثقة بالنفس ثقافياً قد اهتزت. وعندما يغير الناس ملابسهم ويرتدون ملابس مجتمع آخر يكونون قد اتخذوا خيارا ثقافيا آخر[1].

وقد تعرضت الأمة الإسلامية كغيرها من الأمم الأخرى التي خضعت للاستعمار الغربي لهذا النوع من الغزو وعانت منه طويلاً ولا زالت تعاني. ولكن عندما يتعلق أمر الغزو الفكري بالعالم الإسلامي والفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، فإن الكلام

---

[1] أين الخطأ؟.. التأثير الغربي واستجابة المسلمين -برنارد لويس -ترجمة: محمد عناني-تقديم ودراسة: رؤوف عباس

يحتاج إلى كثير من الإيضاح والتركيز. فالإسلام هو خاتم الرسالات السماوية التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى شريعة ومنهاجاً أبدياً للبشرية في دنياها وآخرتها. فكان هذا الدين منذ أوائل عهده ثورة في وجه الظلم والاستغلال والانحراف. ودعوة إلى العدل والإخاء والمساواة بين البشر، فكان حرباً على المستغلين والمنحرفين واقفاً في صف الضعفاء، والمقهورين، وهذا لا يرضي المستعمرين والمستغلين لأنهم لن يستطيعوا تحقيق أهدافهم. لهذا وجد هؤلاء أن الطريق الصحيح للسيطرة على العالم الإسلامي هو محاربة هذا الدين وتشويهه، محاربة الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية بكل جوانبها، وفرض الثقافة والفكر الغربي على البلاد الإسلامية بكافة الطرق، واعتبار الحضارة الغربية وقيمها مقياس كل نهوض وتقدم ونشر ذلك بين المسلمين حتى يقل اعتزازهم بدينهم وفكرهم وحضارتهم ويزداد إعجابهم وميلهم للحضارة الغربية.

لهذا فقد عمد الغرب إلى رد كل إبداع حضاري لدى الشعوب الإسلامية إلى الأصول اليونانية والرومانية، وكأنه لم يوجد فكر في العصور القديمة إلا الفكر اليوناني والروماني، متناسين أثر الحضارات الشرقية القديمة على الحضارة اليونانية والرومانية، ومبرزين لأثر الحضارة اليونانية على الحضارة الإسلامية. فالمسلمون في نظرهم لم يكونوا إلا نقلة وشراحاً للفكر اليوناني ولم يضيفوا شيئاً جديداً يستحق الذكر للحضارة الإنسانية. فإسهام المسلمين عندهم الذي يستحق الذكر في مجال الحضارة الإنسانية هو أنهم قاموا بحفظ التراث اليوناني من الضياع عن طريق ترجمته وشرحه وتهذيبه ولا شيء غير ذلك. فهم خزنة ماهرين ولكنهم ليسوا مبدعين. فالإبداع والنظر العقلي سمة للعقلية الغربية، والتقليد والإمعان في الروحانية سمة للعقلية الشرقية. فتاريخ الفلسفة عندهم هو تاريخ الفلسفة الغربية مع إهمال ذكر إسهامات الفلاسفة المسلمين وأثرهم على الفلاسفة الغربيين، أمثال الغزالى والفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم.

وتاريخ العلم هو تاريخ العلم الغربي، مع التقليل من قيمة إسهامات العلماء المسلمين في تطور العلوم وتقدمها. ونسبتهم كثير كشوفات العلماء والمسلمين ونظرياتهم إلى علماء غربيين، أو عدم ذكر أثرهم في توصل العلماء الغربيين إلى ما وصلوا إليه من كشوفات. وتاريخ الأدب هو تاريخ الأدب الغربي من هوميروس في

عصر اليونان، إلى أصحاب المدرسة الكلاسيكية والرومانسية في العصر الحديث، وإهمال ذكر أدباء المسلمين وإبداعاتهم وأثرهم في كثير من الأدباء والشعراء الغربيين. وعصور الغرب هي كل العصور ولا عصور غيرها، فهي مقياس التقدم والانحطاط. فالعصر الوسيط هو عصر انحطاط وتخلف لأن الغرب كان كذلك، متناسين أن هذا القول ينطبق على الحضارة الغربية وحدها، أما الحضارة الإسلامية فقد كانت في أوج مجدها وازدهارها في العصور الوسطى.

وهكذا نصب الغرب نفسه معلماً أبدياً للبشرية وأسدى ستاراً من الصمت والتعتيم والتشويه حول إنجازات الحضارة الإسلامية في كافة المجالات، حتى يبقيها في حالة تبعية فكرية له لأطول فترة ممكنة، وذلك بجعل النموذج الحضاري الغربي هو النموذج الوحيد للتقدم الحضاري في كل العصور، ولا نموذج سواه، ولذلك يجب الإقتداء به وتقليده لمن يريد التقدم والازدهار. وقد سارت عملية الإعلاء من قيمة الحضارة الغربية والفكر الغربي جنباً إلى جنب مع حملات التشويه والتخريب للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية والدين الإسلامي. فتسربت كثير من الأفكار الخاطئة عن الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي والدين الإسلامي إلى البلاد الإسلامية من خلال ما فرضه الغرب على هذه البلاد من أنماط معينة للتفكير والثقافة بواسطة مؤسساته التعليمية وغيرها من المؤسسات الأخرى.

ومما تقدم يتضح ان الغزو الفكري كان من أشد معاول الهدم خطورة على العالم الإسلامي، والتي كرست تبعيته الفكرية للعالم الغربي لفترة طويلة، وساعدت الدول الاستعمارية في تحقيق أهدافها. وتكمن خطورة الغزو الفكري في أنه من الأمور غير المنظورة التي لا يمكن تتبعها وعلاجها بسرعة بالإضافة إلى اختلاف الآراء حولها. بعكس الغزو العسكري الذي يشعر به كل فرد، فتسهل مقاومته والقضاء عليه متى توفرت الإمكانيات لذلك.

وإذا أردنا أن نتحدث عن الغزو الفكري للعالم الإسلامي، فيجب علينا أن نبحث عن الجذور التاريخية له والتي ساهمت إلى حد كبير في استمراره، وفي مساعدة الدول الاستعمارية في فرض سيطرتها السياسية والعسكرية والفكرية على العالم الإسلامي لفترة كبيرة من الزمن ولا زالت. فإذا كانت الدول الإسلامية قد تحررت من قيود الاستعمار الغربى من الناحية العسكرية وحصلت على استقلالها السياسي، إلا

أن تبعيتها الفكرية للدول الاستعمارية ما زالت قائمة، بالرغم من المحاولات الجادة التي تبذلها هذه الدول للتخلص من هذه التبعية، والتي تحتاج إلى وقت وصبر وعمل دائم على كافة المستويات بالإضافة إلى تكاتف جهود كل الدول والمؤسسات الفكرية في الدول الإسلامية.

الغزو الفكرى دوافعه وادواته

يذهب أغلب الباحثين الى ان فشل الحروب الصليبية في تحقيق أهدافها عن طرق الغزو العسكري، جعلت الغرب يستخلص الدروس والعبر التي تعينه على معرفة الطريقة الجديدة التي يجب أن يتعامل بها مع العالم الإسلامي، حيث أدرك الغرب أن الغزو العسكري لابد مخفق مهما طال الزمان، ما لم يصحبه غزو فكري يزلزل عوامل القوة الكامنة في الإسلام والحضارة الإسلامية. والغرب بذلك يعمل وفق القاعدة التي تقول: "إذا أرهبك عدوك فافسد فكره ينتحر به". وهنا يقول المؤرخ (جان دي جوانفيل) الذي رافق الملك (لويس التاسع) ملك فرنسا في حملته الصليبية (الحملة السابعة): "أن خلوة الملك لويس التاسع في معتقله بالمنصورة، أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بصبر في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين. وقد انتهى به التفكير إلى أنه لا سبيل للسيطرة على المسلمين عن طريق الحرب أو القوة، وذلك لأن في دينهم عامل حاسم هو عامل المواجهة والمقاومة والجهاد وبذل النفس والدم، لأنهم قادرون دوماً انطلاقاً من عقيدتهم إلى المقاومة ودحر الغزو الذي يجتاح بلادهم، وأنه لابد من إيجاد سبيل آخر من شأنه أن يزيل هذا المفهوم عند المسلمين، وذلك لا يتم إلا بتعديل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات سلمية تستهدف الغرض نفسه، وذلك من خلال التركيز على الفكر الإسلامي وتحويله عن مساره وأهدافه حتى يستسلم المسلمون أمام لقاء القوى الغربية وتروض أنفسهم على تقبلها على نحو من أنحاء الاحتواء والصداقة أو التعاون. وأفضل وسيلة لذلك هي تجنيد المبشرين والمستشرقيين ودعم مؤسساتهم ونشاطهم في العالم الإسلامي". وقد علق المؤرخ رينيه جروسيه على ذلك بقوله:

"أن الملك لويس التاسع كان بذلك في مقدمة كبار الساسة في الغرب، الـذين وضـعوا للغرب الخطط الرئيسية، لسياسة جديدة شملت مستقبل آسيا وأفريقيا بأسرها".

ومن هنا بدأ الغرب التخطيط لهذا الأمـر وهـو إفسـاد الفكـر الإسـلامي. فـأجمع الغرب أمره على محاربة الإسلام والمسلمين وذلك بهدم البنيان من أصـوله وجـذوره، ومحاربة الإسلام في نفوس أبنائـه لزعزعـة ثقـة المسـلمين بـدينهم وإبعـادهم عنـه وإبعاده عنهم، وشغلهم بمبادئ أخرى إن لم تقض نهائياً على الإسـلام فإنهـا تزاحمـه وتزلزل أركانه، فيسهل القضاء عليه مع الزمن. لهذا قرر الغرب دراسة الإسلام وآدابـه وفنونه وعلومه وحضارته دراسة وافية ليقفوا على مواطن القوة والضعف فيهـا فكـان الإستشراق والتبشير السلاحين الخطرين الذين ظهرا بشكل سافر وعلى نطـاق واسـع منذ أواخر القرن الثامن عشر إلى يومنا هذا. فقد حمل الاستشراق أعبـاء الأعمـال فـي ميادين المعرفة الأكاديمية وأضفى على بحوثه ودراساته عن العالم الإسلامي الطابع العلمي، واسـتخدم الكتابـة والتـأليف والترجمـة والتحقيـق والنشـر وإلقـاء المحاضـرات وعقد المؤتمرات والتدريس الجامعي وسـائل لتحقيـق أهدافـه. وحمـل التبشـير أعبـاء الـدعوة فـي أوسـاط الجمـاهير العامـة الفقيـرة، عـن طريـق تقـديم الخـدمات الطبيـة والتعليمية للجماهير بالإضافة إلى قيامه بإنشاء الملاجئ ودور الأيتـام ودور الحضـانة للأطفال وإنشاؤه لجمعيات تدعي أنها تهدف لعمل الخير وهي في الأصل للتبشير .

وفعلاً أخذ الغرب فـي تنفيـذ هـذا المخطـط عـن طريـق الاستشـراق والتبشـير، حيث عبر عن ذلـك المبشـر شـاتيله فـي كتابـه (الغـارة علـى العـالم الإسـلامي) وقـال مخاطباً المبشرين: "إذا أردتم أن تغـزوا العـالم الإسـلامي وتحصـروا شـوكته وتقضـوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة، والتي كانـت السـبب الرئيسي لاعتزاز المسلمين وشموخهم وسبب سيادتهم وغزوهم للعـالم، فعلـيكم أن تواجهوا جهودكم إلى نفوس الشـباب المسـلم والأمـة الإسـلامية بأماتـة روح الاعتـزاز بماضيهم وتاريخهم وكتابهم القرآن، وتحويلهم عـن ذلـك بنشـر ثقـافتكم وتـاريخكم ونشر روح الإباحية وتوفير عوامل الهدم المعنوي، حتى لو لم نجد إلا المغفلين مـنهم

والسذج والبسطاء فإنه يكفينا ذلك لأن الشجرة يجب أن يتسبب في قطعها أحد أعضائها"١.

كما عبر المبشر الامريكى زويمر عن رأيه الصريح في أعمل المبشرين البروتستانت، حين اعترف بأن للتبشير في البلاد الإسلامية ميزة هدم وميزة بناء. ويعني بالهدم انتزاع المسلم من دينه ولو إلى الإلحاد. ويعني بالبناء تنصير المسلم إن أمكن، ويضيف زويمر قائلاً للمبشرين: "لا ينبغي للمبشر المسيحي أن يفشل أو أن ييأس ويقنط، عندما يجد أن مساعيه لم تثمر في جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية، لكن يكفي أن تجعل الإسلام يخسر مسلمين بذبذبة بعضهم. عندما يتذبذب مسلم وتجعل الإسلام يخسره، تعتبر ناجحاً أيها المبشر المسيحي. يكفي أن تذبذبه ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحياً"٢.

الصهيونية المسيحية والاسلام

لما كانت اسرائيل والصهيونية العالمية اشد اعداء الامه فى هذا العصر، فاننا لا نستغرب دورهما الهدام فى الغزو الفكرى للامه، لادراكهم للدور الخطير الذى يلعبه الغزو الفكرى والثقافى فى تحقيق مخططاتهم فى المنطقة. فقد ادرك قادة ومنظروا الصهيونية المسيحية هذه الحقيقة منذ زمن بعيد. ادركوا ان الغزو الثقافى، يلعب دوراً حاسماً ومركزياً فى تحقيق المخطط الامريكى الصهيونى الجهنمى، كما ادركوا ان مخططاتهم لن يكتب لها النجاح الا اذا استطاعوا الانتصار لغزوتهم الثقافية والفكرية التى تهدف الى شطب ذاكرتنا والغاء تاريخنا لنلعن حضارتنا ونشكك بهويتنا وانتمائنا .. ونعتبر ذلك سبباً لتخلفنا، آنذاك يسهل عليهم السيطرة علينا، ليس حاضراً وحسب بل ومستقبلً ايضاً٣.

واذا كان الفكر اليهودى قد استغل الظلام الذى ساد اوروبا فى القرن الخامس عشر وتسلل الى العقيدة المسيحية، واذا كان هذا التسلل قد ادى منذ القرن السادس عشر الى وضع اليهود تحت مظلة القداسة الدينية المسيحية، وبالتالى الى تعامل

---

[1] الغارة على العالم الاسلامي- المبشر شاتيلا – ترجمة محب الدين الخطيب - دار الفتح، القاهرة

[2] حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر – احمد عبد الوهاب ص١٦٠

[3] صهيونية الخزر وصراع الحضارات – وليد محمد على ص٢٢٦

الكنيسة الجديدة (البروتستانتية والتطهيرية) معهم كشعب ميزه الله عن سائر الشعوب الاخرى، وانه – اى الشعب اليهودى – يملك صكاً الهياً بملكية الارض المقدسة، وان عودته الى فلسطين تحقق نبوءة توراتية تمهد للعودة الثانية للمسيح. واذا كان هذا الفكر اليهودى قد تمكن كذلك، من ربط العقيدة الدينية المستحدثة بالمصالح الاستراتيجية للدول الغربية، فانه لم يقف عند هذه الحدود، بل حاول التسلل ايضاً الى الاسلام نفسه فى مواكبة تكاملية مع ما كانت تتعرض له المسيحية.

ومن الجدير بالذكر ان محاولة التسلل الى الاسلام لم تلقى اهتماماً اسلامياً مبكراً لاسباب عديدة، اهمها هي ان الغاية من هذه المحاولة لم تكن موجهة الى المسلمين والعرب مباشرة، بقدر ما كانت موجهة الى الاوربيين. كما ان الذين قاموا بتلك المحاولة هم من الفلاسفة واللاهوتيين والمستشرقيين اليهود الاوربيين الذين كتبوا الافكار التى اختلقوها باللغات الاوربية، ولذلك بقيت الافكار بعيدة عن متناول المسلمين العرب حتى اواخر القرن التاسع عشر. فالمحاولة او المحاولات اليهودية – الاوربية، تناولت الاسلام كدين، وتناولت العرب كمجتمع، تم طرحت موضوع الدور والحضور اليهوديين فى كلا الامرين. فبالنسبة للدين الاسلامى، حاول الفكر اليهودى ان يقدم الاسلام وكأنه اقتباس عن اليهودية، حيث حاول بعضهم اظهار النبى محمد صلى الله عليه وسلم، وكأن لا عمل له سوى الاقتباس عن اليهودية، وحاول آخرون ان يصور يهود الجزيرة العربية على انهم المصدر الذى استقى منه الرسول الكريم هذه الافكار. وعلى الخط نفسه زعم بعضهم بالاثر اليهودى على عقيدة التوحيد فى الاسلام، واكدوا على اهمية الدور اليهودى وحجمه فى الجزيرة العربية، حتى المؤسسات الاسلامية نسبوها الى اليهود .

هذه الدراسات اليهودية حاولت من جهه اولى ان تنكر المقومات الذاتية للحضارة الاسلامية العربية، وحاولت من جهه اخرى ان تدعى استمرارية الوجود اليهودى فى المنطقة، وان تنفى الغياب اليهودى عن المنطقة العربية تبريراً لقرار العودة ممثلاً فى فكر الصهيونية. واذا كان بعض المفكرين العرب المحدثين قد سقط ضحية تضليل هذا الاستشراق اليهودى، فان الاسلام خلافاً لما حدث فى المسيحية، استعصى على الاختراق واحتفظ بسلامة العقيدة وبنقاوتها. غير ان الفكر

اليهود حقق نجاحاً محدوداً جداً فى ميدان، كما حقق نجاحاً واسعاً فى ميدان آخر. يتمثل النجاح المحدود جداً فى ظهور بعض الحركات الارتدادية كالقاديانية والبهائية وغيرها. ولكن انحصار هذه الحركات فى اطراف العالم الاسلامى وعزلها بعيداً عن القلب ادى الى انحسارها وتآكلها[1]. اما النجاح الواسع فيتمثل فى القضاء على الخلافة الاسلامية رمز الوحدة وقاعدتها[2].

امتنا ودورها الحضاري

اذا كنا عرضنا في السابق تصور لطرق مواجهة الهجمة الصليبية من داخلها او بالتحالف مع قوى اخرى خيره في العالم من خلال حوار الاديان والحضارات ، الا ان كل ذلك ليس كافيا لنجاح هذه المواجهة اذا لم نقم نحن المسلمون والعرب بتأسيس وبناء مشروعنا الحضاري الخاص بنا والذى يمكن ان يكون بديلا انسانيا للنموذج الامريكي المتهاوى واللانساني.

فهذا التخطيط الواعى من قبل الاعداء .. وهذه الشراسة الهمجية فى العدوان، والوضوح فى الاستهداف، يستدعى من امتنا رداً بمستوى الخطر الجسيم الذى يتربص بها، وهذا لا يكون الا بمشروع نهضوى شامل يتم التأسيس له من معمان المعركة المفتوحة مع العدو ومن خلال ادامة الاشتباك معه بمختلف الاشكال الممكنة او الممكن ابتكارها[3]. وعسى إن تكرهوا شيئا وهو خير لكم فمن يدري؟ لعلها وخزه كبيرة تخترق الجملة العصبية لامة نائمة فتستيقظ، لعلها تلتقي بعد التمزق والتشتت والخصام ولو على الحد الأدنى من مطالب التوحد وشروطه، فيما يمنحها

---

[1] بالرغم من انحسار هذه الحركات في اطراف العالم الاسلامي، فإن نشاطها الهدام يعتبر من اخطر ما يواجهه الاسلام فى هذه المرحلة بسبب تعاونها مع الحركة الصهيونية والصهيونية المسيحية، وحصولها على دعم هائل من الموساد الاسرائيلى والمخابرات الامريكية والمنظمات التبشيرية . كما ان هذه الحركات استطاعت فى دول عربية واسلامية كثيره الى ايصال اتباعها الى الحكم او الى مراكز حساسة في صنع القرار، فكان هذا التهاون والاستسلام للهجمة الصليبية الجديدة. وسيضح مع الوقت حجم الاختراق الذى نجحت هذه الفرق الضاله في تحقيقه فى منطقتنا العربية بمساعده ودعم كامل من اسرائيل وامريكا . ولمزيد من المعلومات عن نشاط هذه الحركات يمكن مراجعة كتابنا "احمد ديدات بين القاديانية والاسلام".

[2] الصهيونية المسيحية – محمد السماك -ص ٩٩-١٠٤

[3] صهيونية الخزر وصراع الحضارات – وليد محمد على ص٢٢٩

ثقلاً بين الأمم ويعيدها ثانية إلى التاريخ بعد رحلة الضياع في التيه كما ضاع بنو إسرائيل من قبل، لعلها فرصة البحث عن الذات الغائبة والتحقق بحضور اشد فاعلية واكثر عطاء[١].

فالامه العربية والاسلامية هى امة ذات رسالة انسانية خالدة، ساهمت عبر التاريخ باسهامات لا ينكرها الا جاحد، فالحضارات الانسانية الاولى نشأت وترعرت بها، والاديان السماوية كذلك، وقد سبق للمؤرخ ارنولد توينبي اعتبار أن مركزي الحضارة هما منطقتا سوريا واسيا الوسطى: ففي سوريا تشكلت المسيحية التي توسعت في العالم الهيليني بأكمله، كما تشكلت النسطوريه ومذهب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح في ايديس في بلاد ما بين النهرين. وفي جنوبي سوريا- في الحجاز – ولد الإسلام في مكة والمدينه[٢]، حيث انتشر في مشارق الارض ومغاربها بسرعه فائقة وانشأ حضارة زاهره امتدت لقرون طويلة، ظلت تؤثر وتغني الحضارة الانسانية حتى هذه اللحظة. وقديماً هدم الرومان تدمر وأتى العرب بعد الف عام فبنوا قرطبه ... لقد أقاموا مع جامع قرطبه جامعتها التي كانت مركزاً ثقافياً شع على الغرب على مدى ثلاثة قرون بعلوم الشرق وحكمته وفلسفة اليونان والهند، لا بترجمة الآثار العلمية والفلسفية فحسب، بل بإبداع (تركيبة) جديدة وتطوير خلاق مارسه الاسلام. وعلى الطرف الآخر من العالم الاسلامي .. من بغداد الى جند يسابور قرب الخليج العربي كان الاطباء والحكماء من يونان وهنود وغيرهم يتعاونون في ظل الحضارة الاسلامية. كان العالم الاسلامي يلعب دوره الحضاري في تمدين الانسان وتطوير انسانيته عبر هذا الطريق التى شقتها له شعوب المنطقة منذ ثلاثة آلاف عام[٣].

إن الدارس لبنيات الحضارات الإنسانية المختلفة، لا يمكنه أن يتنكر للدور الحضاري الخلاق الذي لعبه العرب والمسلمون في بناء النهضة العلمية لأوربا

---

[1] مذكرات حول واقعة الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)- د. عماد الدين خليل- ص٥٢

[2] أمريكيا طليعة الإنحطاط- روجيه جارودى-ص٣٠-٣١

[3] فلسطين ارض الرسالات السماوية – روجيه جارودي – ترجمة قصي اتاسي- ميشيل واكيم – ص٣٤٨

الحديثة[١]، فهذا أوجست كونت مؤسس الفلسفة الوظعية أدرك قدرة الإسلام في التعامل واحتواء جميع العقول والفلسفات والأفكار الإنسانية .. وعبّر عن ذلك بقوله : " إن عبقرية الإسلام وقدرته الروحية لا يتناقضان البتة مع العقل كما هو الحال في الأديان الأخرى ؛ بل ولا يتناقضان مع الفلسفة الوضعية نفسها ؛ لأن الإسلام يتمشى أساساً مع واقع الإنسان، كل إنسان، بما له من عقيدة مبسطة، ومن شعائر عملية مفيدة ![٢]. أما شبرل" عميد كلية الحقوق بجامعة "فيينا"، فيقول في مؤتمر الحقوق سنة ١٩٢٧ : " إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد (صلى الله عليه وسلم) إليها، إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً؛ أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون؛ لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة [٣]".

والحضارة الاسلامية الآن غير عاجزة عن التكيف مع العصر، وتملك خبرات وقيماً رفيعة من التسامح والقدرة على التفاعل والتعايش مع الآخرين. فقد منعت الحضارة العربية الإسلامية - بالقول والفعل - إهدار كرامة الإنسان والسيطرة عليه. وأكدت -مثلما أكدت حضارات أخرى- أن كرامة الإنسان اسبق من كل انتماء وهوية حضارية، وحصانة أولية للإنسان ثابتة له بوصفه إنسانا كرمه خالقه وجعله خليفة له في أرضه. فالاختلاف والخلاف بين الحضارات لا ينبغي لهما أن يهدر حق الشعوب، أن في التعامل أو في الوجود[٤].

وبالرغم من ان الحضارة المسيطرة الآن هى الحضارة المسيحية، الا ان العالم والمؤلف البارز، الدكتور (رالف بريبانت)، يعتقد: "ان الاسلام يشهد حالياً، تزايد الاقرار به، والموافقة عليه، على النطاق العالمى، فى حين ان المسيحية تبدو فى حالة تراجع ببعض النواحى. فنظام القيم الاسلامى يبدو اكثر تحفظاً بنقائه الاصلى، واسلم من المعتقدات المسيحية التى تتراجع باطراد، الى عالم الاسطوره او التعصب .. اما الاسلام، فانه، من ناحية اخرى فى مرحلة نمو دينامية، مفعمه بالحماسة والنشاط".

---

[1] نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع من خلال القرن الرابع عشر الهجري.- - رشدي فكار- ص ٣١-القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٠.

[2] نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع من خلال القرن الرابع عشر الهجري.- - رشدي فكار- ص ٣١-القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٠.

[3] معالم الحضارة في الإسلام- عبد الله ناصح علوان- ص ١٥٥.

[4] حوار الحضارات .. لماذا؟ بقلم يوسف الحسن

وهنا يحذر بريبانت- وهو عضو فى الكنيسة الاسقفية البروتستانتية- من ان الاسلام لا يصل الى تحقيق كامل طاقته الكامنه الا اذا اولى المسلمون صورة الاسلام لدى العامة من الناس اهتماماً كبيراً، فضلاً عن اهتمامهم بسلوك المسلمين كأفراد ايضاً: "نجد فى هذه اللحظة من التاريخ، ان للقوى المحركة فى الاسلام وقيمه المحددة بوضوح، امكانية انتشال العالم الغربى من حالته المرضية. ولا يمكن ان يتحقق ذلك، الا اذا كانت الصورة، التى يعرضها الاسلام على الشاشة الكونية، واداء المسلمين على المسرح العالمى، متساوقين مع مبادئ الاسلام، فى السلام والعدل واحترام الحياة"[1].

ولو أن الإسلام – بدلا من أن يتحجر على ماضيه – عاد إلى التصور القرآني لوحدة الديانات منذ أن نفخ الله من روحه في أدم عليه السلام وذلك بشريعة هي القاسم المشترك لكل عقيدة ولكل حكمة على المستوى العالمي، وبمعنى آخر: لو عاد الإسلام إلى أصالته القرآنية، ولو عاد (لاهوت التحرير) إلى أصالة رسالة السيد المسيح بعيداً عن عهود (لاهوت السيطرة)، فان هذه الجبهة العالمية سوف يتحقق لها النصر على هذا العالم الذي يخلو من الروح وهو عالم (وحدانية السوق)"[2]

وهنا يعتقد الامير تشالز، وريث العرش البريطانى الذى يجعله منصبه هذا رئيساً فخرياً لكنيسة انجلترا، "ان بوسع المسيحيين تعلم امور كثيره من المسلمين". وفى خطاب متلفز القاه عام ١٩٩٣ فى جامعة اكسفورد، لحظ تشارلز مآثر الاسلام للحضارة الغربية، حين قال: "يمكن للاسلام إن يعلمنا اليوم طريقة للفهم والعيش في العالم كانت المسيحية هى الخاسرة عندما فقدته. ذلك اننا نجد فى جوهر الاسلام محافظته على نظرة متكاملة الى الكون. فهو يرفض الفصل بين الانسان والطبيعه، وبين الدين والعلوم، وبين العقل والمادة. وقد حافظ على نظرة ميتافيزيقية وموحدة عن انفسنا، وعن العالم من حولنا"[3].

وفي كتابه (الإسلام في الغرب) يعطي (روجيه جارودي) ادلة على عالمية الرسالة الإسلامية وانفتاحها حيث يقول: "ان الأُمّة الإسلامية هي منفتحة ـ بلا تمييز

---

[1] لا سكوت بعد -- اليوم - بول فيندلى- ص ٥٢

[2] أمريكيا طليعة الإنحطاط- روجيه جارودى-ص٣٢-٣٣

[3] لا سكوت بعد -- اليوم - بول فيندلى- ص ٥٥

للاصل أو العنصر ـ على كل من يعترف بوحدانية اللّه وتنزيهه للرسالة الشاملة لكل الانبياء". ويضيف: "ان جدال المسلمين مع اليهود ليس موجهاً ضد رسالة موسى ورسالة الانبياء، بل ضد تأويلاتها المتعصبة، وكذلك فأن جدل المسلمين مع المسيحيين ليس موجهاً ضد رسالة عيسى ولكن ضد الشرك". ثم ينتهي جارودي إلى القول: "وبما ان الإسلام قد تجلى هكذا ـ كما جاء في القرآن ـ بشموليته دون ان يكون مرتبطاً بتقاليد معينة لشعب ما، فقد عرف تألقاً معجزاً، لان اعتناقه لم يكن يعني بالنسبة لرجل مؤمن، قطيعة ولا كفراً : فكل شخص يجد فيه الرسالة التي تلقاها عن انبيائه، بشكلها الاكثر بساطة والاكثر شعبية، وتطبيقها في جميع ميادين الحياة يجعل اللّه حاضراً في كل امر وفي جيمع العلاقات الاجتماعية :اقتصادية، سياسية، ثقافية[1].

وربما هذا ما حدا بسفير المانيا في المغرب ويلفريد هوفمان ان يعد كتاباً تحت عنوان (الإسلام هو البديل) يطرح فيه الإسلام المنهج الصالح والامثل لانقاذ البشرية من عذاباته. ورغم ان الامر يدخل في اطار حرية العقيدة التي يتغنى الغرب بالدفاع عنها، فان فرانك ايليه مدير ادارة التخطيط السياسي بوزارة الخارجية في بون، رفع تقريراً إلى وزارة الخارجية يصف فيه ان الامر في غاية الخطورة ويتنافى مع الدور الذي يمكن ان يلعبه سفير دولة ديمراطية غربية في دولة اسلامية!

وهكذا فإن العالم العربي والاسلامي يستطيع الانفتاح على الحضارة الإنسانية، وبالمشاركة في صناعتها، والمساهمة في ابداعاتها وان يقف في وجه المد الالغائي الذي يتعرض له، بل انه يستطيع ان يضفي عمقاً روحياً على هذه الحضارة وان يهذب سلوكها، بحيث تكون اكثر انسانية مما هي عليه الآن. ولان الحضارة هي تراكم ثقافات تفرز قيما مشتركة تعيد صياغة حياة الانسان، فان لنا من ثقافتنا ومن قيمتنا ما يؤهلنا للمساهمة في عملية نقل الانسان إلى حقبة حضارية جديدة، وهذا يتطلب أولا، وقبل كل شيء، إعداد عقول نيرة تكون في مستوى هذا التحدي الحضاري. فتاريخ الإنسانية يشهد بان كل التحديات الكبيرة قام بها افراد نذروا أنفسهم لقيم ومبادئ يؤمنون بها ويكافحون من اجلها، ومن اجل تحقيقها فرادى

[1] الاسلام فى الغرب – روجيه جارودى ص١٩

وجماعات. قد يكون مثل هؤلاء الأشخاص قلة في مجتمعاتنا، وهم كذلك فعلاً، إلا انهم قادرون، كما حدث في مجتمعات عديدة أخرى، على تغيير مسار التاريخ١.

وهنا يستقرئ ارنولد تويبني ما يمكن ان يقوله التاريخ بصدد مستقبل الإسلام ثم يصدر حكمه فيقول: "اذا كان للسوابق التاريخية اي معنى عندنا وهي اشعاعات الضوء الوحيدة التي يمكن ان يلقيها على الظلمات التي تكتنف مستقبلنا، فانها تنذر بأن الإسلام قادر على التأثير في المستقبل بأساليب عدة تسمو على فهمنا وادراكنا٢. ويؤكد هذا المعنى (جارودي) في (وعود الإسلام) فيقول: "ما الذي يستطيع الإسلام إن يقدم، ليعدنا للإجابة عن المسؤوليات التي تفرضها قدرة العلم والتقنية على جميع البشر اليوم؟ وما يلبث إن يجيب: إن المشكلة كونيه ولا يمكن للجواب ألا إن يكون على المستوى الكوني. وهكذا تصير مشاركة الإسلام القادمة اكثر من ضرورية، تصير أمراً محتماً لأنها لن تدخل الساحة لكي تعالج هذه الجزئية أو تلك، وإنما لكي تعيد تصميم الحياة البشرية بما يرد إليها قيمتها الحقه ويمنحها هدفاً ومغزى[٣].

إن الغاية الأولي والأخيرة للرأسمالية هي النمو المادي وتجميع الثروات بصرف النظر عن الكيفية وعن آلية التوزيع. أما في الإسلام، فإن الغاية من الحياة والرؤية الاقتصادية مختلفتان تمام الاختلاف. لقد أوضحت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في دراستها حول الإسلام والرأسمالية والاشتراكية، الرؤية الاسلامية للاقتصاد. وقد أوردت هذه الدراسة: تختلف المفاهيم الاسلامية عن الرأسمالية في أنها تعارض كنز الثروات، وعن الاشتراكية من حيث أنها لا تنكر حقوق الملكية، بما فيها ملكية وسائل الإنتاج. فالمجتمع الاسلامي الصحيح ليس بأي حال من الأحوال حلبة تتصارع فيها المصالح المختلفة وتتناحر، بل إنه مكان تسوده العلاقات المنسجمة التي يمكن تحقيقها والوصول إليها من خلال الإحساس بالمسؤوليات المشتركة. ولا بد لحقوق الأفراد أن تكون متوازنة مع مصالح المجتمع بأكمله علي

---

[1] موقع الإسلام في صراع الحضارات و النظام العالمي الجديد (محمد السماك) - خلفية الصراع بين العرب و الغرب ص٣١٤

[2] الاسلام والغرب والمستقبل، تعريب نبيل صبحى ص٦٠

[3] مذكرات حول واقعة الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)- د. عماد الدين خليل- ص١٠٣

نحو متساوٍ. فكما قال أحد مشاهير المدراء التنفيذيين الأميركيين ذات مرة، فإنه يعيش بين أحزان الأمس وقلق الغد. أما في الإسلام، فإن من يحكم مصالح المجتمع بأسره هو الصالح العام وليس وول ستريت، أي أن المصلحة العامة هي الغاية من الحكم دون أي إجحاف لحقوق الأفراد الشرعية. وهذا ما تفتقده الولايات المتحدة التي يمتلك ٠,٥٪ من سكانها أكثر مما يملكه ٩٠٪ من الشعب الأميركي من الثروات، في وقت يعتبر ٣٥ مليوناً من الأميركيين فقراء حسب تصنيف الحكومة، وهذا ما يجعل نظامها الاقتصادي متناقضاً مع المبادئ الإسلامية[1].

بناء مشروع نهضوى عربى

يتوقع ان يشهد المستقبل الحضاري للإسلام انتعاشا فعالا لاعتبارات عدة أهمها: القوة الكامنة في الإسلام التي لا يمكن ترويضها أو محوها، ثم الإمكانيات الاقتصادية من مواد خام وأموال وأراض خصبة وصناعات، وهذه -إن أحسن استغلالها- تشكل مصدراً مهما وفعالاً في هذا الانتعاش. أما الإمكانيات البشرية فهي أكثر ما يخيف أعداء الإسلام، خاصة لما قد يحمله هذا الكم البشري الهائل من كفاءات وكوادر يمكن أن تبدع وتنجز إذا ما توفرت لها ظروف الإبداع والإنجاز. وهنا فأن الشعور بالظلم كفيل بتفجير قوة قادرة على المواجهة والتحدي، مع وجوب بذل الجهد لأجل التمسك بالبعد العقدي في كل المجالات. "فالعقيدة هي التي حافظت على ما بقي من استقلالنا وتميزنا وهي مصدر قوتنا وعزتنا". وتمثل استقامة البعد التربوي أهم عامل تجب مراعاته لأجل تدعيم الحفاظ على البعد العقدي، وذلك بإيجاد منظومة تربوية فعالة تهدف إلى تكوين أفراد يؤمنون بالجد والعمل، وتمدهم بقيم وعادات سليمة ومهارات علمية متطورة في مختلف المجالات. ولأجل مواجهة واقع لا يرحم وتحديات دولية لا مكان فيها للضعفاء، لابد من اعتماد سياسة التكتل والتعاون، لأنه ربما لن يجد العرب والمسلمون خيراً من تضامنهم للحاق بركب

[1] امبراطورية الشر الجديدة - عبد الحي زلوم- القدس العربي- ٢٠٠٣/٢/٣

الحضـارة ومحاولـة التـأثير فـي إعـادة صـياغة النظـام العـالمي بمـا يخـدم مبـادئهم ومصالح شعوبهم[1].

وقد نظم مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة فـي الفتـرة ٢٣ - ٢٦ نيسـان/إبريـل ٢٠٠١ في مدينـة فاس في المغرب، ندوة "نحو مشروع حضاري نهضـوي عربـي" وقـد شارك فيها حوالي مائة مفكر وباحث من أنحاء عربية واتجاهات وأجيـال مختلفـة. وقـد سعت الندوة الإجابة على سؤالين: هل للعرب مشروع نهضوي انتكس ولا يحتـاج إلـى أكثر مـن اسـتئناف أم أن الأمـر يتعلـق بغيـاب مشـروع مـن هـذا النـوع وبالحاجـة إلـى إنشائه؟ وقد اجمل المجتمعون الأسس والعناصر التي يقوم عليها المشروع النهضـوي وهي ستة: الوحدة العربية في مواجهة التجزئة، والديمقراطية في مواجهة الاستبداد، والتنميـة المسـتقلة فـي مواجهـة النمـو المشـوه والتبعيـة، والعدالـة الاجتماعيـة فـي مواجهـة الاسـتغلال، والاسـتقلال الـوطني والقـومي فـي مواجهـة الهيمنـة الأجنبيـة والمشروع الصهيوني، والأصالة والتجدد الحضاري في مواجهة التغريب[2] .

ومن الواضح ان هذه المبادئ الستة التى اجملتها النـدوة كلهـا تصـب فـي خانـه واحدة وهى تأتى فـي اطـار المواجهـة مـع الهجمـة الصـليبية الامريكيـة الحاليـة التـى تعمل وتخطط لعدم تمكين امتنا من تحقيق وحدتها واستقلالها الفعلـى لتـتمكن مـن استغلال مواردهـا فـي بنـاء مشـروعها الحضـارى المسـتقل والـذي يمكـن ان يسـاهم بايجابية في تخليص العالم من هذا الكابوس الامريكي الظالم والمدمر.

كيف نواجه الهمجية الدولية[3]

إن العرب والمسـلمين احـوج مـن غيـرهم الـى اليقضـة والانتبـاه الـى مـا يحـاك ضـدهم، وقـد اختـرقتهم الهيمنـة الاوربيـة اولاً والامريكيـة حاليـاً بشـعارات تجميليـة ومغالطات تنميقيـة. فبأسـم التحريـر يـتم التـدمير والتعهيـر، وباسـم الانسـانية يـتم الحصار والتجويع والتركيع للنساء والاطفال والشيوخ، وباسم حقوق الانسان تتم ابادة

---

[1] بين حضارة القوة وقوة الحضارة - تأليف الدكتور غيات بوفلجة-عرض/سكينة بوشلوح

[2] نحو مشروع حضاري نهضوي عربي – تأليف عبد العزيز الدوري وآخرون- الناشر: مركـز دراسـات الوحـدة العربية، بيروت .

[3] صهيونية الخزر وصراع الحضارات – وليد محمد على

الشعوب، وباسم الديمقراطية يتم رفع لواء المحتل الصهيوني بعنصريته الفجة ! كل هذا الافتراء وازدواجية المعايير في التعامل واختلاق الاسباب لنسف البنية الحيوية للشعوب، باتت امراً سافراً الى درجة ان الجماهير تعودت هذا القبح، وتبدو وكأنها استكانت له. ولكن الفوران الداخلي سيطفو، وسيرفض الانسان هذا الهدر لآدميته في لحظة تاريخية حاسمة اذا ما تعلم من التاريخ. فالقناعة بإمكان التحول من الرضوخ الى المقاومة، من الشرذمة الى الوحدة، من التواكل الى الارادة، من التبعية الى الاستقلال، هي المحرك للتغيير. ان لحظة التغيير ليست لحظة سحرية، بل هى لحظة وعي جماعي يدرك آليات الاستعمار وميكانزيمات قهر الآخر، ويبدع مواجهة مناسبة تتلائم مع نوعية الهجمة وضراوتها. فليس يكفي ان نعرف اننا مقهورون: علينا ان نعرف كيف تم قهرنا. وهذا القهر ليس مسألة بسيطة. فهو ليس انتصاراً عسكرياً او اختراقاً اقتصادياً فحسب، بل هو صراع حضارى شامل[1].

ان العرب يدفعون الآن فيتدافعون خارج التاريخ، ليس فقط لأن وطنهم في زمن تصفية الاستعمار في اشكاله كافة، والتحرر الوطني للشعوب في كل مكان، هو الوطن الوحيد الذي ينشأ فيه ابتداء ويستقر في قلبه استعمار استيطاني، عنصري، ظلامي، توسعي، اذلالي، فاشي النزعة، يعرف كل عربي حي في قرارة نفسه ان هدفه النهائي هو بسط سيطرته العسكرية والسياسية والاقتصادية على سائر البلدان العربية، وتنصيب نفسه سيداً عليها يستغل خيراتها ويحطم طموحات شعوبها، ويرى كل عربي ذي عينين ان كل عقد من العقود الخمسة الماضية، قد اتى لتلك المغامرة الاستعمارية الفريدة بنصر جديد، وجعلها ادنى الى تحقيق كامل اهدافها، لا، ليس ذلك وحده هو الذي يخرج العرب من المجرى العام للتاريخ: فالتاريخ قد يصبر على قوم في هزائمهم، وقد يمد يده لمن يتخلف عن الركب، اما الذي لا يتسامح التاريخ فيه ابداً، فهو ان يدير القوم ظهورهم له ويمضوا متباعدين عنه، وذلك تحديداً ما يفعله العرب[2].

---

[1] فتح امريكا – مسألة الاخر– ترفيتان تودوروف- ترجمة بشير السباعي ص١٠

[2] خروج العرب من التاريخ- د. فوزي منصور- ترجمة ظريف عبد الله و كمال السيد- ص ٦-٧- مكتبة مدبولي – ط١ ١٩٩٣

وفي كتابه "صهيونية الخزر وصراع الحضارات" يعرض الاستاذ/وليد محمد على لخطة لمواجهة الهجمة الدونية الامريكية الصهيونية حيث يقول: "أن كسب المعركة في مواجهة الهمجية الدونية، لا يتوقف على قناعتنا الراسخة أننا أبناء حضارة إنسانية منفتحة على غيرها من الحضارات .. تدعو إلى التلاقح والحوار الإنساني.. ولا تتوقف على قناعتنا الراسخة أننا أصحاب حق ولا على إقناع الآخرين بذلك الحق. أننا نستطيع كسب المعركة إذا ما استطعنا بناء عوامل الصمود الحقيقية لمواجهة الهجمة، وعملنا تراكميا لبناء مقومات المواجهة وتحقيق النصر. تحقيق ذلك يحتاج إلى حوار مسؤول ومساهمات جادة من قبل من يرون أنفسهم معنيون بحاضر الأمة ومستقبلها. وهذه عناوين أساسيه نعتقد أنها ستفيد في التأشير إلى ما نراه يساهم في خدمة المعركة.

أن الرد على الهجوم الدوني المتوحش الذي قلب كل المعايير القيمة والأخلاقية الإنسانية الذي يسعى لتسطيح كل شيء من الفكر إلى العمل الإنتاجي إلى الإبداع .. فيصبح التعصب لفريق رياضي كفيلاً بتحويل جمهور نهاية القرن العشرين إلى متعصبين، لا يتورعون عن تدمير كل شيء تعصباً للفريق ... والرياضة أصبحت سلعة تجاريه، بدل أن تكون وسيلة من وسائل بناء الجسم والعقل (العقل السليم في الجسم السليم). يصبح الرياضيون سلعة تباع وتشترى في الأسواق ويعرضون في البورصات العالمية. فيغدوا الاهتمام ببناء فريق كرة القدم له الاولويه على بناء مصنع، وتنشئة لاعب كره أهم من عالم فيزياء أو رياضيات، ودخل راقصه (هز البطن) يتجاوز دخل أساتذة جامعه بأكملها.. وفتاة الموديل يتجاوز دخلها دخل عمال ومهندسي مصنع كبير.. الخ[1].

أن الرد على هذا الهجوم الدوني المتوحش لا يمكن أن يكون إذا ما أردنا له الانتصار إلا رداً حضارياً، أولا وقبل كل شيء. رد نكرس عبره انتماءنا إلى العروبة الحضارية الطاردة لكل تعصب عنصري أو انغلاق .. نؤكد التزامنا بحضارتنا الاسلاميه (مسلمين ومسيحيين وسواهم من أبناء الأمة .. فإذا كان الإسلام للمسلمين عقيدة وحضاره وقيما وتراثا، فهو لغير المسلمين حضارة وقيم وتراث)

[1] صهيونية الخزر وصراع الحضارات – وليد محمد على ص٢٣١

القائمة على اخوة الإنسان للإنسان .. لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا إكراه في الدين. فحضارتنا العربية الإسلامية حضارة منفتحة لا تعرف الانغلاق على الذات وتدعو للانفتاح على الآخر (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا). حضارتنا قادرة على الامتصاص الإيجابي لكل آليات التقدم والتطور والتلاقح الثقافي والحضاري مع الآخرين على أساس احترام خصوصيات كل شعب وقوم بهدف تعاون الحضارات لا تصادمها، تعاون يؤدي إلى إنقاذ البشرية من مصائب ومكائد الوحشية الدونية[1].

كما ان للعلم دور كبير في بناء الحضارة وفي الديانة الاسلاميه دعوة ملحه للاستزاده من العلم واكتسابه. يقول تعالى في محكم كتابه الكريم (علم الإنسان ما لم يعلم) (وقل ربي زدني علما) وجاء على لسان رسولنا الأكرم محمد (صلى الله عليه وسلم) إلحاح على طلب العلم مهما كان مصدره وكانت الصعاب في سبيل الحصول عليه (اطلبوا العلم ولو في الصين). ويربط الإسلام بين العلم النظري والتطبيق العلمي يقول تعالى (إنا لا نضيع اجر من احسن عملا) ويقول الرسول الأعظم (أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه). وقد كان للعرب والمسلمين إنجازات علمية ضخمه، قاموا بها وأبدعوها عندما كانوا متمثلين للجوهر الحضاري لديانتهم الحنيفه، حيث أن كل الوقائع تؤكد زيف الادعاء القائل (أن العلم صناعة غريبة) وهي مقولة لا يرددها للآسف المستعمرون ومنظروهم وحدهم، بل وبعض أبناء امتنا من المغترين المخترقين من قبل أفكار الهمجية الدونية. ذلك لان الواقع الراهن يعطي مؤشرات في هذا الاتجاه (العلم صناعة غريبة) ومن مهمتنا الملحة إذا أردنا أن نكسب المعركة .. العمل على الخروج من الوضع الراهن، وبناء ما ينسجم مع التاريخ والمصلحة الإنسانية .

لقد عرف عصرنا الراهن اقواماً كثيرة، هامشية قليلة العدد، كانت تقف على اطراف العالم في الامريكتين واستراليا، فاجأتها الاحداث بما لا تطيق فانقرضت او كادت: بعضها لم يعرف من حضارة الغرب سوى الخمر فغرق فيها، وبعض آخر ظن أنه يستطيع ان يطرد الشياطين الوافدة برقصة الدراويش طوال الليل وممارسة

[1] صهيونية الخزر وصراع الحضارات – وليد محمد على ص٢٣٢

الطقوس السحرية آناء النهار، وبعض ثالث توهم خلاصه في التفاني في خدمة السادة الجدد ففقد نفسه وأرضه، وثمة آخرون انطلقوا على احصنتهم الشهباء، على رؤوسهم الريش الابيض أو الاحمر واصواتهم تجلجل بصيحات الحرب، يحاولون اختراق صفوف العدو الرابض في انتظارهم، لكن لم تغنهم الشجاعة الشخصية الفائقة عما تسلح به الغزاة من اسباب العلم والتنظيم والتخطيط والتعاون المنضبط.[1]

فمن غير الجائز أن يبقى الكيان الصهيوني (الثكنة العسكرية المتقدمة للولايات المتحدة) متقدماً علمياً على امتنا بكاملها. رغم كل ما لامتنا من تاريخ وحضارة ومن إمكانيات بشرية وطبيعية. (يقول نتنياهو) رئيس وزراء العدو الصهيوني: "إنني متفائل جداً لأنني أومن بأن في استطاعة (دولة إسرائيل) خلال الأعوام القريبة المقبلة، أن تزيد في قوتها أضعافاً مضاعفة في العالم ما بعد الصناعي الذي نلجه، توشك (إسرائيل) أن تتحول إلى عنصر جبار، شديد الأهمية، لأننا متأهبون لاقتصاد المعلومات اكثر من أية دولة أخرى في العالم. أن عدد العلماء نسبة إلى السكان في البلد هو الأعلى في العالم، والمؤسسة الأمنية تنتج سنوياً آلافاً من الشبان الذين اكتسبوا خبرة فريدة من نوعها في مجال نظم المعلومات والحاسبات الالكترونيه والمحركات والأجهزة الآلية التي تقوم بأعمال الإنسان". طبعاً لم يذكر (نتنياهو) أن نسبة عاليه جداً من هؤلاء العلماء قد قدموا إلى الكيان الصهيوني عبر تهجيرهم من بلدانهم ودفعهم للاستيطان في فلسطين خدمة للمشروع (الأمريكي الصهيوني)"[2].

وعلى الطرف الآخر في عالمنا العربي تعيش شعوبنا نسبه عالية من الامية باختلاف انواعها ولا يتجاوز انتاجنا الثقافى والعلمي مما ينشر ما تنشسره دوله صغيره مثل اليونان، وحتى اسهاماتنا العلمية معدومه وانتاجنا الثقافي والفكرى وحتى العلمي تغلب عليه الشعوذة والنقل والتقليد واجترار الماضى والتغنى على الاطلال، ولكن بالرغم من ذلك فأننا قادرون بالتأكيد على الإبداع العلمي، وعلى

---

[1] خروج العرب من التاريخ- د. فوزي منصور- ترجمة ظريف عبد الله و كمال السيد- ص ٦-٧- مكتبة مدبولي – ط١ ١٩٩٣

[2] صهيونية الخزر وصراع الحضارات – وليد محمد على ص٢٣٤

جسر الهوة الثقافية والتقنية والمعلوماتية التي تفصلنا عن الدول المتقدمة، فهناك الآلاف من كبار العلماء والمخترعين والمبدعين من أبناء امتنا موجودون في الكثير من دول العالم، ويحتلون العديد من المفاصل في عالم الثقافة والمعلوماتية وغيرها من حقول العلم. وهم مستعدون إلى العودة إلى وطنهم في حال توفر المناخات المناسبة. وكذلك يوجد في وطننا العربي عشرات الآلاف من العقول المبدعة والمعطاءة. وبالأساس فان مسألة توفر الكفاءات العالية العربية سواء في الوطن أو دول المهجر ليست بالقضية المطروحة أمامنا. بل أن القضية هي كيف يمكننا تأسيس مشروعنا النهضوي العربي الذي يستقطب كل الكفاءات.

ولذلك كما نرى عدة شروط أبرزها :

أولاً: حسم رؤيتنا لطبيعة الصراع مع العدو الأمريكي الصهيوني، كونه صراعاً حضارياً شاملاً وهو مع الكيان الصهيوني صراع وجود.

ثانياً: الاقتناع الراسخ لدى كل المنتمين للمشروع النهضوي الحضاري للامه.. أن تخلفنا الراهن، هو أمر طارئ وغير طبيعي، وان حضارتنا العربية الإسلامية (عندما كنا متمسكين بها وقادرين على تمثلها بشكل صحيح) مكنتنا من أن نكون في قمة الحضارة العالمية.

ثالثاً: أن يصبح هذا المشروع هو مشروع جماهير الأمة صاحبة المصلحة الحقيقية في التغيير والنهضة والتقدم. وهذا لا يتأتى إلا في إطار تحقيق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص. والفصل بين المؤسسات، والإقرار بالحريات الأساسية، التي كان الإسلام من مصادرها الاساسية. لان ذلك يؤدي إلى إفساح المجال أمام الطاقات المبدعة ويفجر الإبداع المتجدد ويساهم في كسر حلقة التخلف الذي نعيش فيه.

رابعاً: أن تعود أوطاننا إلى أبنائها بشكل فعلي وملموس ليعود أبناؤها إليها (إلى أوطانهم). فامتنا ونتيجة لدوامة التخلف والتجزئة والتهويد، أصبحت أمة طاردة لأبنائها الذين اصبحوا يضطرون إلى هجرها بحثاً عن العلم والوظيفة وتحقيق الذات، وأحياناً بحثاً عن العلاج ناهيك عن الحرية.

خامساً: إعطاء الاهتمام اللازم لمراكز البحوث والدراسات التي تمكن العلماء والخبراء من العمل في تخصصاتهم، والإسهام في تطوير مجتمعاتهم .

سادساً: أن تكون حكوماتنا وأحزابنا ومنظمات المجتمع الأهلي كلها أدوات لتحقيق أهداف الأمة لا أهداف بحد ذاتها. هذا يساعدنا على الخروج من حالة القبلية[١] التي نعيش في دوامتها ويعيدنا إلى وضعنا الطبيعي .. فقد كانت الخلافة الراشدة أول نظام حكم ديمقراطي حقيقي في التاريخ (الحكم بالمبايعة والقيادة بالشورى). وعندما تخلى المسلمون عنها وصلنا الى هذا الوضع المتأزم، الذي يتحمل مسئوليته القادة والسياسيين والمفكرين، فانهم أولاً وأخيراً حجر الرحى، ومركز الدائرة، وملتقى تقاطع الخطوط، ونقطة الزاوية فيما نحن فيه، من العلاقة المتأزمة بين أقطارنا، وبين شعوبنا وحكامنا، وبين تياراتنا الفكرية والسياسية.

نعم أن الكل مسؤول والكبار قبل الصغار والعقلية الشخصانية للحكام أولاً وغياب المشورة وغياب الديمقراطية وغياب التعددية في الرأي ومحاولة الزعامات فرض الرأي الواحد باللجوء إلى اسهل الطرق .. إلى أجهزة القهر ووسائل القمع. هذه البدائية في العمل السياسي هي السبب والداء والمرض الكامن في كل الدول المتخلفه.. إنها الطفولة والانفعالية والتهافت على الأخذ قبل العطاء، ومحاولة رؤية كل شيء من خلال الأنا وليس من خلال نحن، من خلال الواحد وليس الكل. وللاسف فإن كل الدول العربية والاسلامية مصابه بهذا الداء الوبيل بدرجات مختلفة.. والإسلام أبداً ليس مسؤولاً عن هذا الداء الوبيل. فأول ما يأمر به القرآن كل حاكم هو ألا يطيع هواه وألا يركن إلى نفسه وان يطلب العدالة بلا تحيز وان حملته هذه العدالة على إنصاف من يكره ومعاقبة من يحب وان يأخذ بالمشورة وان يستمع إلى رأي الاخر[٢].

---

[1] يرى احدى الباحثين ان "التفكك القومي للعرب في عصرنا الراهن، في مواجهة الغزو الصهيوني المتسارع الخطر، ذلك التفكك الذي يكاد يأخذ طابع الانتحار الجماعي، يعود الى تغلب الصحراء على المدن في اللحظة العربية الراهنة، الصحراء التي تقذف المدن تباعاً، ليس فقط بالقيم الجديدة المرتبطة بالدخول "الريعية" ولكن أيضاً بالقيم القديمة القبلية الأفق في كل اتجاه ينبسط اليه البصر". خروج العرب من التاريخ- د. فوزي منصور- ترجمة ظريف عبد الله و كمال السيد- ص ١٠.

[2] اسرائيل .. البداية والنهاية – د. مصطفى محمود ص٣٦

سابعاً: الإقرار بفطرة الاختلاف وبديهية التعددية. فالإقرار بالاختلاف والتعددية هو المدخل الطبيعي لإبداع الوسائل التي تمكننا من مواجهة تحديات العصر وصناعة المستقبل. ومع الآخذ بعين الاعتبار أن لا فائدة من التعددية إذا لم تمكنا من حشد الجهود في مواجهة الغزو الأميركي الصهيوني، ولا فائدة من أي تيار إلا بانخراط دعاته وأنصاره في خضم المعركة المصيريه.

ثامناً: العلاقة الجدلية بين الوحدة والتحرير والتقدم. لقد ارتكز الغرب الاستعماري على حالة التخلف التي كانت تعيش فيها امتنا (بفعل عوامل مركبه لا مجال للخوض فيها هنا) ليحتل بلادنا، ويجزء حتى الوحدات الطبيعية فيها (سوريا، وادي النيل، المغرب العربي، شبه جزيرة العرب والخليج اليمن)، وعمل على تهويد القلب الذي يربط الجناحين الآسيوي والإفريقي للوطن العربي (فلسطين). فكان الارتكاز إلى التخلف والتجزئة لإقامة ثكنة عسكرية متقدمة للغرب وعمل على تكريسها، فتشكل ثالوث معاد يساند بعضه بعضاً (التخلف، التجزئة، التهويد). وقد اصبح من الواضح ومن خلال التجربة العلمية أيضاً، أن لا تقدم ممكن لأي قطر من الأقطار العربية .. إلا عبر خطوات وحدوية تراكمية، وهذه الخطوات لم تعد ممكنة بدون عملية تقدم شاملة تؤدي إلى وعي عميق بأهمية الإقدام على تلك الخطوات الوحدوية.

وهذان الأمران الوحدة والتقدم غير واردين بدون التصدي للغرب الاستعماري المتمثل الآن بالولايات المتحدة - وقاعدته المتقدمة الكيان الصهيوني. ولقد أثبتت الأمة قدرة كبيره على هذا التصدي وعلى دور التصدي في حشد طاقاتها (تجربة حرب تشرين/أكتوبر ١٩٧٣- المقاومة الفلسطينية والانتفاضة الشعبية – المقاومة الاسلاميه والوطنية في لبنان). أن علاقة الوحدة والتقدم والتحرر علاقة مثلت جدلي سبب ونتيجة، أن كلاً منها سبب للآخر ونتيجة له في آن واحد. فالتحرير سيكون نتيجة للوحدة والتقدم وهو أساسي لهما، وكذلك الوحدة لن تكون بدون تقدم. والتحرير والتقدم لن يكتب له النجاح بدون خطوات على طريق الوحدة والتحرير. ثالوث لا يمكن له أن يتحقق إلا بالتوازي وبالتراكم المترابط .

تاسعاً: أن يستند المشروع النهضوي لامتنا على دائرة تحالفيه أولية (دائرة الشعوب الإسلامية) التي تجمع ولا تفرق، تقر بالخصوصية في إطار الوحدة. فلكل

الشعوب الإسلامية مصلحة مشتركة في التصدي للعدوان الدوني المتوحش، واقـتلاع الكيان الصهيوني الذي يسيطر على أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين (القـدس التي باركها وما حولها الباري عز وجل) ويريدون تدميرها نهائيا كرمز للقضـاء المبـرم على الإسلام وحضارته الإنسانية. ومرة اخرى أقول: أن اتحادنا في عصبة واحـده ويـد واحده هو أقوى أسلحتنا. بل أن عزل إيران عن العصبة الاسلاميه هـو تـآمر أمريكـي غربي، وتفتيت العصبة الاسلاميه كـان دائمـاً هـدفاً عزيـزاً لقـوى الاسـتعمار الغربـي، وخلق الأعداء للإسلام من داخله كان دائماً سياستهم، وقد جاء أوان رأب الصدع وجمـع الصف[1].

عاشراً: إقامة تحالف حقيقي قائم على الاحترام المتبادل والمصالح الواحدة مـع كل الشعوب المستضـعفة فـي الأرض، والتـي تتعـرض لكـوابيس الـدون المتوحشـين مصاصي دماء الشـعوب. فهنـاك ضـرورة للتعـاون بـين دول الشـمال والجنـوب لغـرض تدعيم السلم والتسامح ابتداء بتخلي دول الشـمال عـن روح الاسـتعلاء ونظـرة العـداء تجاه أبناء المستعمرات القديمة وفتح مجال التعاون الاقتصادي والثقافي بينهمـا. كمـا ان هنـاك ضـرورة تعزيـز المنظومـة التربويـة بـالقيم الإنسـانية التـي توجـه الأجيـال الصاعدة نحو الحوار وحسن الاسـتماع للآخـر واحترامـه والقبـول بـالاختلاف الحضـاري والتمايز الثقـافي، وهـو فـي ذلـك لا فـرق بـين الـدول الغربيـة والـدول الإسـلامية لأن الوقوف في وجه العولمة الأميركية لا يمكـن أن تحققـه الـدول الأوروبيـة بمفردهـا، إذ لابد لها من دعم إستراتيجي واقتصادي وبشري، وهو ما يمكن العثـور عليـه فـي دول جنوب البحر المتوسط المتمثلة في الدول العربية. وبناء على ذلك فأنـه يمكـن إنشـاء قـوة متوسـطية يحسـب لهـا حسـاب بإمكانهـا أن تفـرض علـى أميركـا احتـرام حقـوق الشعوب ومميزاتهم ومعتقداتهم، فتكون –أي هذه القـوة- الضـمانة مـن أجـل الرخـاء ونشر الأمن والوئام بين شعوب وحضارات البحر المتوسط[2].

حادي عشر: إعادة العلاقة بين الإسلام والمسيحية، إلى صورتها الحقيقية التـي تـم تشـويهها وتكسـيرها بفعـل الاختـراق الصـهيوني. فكـلا الـديانتين الإسـلامية

---

[1] اسرائيل .. البداية والنهاية – د. مصطفى محمود ص٥٠

[2] بين حضارة القوة وقوة الحضارة - تأليف الدكتور غيات بوفلجة-عرض/سكينة بوشلوح

والمسيحية تؤمنان بالله الواحد الرحيم المحب للإنسان، عكس ديانة يهوه اله الحرب اله القبيلة الحاقد على الإنسان على الوجود برمته.

ثاني عشر: فتح حوار مع كل البلدان المتقدمة المستهدفة من قبل الهجوم (الأميركي الصهيوني) والتي بدأت تتحسس أخطاره عليها راهناً ومستقبلاً – دول أوروبا- روسيا الصين اليابان. فللجميع مصلحة في إطلاق تعاون مستمر في مواجهة الهجوم الدوني المتوحش ... الذي يحتاج الانتصار عليه إلى توحيد جهود كافة المتضررين منه .

وليس من باب التكرار على نقطة مركزيه محوريه لكل ما سبق ذكره هي أن الوحشية الدونية لا يمكن الحد من غوليتها (نسبة إلى الغول) إلا عبر الردع المركب من قبل امتنا التي تشكل رأس الحربة في المواجهة الشاملة. فقد أصبح ملحاً تشكيل قوة ردع حقيقية، تحد من السطوة العسكرية للعدو من ناحية، ومن ناحية ثانية بناء مجتمع مقاوم على مختلف الصعد، يأخذ على عاتقه مهمة ادامة الاشتباك مع العدو والحاق الاذى به حيث يمكن ذلك. فلن يسمح الأعداء بأن نتقدم أو نوحد صفوفنا بطيب خاطرهم، نعم أنها معركة طويلة جداً ومكلفة جداً ولكن لا خيار أمامنا .. أمام أمة الشهداء والشهادة الأمة حاملة الخير والبركة للبشرية جمعاء[1] .

"لقد كشف احتلال الأمريكان للعراق الأوراق وأظهر للأمة المسلمة أن طريق الخلاص لن يكون فى اجتماعات أو قرارات (مجلس الأمن !) أو (الأمم المتحدة!) وانما فى مقاومة الغزاة وبذل التضحيات فلن يدافع عنا أحد ان لم ندافع عن أنفسنا، ولن تعود لنا كرامتنا المهدرة ان لم نستعن بالله ونستعيدها بأنفسنا .. اذن فسقوط تلك الأقنعة كان ضروريا لايقاظ أمتنا الجريحة التى خدرت طويلاً بشعارات زائفة وألاعيب متقنة. لقد انتهى عهد الخداع وأصبح الصراع واضحاً ومكشوفاً فهو صراع أديان قبل أن يكون صراع أوطان ... وهو صراع مقدسات قبل أن يكون صراع على الثروات... (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) ... ولقد كتب

---

[1] صهيونية الخزر وصراع الحضارات – وليد محمد على ص٢٣٨

علينا القتال وهو كره لنا، فما سعينا له وما أقدمنا عليه الا بعد أن تمكنوا من رقابنا وعاثوا فى الأرض فساداً واللّه لا يحب المفسدين "[١].

وبما أن الإسلام مجّد المقاومة والجهاد ورفع من مكانة الشهيد والشهادة، فإن ثقافة المقاومة في المجتمعات الإسلامية ثقافة راسخة رسوخ العقيدة فيها، ورغم ضعف الإمكانيات المادية فإن المقاومة تتميز بالاستمرارية وحتمية النصر في النهاية. ومن هذا المنطلق يمكن التفريق بين أن تهزم عدوك بالقوة، وبين أن تمتلك عناصر المقاومة وتهزمه بقوة البقاء والتحمل. كما أن استمرار الحضارة الإسلامية أكثر من خمسة عشر قرناً وبقاءها في وقت ظهرت فيه حضارات أخرى واندثرت، دليل على قوة هذه الحضارة وحركية هذه الأمة[٢]. فنحن أمة قاتلت خصومها في معظم الأحيان وهي الأقل عدة وعدداً، ومع ذلك خرجت منتصرة في معظم الأحيان. كذلك وعندما نهزم كانت الخيانة الطعنة الغادرة التي تجيء بأيدي أبناء جلدتنا أنفسهم هي التي تهزمنا. لقد أخرجتنا الخيانة من الأندلس وفتحت الطريق أمام خصوم هذا الدين لكي يذبحوا أمة جاوزت مليونين واربع مائة الألف عدداً، لقد أرغمتنا الخيانة على مغادرة الفردوس المفقود، ولم تكن هذه هي المرة الأولى والاخيره في تاريخ الإسلام والمسلمين .. لقد تكرر المشهد كثيراً ولن يتسع المجال لاستعراض فصوله بل حتى التأشير عليها .. ويكفي إن نتذكر إن الخيانة أسقطت الخلافة العثمانية وأخرجتنا من الجانب الآخر من أوربة الجانب الشرقي.. ومكنت الغرب المستعمر من الإمساك برقابنا وفتحت الطريق لشذاذ الآفاق لكي يقيموا دولتهم المغتصبة في فلسطين[٣].

وما لم تتوحد القيادات والقوى الشريفة المتبقية في الساحة عبر اللحظات الراهنة لكي تجنب البشرية هذا المصير المفجع، فان السرطان الأمريكي سيمضي لافتراس العالم كله .. القيم النبيلة المتبقية في هذا العالم بعبارة أدق، لكي يفرض

---

[1] الكابوس الامريكي وحلم الخلاص – محب الصالحين - http://www.almotmaiz.net/vb/showthread.php?t=9872

[2] بين حضارة القوة وقوة الحضارة - تأليف الدكتور غيات بوفلجة-عرض/سكينة بوشلوح

[3] مذكرات حول واقعة الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)- د. عماد الدين خليل- ص١٦٩

نموذجه المادي الحسي السيئ بمثلثة المعروف: المصنع ، المبغى، والسوبر ماركت[١].
اننا نعتقد أن لنا دوراً كبيراً فيما يعد على مسرح الحوادث الآن، وانه نفس الدور الذي كان لنا في أيام التتار وفي أيام الصليبيين، ولكن الصليبية القادمة هي صليبية يهوديه لا علاقة لها بصليب ولا بمسيح .. وانما مرادها الوحيد هو السيطرة على العالم القديم بمسميات دينيه توراتيه كاذبه[٢]. أننا لسنا وحدنا في النهاية .. فلله سبحانه وتعالى طرف خفي في الصراع، فالدين المستهدف هو دينه، ولكن هذا لا يعفينا من المسؤولية ولا يخلى طرفنا من واجب الاستعداد واخذ الاهبة. فالتواكل والتخاذل والركون إلى الظالمين والإخلاد إلى الدنيا، ليست من أخلاق المسلم .. واللّه لا ينصر إلا من ينصره .. وهو القائل في قرآنه: (ولينصرن اللّه من ينصره أن اللّه لقوى عزيز) ٤. – الحج . فلنصر اللّه شرط هو الانتصار لدين اللّه ولا بد أن نوفيه. وانا لموفون به بإذن اللّه[٣].

وهنا فاننا كمسلمين لا نراهن على هزيمة الغرب عسكرياً ولا سياسياً ولا اقتصادياً، وانما نراهن على الهزيمة الثقافية والحضارية للغرب أمام ثقافة الإسلام الشاملة وحضارته الإنسانية[4]. فالسلاح وحده لا يستطيع أن يصنع نصراً حضارياً .. وهل صنع التتار شيئاً وهم الذين انتصروا على المسلمين ثم دخلوا في الإسلام رغم انتصارهم .. أن الحكاية اكبر مما يتصور الذين خططوا لها. إننا نقف على مشارف منعطف تاريخي خطير.. أن الكارثة تهدد الكل. وما من دولة من دول المواجهة إلا وستصاب في أراضها واقتصادها وابنائها واستقلالها، إذا اخطأ أولو الأمر فيها حساباتهم[٥]. فاعداءنا يرون انهم يعيشون مرحلة انتصار على المستويين الدولى والاقليمى. واننا كأمه عربية اسلامية قد هزمنا وخسرنا الاصدقاء .. ولابد من استكمال هزيمتنا فى مختلف المناحى واخضاع امتنا بالكامل .. كخطوة مفصلية على طريق سحقنا بكل ما تحمله كلمة سحق من معنى . وإذا استطاعت شعوب الشرق

---

[1] مذكرات حول واقعة الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)- د. عماد الدين خليل- ص١٨١

[2] اسرائيل .. البداية والنهاية – د. مصطفى محمود ص١٣٦

[3] اسرائيل .. البداية والنهاية – د. مصطفى محمود ص٦٠

[4] الاسلام .. والغرب .. وإمكانية الحوار –ابراهيم محمد جواد

[5] اسرائيل .. البداية والنهاية – د. مصطفى محمود ص٢٧

الأوسط أن تطرح إحساسها بالظلم وتسوي خلافاتها وتعمل على تكاتف طاقاتها ومواهبها ومواردها لتحقيق أهداف نهضوية مشتركة، فسوف تستطيع من جديد أن تعيد الشرق الأوسط إلى ما كان عليه في الأزمان الغابرة من تفوق وازدهار ومركز رئيسي للحضارة.. والاختيار بأيدي هذه الشعوب[١].

*** *** ***

[1] أين الخطأ؟.. التأثير الغربي واستجابة المسلمين -برنارد لويس -ترجمة: محمد عناني-تقديم ودراسة: رؤوف عباس– القاهرة: دار سطور، ٢٠٠٣

خاتمة

لـم يكـن اختيارنـا لعنـوان الكتـاب "الحملـة الصـليبية علـى العـالم الاسـلامى والعالم" يهدف فقط لتسليط الضوء على الابعاد الدينية لسياسة بوش تجاه المنطقـة العربية والاسلامية والتى وصفها بـالحرب الصـليبية، بـل كـان محاولـة لكشـف الرؤيـة الدينية التى سيطرت على تصرفات امريكا تجاه العالم منـذ نشـأتها وحتـى الآن حيـث لم تكن حملة بوش الاخيره الا محطه من المحطات الكثيرة التـى حاولنـا قـدر الامكـان عـرض بعضـها، واذا كنـا قـد وضـعنا "حملـة بـوش الصـليبية علـى العـالم الاسـلامي" كعنوان للجزء الثاني، فإن مرد ذلك انها كانـت اكثـر المحطـات وضـوحاً فـي توجهاتهـا وخلفياتها الدينية، واكثرها دموية. وهذا لا يعنى ان هذا النهج سـيتوقف فـي القريـب العاجل عند محطة بوش، بل سيستمر حتى يفوق العالم مـن سـكرته ويضـع الخطـط لمواجهة هذا النهج وطريقة التفكير العدمية التى ستقود البشرية الى كارثـة لا يعلـم مداها الا اللّه.

فـنهج وسياسـة بـوش مـا هـو الا اسـتمرار لـنفس الاسـس وطريقـة التفكيـر ومنظومة القيم التى حكمت امريكا ولا زالت وسـتبقى لفتـره ليسـت بالقصـيره ان لـم يتحد العالم ويتصـدى لهـذا الفكـر. فبـوش لـم يكـن الا عنـوان بـارز لهـذا الـنمط مـن التفكير العدمى الذى جر ويلات كثيره على العـالم، والتـى جعلـت العـالم غيـر مسـتعدّ لرئيس آخر من الحزب الجمهوري المتطرّف .. خصوصاً بعد أسوأ رئيس مر على تاريخ أمريكا .

اعلم ان كلامنا كان قاسياً علـى الأمـريكيين، ولكـن أمـام ضـخامة الخطـر كـان علينا أن نـرد بـرفض واضح، إذ إنـه لا يمكـن أن نـوقظ النـاس ونـنبههم لأن يـدركوا هـذه الأمور بالهمس في آذانهم. لقد حـاول هـذا الكتـاب أن يشـرح ويوضـح خطـورة الـرؤى الدينية الاحادية المغلقه التي تعمل في كل مكان لإلغاء الحضارات الأخرى لاخضـاعها لنمط معين من التفكير، واجبارها على الاستسلام او الموت لتلك القدريـة المحتومـه. ولكن التاريخ علمنا بان هذا النوع من الرؤى بالرغم مما يسببه من دمار وفوضى لابد ان يهزم امام ارادة الخير والمحبـة والحـق. فمنـذ زمـن حـذرنا الفيلسـوف الراحـل جـان

ماري بنوا، من أن نغفل ونرضى بوضعنا بحيث نصبح «مستهلكين متخمين ومنتجين مستغَلين ومجاملين في وقت واحد»، لقد أوصانا بالمقاومة وألا ننخدع بواقع العالم.

علينا أن نبعد هذه القدرية العدمية وأن ندعو الولايات المتحدة نفسها لإعادة تعريف المصطلحات وأن نعلمها احترام الآخرين، وإن لم تستجب لنا علينا بالرد .. لنساعد الأمريكيين .. ولنساعد أنفسنا في الوقت ذاته في رفض تحجر العالم وانغلاقه في ظلام رؤى احادية عدمية قاتله .

لقد تحدثت كثيرا في هذا الكتاب عن تاريخ الارهاب والغزو الامريكى، وكنت اتمنى ان يسمح سياق الكتاب للحديث عن تاريخ امريكى اخر مبدع ومخترع ومكتشف ومغامر، وصل الى الفضاء واعماق البحار ومنح البشرية منجزات عظيمه لا ينكرها الا جاحد. ساهمت ولازالت في تقدم البشرية وتطورها وازدهارها، ولكن هذا الارث العظيم من الانجازات الامريكية هو الوجه الاخر لامريكا وعظمتها وجلالها، للاسف شوهته افكار عدمية متعصبه عنصرية، سخرت هذا الانجازات العظيمه لخدمه اهداف انانية طفيليه على حساب شعوب وحضارات اخرى كانت لها ارثها الحضارى الذى الهم البشرية جمعاء، والذى تحاول امريكا سحقه والحاقه بمشروعها الاحادى الذى لا يعترف بالتعدد والتنوع او الحوار مع الاخر، واختصر العالم الى فسطاطين خير وشر.. معنا او ضدنا كما جاء على لسان بوش.

باراك أوباما وجرعة الامل

جرأة الأمل هو الكتاب الثاني لباراك اوباما نشر في عام ٢٠٠٦، أما كتابه الأول فكان عنوانه (احلام من أبي) وفيه يرسم صورة شاب مشغول باسئلة كبرى عن الانتماء والهوية. في (جرأة الأمل) زحام شديد للأفكار يطرح من خلاله اوباما رؤى متعددة لجوانب الحياة الامريكية وعلاقة الولايات المتحدة بالعالم الخارجي ودورها الذي يجب ان تنوء به لتحظى بالاحترام الذي حققته في الايام السالفة عندما كان يرأسها رؤساء حكماء صعدوا بسمعتها نحو القمة على العكس مما تسبب به اخرون كـ(بوش) في اهدار مصداقيتها ومقبوليتها لدى دول العالم.

واذا كانت كثير من دول العالم وشعوبه تمنت الفوز لاوباما لاسباب كثيره -وانا منهم- لما يحمله وصول اسود من اصول اسلامية للرئاسة من انقلاب غير عادى في الحياة الامريكية، فانه وحسب اعتقادى ومن خلال دراستى للعقلية الامريكية والتى القينا عليها بعض الضوء، فان حلم تمكن اوباما من تغيير السياسة الامريكية امر صعب وشاق ويصعب حدوثه دفعه واحده وبدون تعاون كافة الشعوب والدول التى يعنيها تصحيح مسار الامبراطورية الامريكية.

واذا كان بوش قد غاذر موقعه في البيت الابيض بعد ولايتين أسوأ من بعضهما، فان ذلك لا يعنى ان هذا الكابوس سينتهى بتغيير الوجوه، لان التعويل على فوز اوباما يعنى اننا لم نعى جيدا طبيعة المجتمع الامريكى وطبيعة القيم والقوى المسيطرة التى تحكمه. فمن خلال ما عرضناه في هذا الكتاب ومدى تسلط الانجلوسكسكسون البيض المتدييينينWASP على الحياه الامريكية ومفاصلها (السياسة، والاقتصاد، والسينما والمجتمع) سواء نتيجه لاغلبيتهم العددية او بسبب العنصرية والكره الذى انطبع به هؤلاء تجاه الاقليات الاخرى الدينية والعرقية، يصعب احداث التغيير المطلوب اذا لم تتكاثف الجهود من داخل امريكا وخارجها لدعم هذا التغيير وترسيخه بخطى رزينه وعقلانية.

فأوباما المولود عام ١٩٦١ في هاواي الامريكية من اب كيني افريقي وام امريكية بيضاء كان اول امريكي من اصول افريقية فاز بترشيح الحزب الديمقراطي للانتخابات الرئاسية الامريكية بعد منافسة شرسة مع السناتور هيلاري كلينتون، وعندما فاز بترشيح الحزب كان ذلك حدثا سياسيا كبيراً في الولايات المتحدة، وعندما اعلن عن فوزه الكاسح في سباق البيت الابيض الامريكي على منافسه الجمهوري جون ماكين، دخل التاريخ من اوسع ابوابه وكان مؤشراً على دخول الولايات المتحدة حقبة سياسية جديدة، هذا بالرغم من الاتهامات التى وجهت له وحاولت تنفير الناخب الامريكي منه باتهامه بانه مسلم.

لقد أكد السيناتور الديموقراطي وفريقه مراراً أنه لم يكن قط مسلماً، وهو مسيحي يرتاد الكنيسة الاتحادية (كنيسة الثالوث المتحدة للسيد المسيح) في شيكاغو بانتظام، منذ أن عثر على إيمانه في مطلع عقده الثاني. يقول اوباما: انا مسيحي، وأنا مسيحي مؤمن. أؤمنُ بالموتِ الفدائي وبقيامة الرب يسوع المسيح.

أعتقدُ بأنّ ذلك الإيمانِ يَعطيني الطريق الّذي سَيَكُونُ مُطَهَّرًا لي مِنْ الذنبِ ويعطيني حياة أبديّة. لكن من الأهمية جداً بمكان، أنني أؤمنُ بالمثالِ الذي يضعه أمامنا يسوع عن طريق إطعام الجائعَ وشفاء المريضَ ويُفضّلَ دائماً الأقل والأصاغر على أولئك الأقوياءِ. أنا لَمْ ' أسْقطُ في الكنيسةِ ' كما يَقُولونَ، لكن كانت هناك يقظة قوية جداً فيّ بقدر أهميةِ هذه القضايا في حياتِي. أنا لَمْ أُردْ السير لوحدي في هذه الرحلةِ. إن قُبُول الرب يسوع المسيح في حياتِي كَانَ دليلا قويا لتصرّفِي وسلوكي وقِيَمِي ونماذجِي.

ونظرا لتدين اوباما فقد اختاره الكاتب المحافظ الإنجيلي مؤرخ سيرة الرئيس الأميركي جورج بوش ليكون موضوع كتابه الجديد "إيمان باراك أوباما"، وتحدث عنه بطريقة إيجابية ووصفه بالوجه المقنع للناخبين المسيحيين، الأمر الذي وفّر له مصداقية اكسبته أصوات الناخبين المسيحيين الإنجيليين.

يقول مانسفيلد "بالنسبة لأوباما، الإيمان ليس زياً سياسيًا بسيطاً. الدين بالنسبة له تحوّل ويستمر طيلة الحياة وحقيقي". وقارن الكاتب المسيحي بشكل إيجابي وتفضيلي بين أوباما والرئيسين المسيحيين الديموقراطيين جيمي كارتر وبيل كلينتون اللذين قال إنهما بنيا "جدار فصل" بين دينهم وطريقة حكمهم، غير أن "إيمان أوباما ينصهر مع سياسته العامة، حيث لا يعود محصوراً بمملكة حياته الشخصية، بل يتعداه إلى قيادته".

من جهة أخرى، لم يخشَ المرشح الكيني الأصل من أن يحسن الكلام عن الإسلام، الذي قال إنه تعرف إليه عن كثب عندما كان في إندونيسيا، مشيراً الى انه دين متسامح. ودعا الى ان يعيش الاميركيون في ظل احترام لجميع الاديان. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن في عائلة أوباما حاخام يهودي هو ابن عمة زوجته ميشال، الحاخام كابريس فاني، الذي يترأس معبداً يهودياً للسود في شيكاغو، ويحظى بعلاقة مقربة من الزوجين أوباما.

هكذا جمع اوباما في شخصيته الديانت السماوية الثلاث، والاعراق المختلفه. ورغم ذلك فأوباما ليس متدينا بشكل مقولب، فمعتقداته الدينية قد لا تتطابق مع معتقدات بقية المسيحيين، كما أوضح في إحدى مقابلاته. لقد نشأ السيناتور الديموقرطي في مدرسة علمانية رسمية في إندونيسيا، في ظل رعاية أمه الأميركية

وزوج أمه الإندونيسي، ثم انتقل إلى مدرسة مسيحية هناك طيلة عامين، قبل أن يعود مع أمه إلى الولايات المتحدة. وفي شيكاجو لم يتوانَ أوباما، الذي يعرب دوما عن تعلقه بدينه وبكنيسته، عن اتهام الزعماء المسيحيين الإنجيليين المحافظين بأنهم خطفوا الإيمان، لأنهم كانوا متحمسين لاستغلال انقساماتنا.

لقد تحدث اوباما في احدى كلماته عن نفسه كمثال للقيم الامريكية المبنية على الطموح والعصامية حيث درس العلوم السياسية في جامعة كولومبيا وبعدها انتقل الى مدينة شيكاجو وعمل باحدى الهيئات المحلية لمدة ثلاث سنوات ونصف. وفي عام ١٩٨٨ انتقل الى جامعة هارفارد المرموقة لدراسة القانون وبعد التخرج كان اول افريقي يتولى منصباً مرموقاً في الجامعة. عاد بعد ذلك الى مدينة شيكاجو وتمرس في مهنة المحاماة وتخصص في مجال الدفاع عن الحقوق المدنية. وكان اغلب زبائنه من ضحايا التمييز في العمل والسكن كما تولى منصب السناتور في مجلس ولاية الينوي ما بين ١٩٩٦ و٢٠٠٤. وبعد اشهر قليلة من فوزه بمقعد في مجلس الشيوخ الامريكي عن ولاية الينوي اصبح نجما اعلاميا وواحداً من اكثر الشخصيات شعبية في العاصمة واشنطن وصاحب كتابين من اكثر الكتب مبيعاً في الولايات المتحدة. وكان أوباما الأفريقي الوحيد بين أعضاء مجلس الشيوخ المئة، وخامس أمريكي من اصول افريقية يدخل إلى مجلس الشيوخ، واول امريكى اسود يتولى منصب رئاسة الولايات المتحدة الامريكية.

الموقف من اسرائيل

هنالك في مخزون الذاكرة الفلسطينية والعربية اجمالاً ما يكفي للقول، ان ثمة تحالفات استراتيجية بين الولايات المتحدة واسرائيل، وهذه التحالفات تقوم على أسس العداء العميق بين الولايات المتحدة والعالمين العربي والاسلامي. كل ما نتذكره حول علاقتنا مع الولايات المتحدة، هو العداء، وانحياز الولايات المتحدة لإسرائيل لدرجة التطابق بين السياستين الاميركية والاسرائيلية.

وخلال حملته الانتخابية أعلن اوباما أمام اللجنة الأميركية-الإسرائيلية المشتركه (إيباك) دعمه الكامل للدولة العبرية والتزم في حال فوزه بالرئاسة بضمان

أمن إسرائيل وتفوقها على جيرانها العرب وزاد على ذلك وأعلن تأييده لتبقى القدس عاصمة أبدية لإسرائيل والتزم بتحقيق ذلك في حال فوزه بالرئاسة.

قال اوباما: "ان ما بين اسرائيل والولايات المتحدة وعد لا ينكسر اليوم وغداً والى الابد..". هكذا استهل اوباما «خطاب القسم» امام ايباك. وربط بين قصته الشخصية بقصة الشعب اليهودي وقصة الاميركيين الافارقة بتلك الخاصة باليهود الاميركيين، ليصل الى الذروة في خطابه بالتأكيد على «قداسة» امن اسرائيل وعدم قابليته للتفاوض.. هذا الوعد لم يكن قصراً على اوباما، فأكدته هيلاري كلينتون في المناسبة ذاتها : الولايات المتحدة تقف الى جانب اسرائيل الآن والى الابد..». بدا كل من اوباما وكلينتون كمن يؤدي صلاة. في محراب ايباك على نية الوصول الى البيت الابيض.. لقد بدا اوباما في خطابه اقرب الى المؤمن الذي يسعى الى نيل البركة الالهية اكثر منه السياسي الذي يسعى الى اقناع شريحة هامة من الناخبين اليهود الاميركيين ببرامجه الاقتصادية وتوجهاته السياسية.

وقد لقيت تصريحات أوباما ترحيباً كبيراً في إسرائيل، وأعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إيهود أولمرت أن خطاب أوباما أمام إيباك مؤثر جداً وقال إنه إذا انتخب رئيساً فسوف نناقش معه مجمل القضايا التي أثارها، ووصف الإسرائيليون هذا الخطاب بأنه الأشد تأييداً لإسرائيل في تاريخ الولايات المتحدة. وقال التلفزيون الإسرائيلي إن خطاب أوباما كان أكثر تحيزاً لإسرائيل من الخطابات التي تُسمع في مؤتمرات حزب الليكود وباقي أحزاب اليمين الأخرى، وربما هذا ما يفسر ان اليهود الاميركيين صوتوا لاوباما بنسبة ٧٢ بالمئة.

على انه ليس من المبالغة في شيء القول ان ظهور اوباما امام مؤتمر ايباك شكل اكثر المحطات دقة وحساسية في رحلة وصوله الى البيت الابيض. ويرجع ذلك الى النفوذ الكبير الذي تمتلكه هذه المنظمة اليهودية القوية في ترجيح كفة اي من المرشحين لأسباب تبدأ بقدراتها المالية الهائلة ولا تنتهي بشبكة تحالفاتها مع شرائح انتخابية مسيحية اصولية تصل الى حدود الاندماج العقائدي والاستحواذ على انماط تفكير وايمان تلك الشرائح بالوعد التوراتي ليهود العالم بدولة يهودية في ارض فلسطين.

باراك اوباما سيكون بالتأكيد رئيساً مختلفاً في التاريخ الاميركي بوصوله الى البيت الابيض. غير انه لن يختلف عن اي رئيس اميركي سابق منذ قيام دولة اسرائيل، من حيث ايمانه بـ"الوعد الابدي" للشراكة بين اسرائيل واميركا والذي يبقى السمفونية المكررة التي يعزفها كل الطامحين للوصول الى جنة الرئاسة الاميركية ويكون شهودها ومستمعوها عرابو الشراكة الاميركية - الاسرائيلية وصناع السياسة الخارجية الذين لا يقبلون شريكاً إلا اذا اتقن العزف في محاريب المنظمات اليهودية الاميركية وعلى رأسها ايباك التي وقفت وصفقت بقضها وقضيضها لهذا المرشح المقبل على البيت الابيض فوق اجنحة التغيير الذي يدغدغ احلام الملايين من الاميركيين.

خطاب أوباما في جامعة القاهرة

لقد وعد اوباما ناخبية بالتغيير ووعد العالم بالامل بعالم افضل، ومنذ رئاسته وهو يعمل جاهداً لتغيير صورة امريكا في الداخل والخارج على الاقل ليفى بوعوده الانتخابية. لقد جاء اوباما الى منطقتنا العربية وزار عدد من الدول العربية والاسلامية لاصلاح وترميم الدمار الذى خلفته سياسات بوش العدوانية والمتعصبه، والقى خطاب هام في جامعة القاهرة المصرية حظي بتغطية اعلامية كبيره وضح رؤيته تجاه المنطقة، حيث اختلف المحللون والناس العاديون حول هذا الخطاب واهميتة بين مرحب ومتحفظ ومشكك.

.في كتابه جرأة الأمل اعتبر أوباما أن الوظيفة الأساسية للسياسة هي ترجمة مشاعر الخير الكامنة في الإنسان إلى واقع، ويبدو أنه يتمتع بما يكفي من الجرأة لتطبيق هذا المبدأ في السياسة على الجهود الأمريكية لإحلال السلام في الشرق الأوسط، ولاشك أن خطابه الذي ألقاه بالقاهرة كان مناسبة أخرى لإيصال رسالة واضحة إلى العالم الإسلامي يعزز فيها العلاقات بين أمريكا والمسلمين، ويدعم بها فرص السلام في منطقة تحفل بالاضطرابات، لاسيما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية والصراع مع إسرائيل الذي استمر طويلاً بسبب السياسات الأمريكية السابقة في المنطقة البعيدة جداً عن تلك المبادي الخيرة التي تحدث عنها أوباما في

كتابه والتي يسعى على ما يبدو إلى إعادة العمل بها من خلال خطابه بالقاهرة. ولكن هل بالفعل كان خطابه جرأة أمل أم إثارة الدهشة أم الخديعة..

على كل الاحول فإن البحث في ثنايا الخطاب ستكشف سلبيات وتناقضات عديدة في مضمونه، برغم لغته البراقة وأسلوبه الأخاذ كما يرى البعض، الا أن الخطاب في مجمله متوازن وفيه رؤية واضحة وفيه مقاربة جديدة فيما يتعلق بالعلاقة مع الدول الإسلامية ومنها قضية حوار الحضارات والقضية الفلسطينية، اذا ما قورن بخطابات ومواقف الرؤساء الامريكيون السابقون التى كانت تعتبر خطابات معادية ومنحازة لإسرائيل، ولا فائدة من متابعتها. هذا الخطاب بالذات، كان له وقعه الواضح، وامتاز بلغة اميركية جديدة ففي جميع القضايا التي تشغل العالمين العربي والإسلامي، كان أوباما صريحاً وواضحاً، وقد سعى منذ بداية خطابه إلى إيصال رسالة مفادها "أنا أفهمكم جيداً"، لهذا بدأ خطابه بالتركيز على مساهمة الحضارة الإسلامية تاريخياً بتطور العلوم والرياضيات والطب وعلوم الإبحار، واستخدم تاريخه الشخصي كابن لعائلة كينية، أعداد كبيرة منها مسلمة، مذكرا بأنه كان يستمع إلى الأذان صباح كل يوم في اندونيسيا حيث امضى جزءا من طفولته. واستخدم أوباما العديد من الآيات القرآنية للتدليل على فهمه للإسلام والمسلمين.

وباستعراض ما قاله بشان القضايا التي جعلت الشعوب العربية والإسلامية تنظر للولايات المتحدة كعدو، نجد أن أوباما قد حاول بكثير من الوضوح "تفكيك" هذه الخصومة وتحويلها إلى نوع من شراكة محتملة وممكنة.

فيما يتعلق بأفغانستان وباكستان فإن أميركا لن تهادن، ولن تتراجع في الحرب التي تشنها على القاعدة وحلفائها. أوباما يرى الحرب مشروعة وضرورية وعادلة لمعاقبة من تسبب بمقتل الآلاف من الأميركيين في الحادي عشر من سبتمبر، ولن تكون هنالك مساومة على ذلك إلى أن يتم عزل القاعدة ومحاصرتها والقضاء عليها.

أما ما يتعلق بالعراق، فقد كان أوباما من أوائل المناهضين للحرب على العراق عام ٢٠٠٣. وعندما تحدث أمام جماهير الحزب الديمقراطي في مؤتمر بوسطن، أشاد بالجنود الأمريكيين الذين يخدمون في العراق، وقال إنه يجب إعطاء عائلات الجنود الذين يقتلون في العراق المزيد من الدعم المالي. لهذا فقد اقترب أوباما

كثيراً جداً من الاعتذار دون ان يقول ذلك صراحة. لكن كلماته كانت اعتذارية. هي "حرب لم تفرض علينا"، "اختيارية"، "انقسم الأميركون والعالم معهم بشأنها"، مضيفاً وهذا هو الأهم، "سنغادر العراق بأسرع وقت ممكن، ولن تكون لنا قواعد عسكرية فيه"، موضحاً بأن ذلك ينتهي العام ٢٠١٢.

اما بالنسبة لفلسطين القضية المركزية للامه العربية والاسلامية، والتى بدون حلها لن تنعم المنطقة بالاستقرار، فقد كانت مقاربتة الجديدة التي طرحها اوباما تتعامل بالتزام وتوازن، فالكلمات المستخدمة شديدة الدلالة على تفهمه لما عاناه ويعانيه الفلسطينيون، وعلى جدية إدارته والتزامه الشخصي بطي هذا الملف بإنجاز تسوية بين الفلسطينيين وإسرائيل وفق مبدأ الدولتين. لأول مرة نستمع إلى رئيس أميركي يتحدث عن الصراع الذي بدأ منذ قيام إسرائيل وليس منذ عدوانها على العرب العام ١٩٦٧، مستخدماً في وصفة لمعاناة اللاجئين تعبيراً يعني اعترافاً بأنهم "انتزعوا من أرضهم بالقوة"، وبأنهم يعيشون في حالة من الذل تحت الاحتلال، وان هذا الوضع لا يمكن التسامح معه، وأن أميركا ستقف مع حق الفلسطينيين بالكرامة والدولة ولن تدير ظهرها لهم. تأكيد أوباما بأن الاستيطان غير شرعي - مهم هنا وهو تطور في طريقة النظر لمسألة الاستيطان، لأن الدارج سابقاً لدى السياسيين الأميركيين أن يقولوا إنه "عقبة في طريق السلام" بينما المسألة هي عدم شرعية هذا الاستيطان وضرورة إزالته لتعارضه من القانون الدولي. ومن المهم أيضا ملاحظة أن أوباما يرفض استمرار محاصرة غزة "فالأزمة الانسانية في غزة لا تجلب الأمن للإسرائيليين وتدمر حياة الفلسطينيين".

وفي خطابه كرر أوباما حديثه عن علاقة أميركا بإسرائيل "غير القابلة للكسر" وعن معاناة "الشعب اليهودي التاريخية" وعن حقهم تبعاً لهذه المعاناة بدولة خاصة بهم، فقال : إن متانة الأواصر الرابطة بين أمريكا وإسرائيل معروفة على نطاق واسع. ولا يمكن قطع هذه الأواصر أبدا وهي تستند إلى علاقات ثقافية وتاريخية وكذلك الاعتراف بأن رغبة اليهود في وجود وطن خاص لهم هي رغبة متأصلة في تاريخ مأساوي لا يمكن لأحد نفيه.

وهذا الدعم والتعاطف الكامل مع اسرائيل لا يقلل بأي حال من تعاطفه وتفهمه لمعاناة الفلسطينيين. والواقع أن أوباما قد أرسل منذ توليه الرئاسة رسائل

واضحة بشأن ذلك. فالتعاطف مع اسرائيل قائم في ادارة اوباما، ولكنه ليس أعمى. العهد الذي كان بوسعنا فيه ان نشد الحبل وان نسوف الوقت بلغ منتهاه، كما عبر عن ذلك احد الكتاب اليهود.

لقد كان الخطاب المشحون بالعاطفة الذي ألقاه الرئيس الأمريكي باراك أوباما من على مدرج جامعة القاهرة، عظة دينية وجدانية، تخاطب القلب أكثر مما تخاطب العقل، ويمكن اعتباره خطاباً تاريخياً على المستوى التقني لخطابات زعماء الدول من حيث الشكل وبلاغة الخطيب المعروف بأنه متحدث مفوه لا يشق له غبار. وقد يكون أفلح في هذا، وكان له ما أراد، وتأكد هذا من خلال الاستجابات العاطفية التي كان يتلقاها، مع كل آية قرآنية، أو حديث نبوي كان يتلوه، وهو ينظر من دون تركيز، على الأثر الانفجاري الطاغي الذي كانت كلماته تتركه في نفوس مستمعيه. وهنا لن ننكر عليه قدراته البلاغية والخطابية المميزة التي أنتجت تلك الملحمة الخطابية التاريخية غير المسبوقة.

ولكن حين نضع خطاب اوباما تحت مجهر النقد والتمحيص، فإن الأمر سيبدو غير ذلك بالتأكيد، وعلى درجة حادة من الفروقات والاختلاف الكبير، وفيه من المغالطات، ومجافاة الواقع، الشيء، الكثير. فعلى صعيد الأفكار والنموذج المعرفي الذي يستند إليه اوباما ويستمد منه لغته فان الأمر يختلف حتماً، إذ يظهر التشريح أن الخطاب الذي غلبت عليه اللغة التصالحية والنظرة الواقعية والاستشهاد الديني بدا عاجزاً عن تقديم حلول مقنعة لمشاكل مستعصية وعمد اوباما إلى الهروب من التفاصيل إلى العموميات التي لا تلزمه بأي وعود تجاه أي طرف من الأطراف، كالوعود الانتخابية الكثيرة التي يحاول أوباما الوفاء بها الوعد تلو الآخر مما يترك له هامشاً واسعاً من المناورة في المستقبل.

فالخطاب ليس برنامجاً عاماً وعملياً، غايته أن يعالج ويتصدى لجملة من أزمات ومشاكل سياسية، واجتماعية تهم الشارع العام. لقد كانت الغاية الأولى والأخيرة من هذه الخطبة، بالضبط، هي تهدئة روع المسلمين الساخطين على سياسات الإدارة الأمريكية السابقة الاستفزازية مع فريق المحافظين الجدد، والذين لم يتركوا وراءهم أي أثر أو مثقال ذرة يمكن أن يترحم الناس من خلالها عليهم، أو يستذكرونهم بأي قدر من الخير.

لغة الخطاب واعدة وتصالحية ومختلفة عن خطابات الإدارة السابقة خاصة من جهة السعي لتحسين خطاب العلاقات مع العالم الاسلامي، ولكنه أيضاً يصب في مصلحة أمريكا وموقعها في العالم خاصة الاسلامي، ويمكن اعتباره أسساً ومنطلقاً لتغيير مسار العلاقات الاميركية - العربية والإسلامية عموماً. وهنالك من الأسس التي وردت في الخطاب، يمكن الاعتماد عليها لتأسيس شبكة علاقات من نوع جديد، فيما لو أُحسن استخدامها عربياً وأميركياً على نحو صحيح. باختصار، خطاب أوباما هو خطاب القطيعة مع سياسات بوش، وهو يعبر عن سياسة جديدة، إيجابية وتدعو للتفاؤل بأن العلاقات العربية ـ الأميركية، والإسلامية ـ الأميركية يمكن إصلاحها، تقويتها وتطويرها، ويتوقف ذلك على تحويل "هذا الكلام الجميل" إلى مشروع عمل وأفعال تؤدي إلى نتائج يمكن قياسها.

ولكن الخوف كل الخوف من اتباع التيار المحافظ والعنصريون البيض الذين لن يتركوه يعمل على هواه بالرغم من هزيمتهم النكراء، بل انهم بدأوا يلملمون شملهم بقيادة احد صقورهم نائب الرئيس السابق ديك تشينى وبدأو ينتقدون سياساته المنفتحه على العالم، وشنوا عليه حمله جعلته يتراجع عن بعض وعوده او يؤجلها، وهاجموا لغته التصالحية مع العالم الاسلامى واعتبروها مساس بكرامة امريكا وهيبتها، بل اعتبرها بعضهم اذلال لها .

من هنا فاننى اعتقتد ان مرحلة اوباما ستكون مرحله انتقالية حرجه وصعبه يتم خلالها ترتيب البيت الامريكى الداخلى واصلاح ما افسدته فترة بوش خارجياً وداخلياً والخروج من الازمة المالية التى يعاني منها الاقتصاد الامريكى، مع عدم تمكين اوباما من احداث تغيير جوهرى في السياسة الامريكية، وهنا فاننى لا اقلل من قيمة الافكار والرؤى التى يحملها اوباما لامريكا والعالم، بل اقلل من احتمال نجاحه في تطبيقها على ارض الواقع. ولا استبعد ان يتم ازاحة اوباما عن الحكم بالقوة (وذلك بسبب اصوله الملونه وخلفيته الدينية والثقافية التى تتعارض مع فكر وقيم الغالبية المسيطرة) اى من خلال اغتياله وهذا امر غير مستبعد من العنصريين البروتستانت، الذين اعدوا خطط لاغتيال اوباما خلال فترة ترشحه للانتخابات، وثم القاء القبض على المخططين كما ذكرت محطة CNN، ونقلت اذاعة "سوا" عن "جيمس ثيربر" أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية في واشنطن قوله ان الجميع

يشعرون بالقلق على حياة الرئيس "أوباما" ويتذكرون جيداً زمن "كينيدي" الذي يبدو قريب الشبه من هذا الزمن. كما ان احدى الصحف في ولاية بنسلفانيا نشرت اعلانا دعا ضمنياً الى اغتيال الرئيس الامريكي باراك اوباما. وكان الاعلان يقول: "لعل اوباما يحذو حذو لينكولن وجارفيلد ومكنيلي وكنيدي."

وقد لاحظنا انه خلال التاريخ الامريكى كله لم يصل الى الحكم الا رئيس كاثوليكى واحد هو جون كنيدى وبصعوبه ولكنه لم يكمل فترة رئاسته واغتيل على ايدى المتعصبيين البروتستانت، كما ان تاريخ امريكا مع الملونين واصحاب الديانات الاخرى واضح لنا، وواقع الملونيين فى امريكا الآن خير شاهد على العنصرية والكراهية التى يتعرضون لها في بلد ما يسمى بالحريات والديمقراطية، ويجب ان لا ننسى انه تم اغتيال الرئيس الامريكى ابراهام لنكولن لانه دعا الى تحرير السود، وكانت قضية السود من القضايا الرئيسية التى ادت الى نشوب الحرب الاهلية الامريكية، كما اغتيل داعية الحقوق المدنية الاسود مارتن لوثر كنج لنفس الاسباب.

وربما كان هاجس كراهية الملونين والسود هو الذى دفع القس مايكل فليجر احد انصار اوباما الى القاء خطبه دينية يسخر فيها من هلارى كلنتون قال فيها :" إن هيلاري كلينتون تفكر دائما بهذه الطريقة: إنها لي، أنا زوجة بيل، أنا بيضاء. وفجأة ظهر باراك أوباما من العدم، فقالت من أين جئت ياهذا؟ أنا بيضاء أنا أستحق، إن هذا الرجل يخطف مني الأضواء. وبالرغم من ان اوباما أعرب "عن عميق خيبته" من الخطبة وقال إنها "مثيرة للشقاق، وتحمل رؤية متخلفة"، الا ان ذلك يشير الى جذور العنصرية التى لازالت تعشعش في عقل قطاع كبير من الامريكيين البيض، تجاه الاقليات المختلفة، ويكشف مدى الاحباط والظلم الذي يشعر به الملونون في امريكا.

فلسطين ودورها الحضاري

اذا كنا قد سلطتنا الضوء في هذه الدراسة على الصهيونية المسيحية ونشأتها ودورها في اقامة اسرائيل في المنطقة العربية وركزنا على الدور البريطاني الامريكى بالذات ووضعنا خطة لمواجهتا، فان ذلك يعتبر بداية للفهم الصحيح للصراع وطرق مواجهته ويمهد لاتخاذ خطوات ووضع الخطط اللازمة للخروج من هذا

المأزق الذى تواجهه امتنا والذى استنزف ثرواتها وخيرة ابنائها وهى في امس الحاجة لاستثمارها من اجل النهوض واللحاق بركب الحضارة وممارسة دورها الرائد في الحضارة الانسانية. من اجل ذلك فاننا نرى ان وضع حل نهائي لهذا الصراع اصبح ضرورة قومية ودينية وحضارية تفرضها الاوضاع الدولية والمصلحة العامة للامه.

وبالرغم من كبر حجم الكتاب فاننى كنت انوى اضافة جزء اخر له بعنوان "فلسطين ودورها الحضاري" يوضح طبيعة الصراع على فلسطين والمراحل التى مر بها والعلاقة بين اليهود وفلسطين عبر التاريخ، وهذا يستدعى تفكيك الصراع والانطلاق بالتحليل والتأمل التاريخى والدينى بعيداً عن كثير من الافكار والاحكام المسبقة والانتقائية التى ارتبطت بالصراع في عصرنا الحاضر سواء بسبب التداخلات التى افرزها الاستعمار الغربي لمنطقتنا وظهور الحركة الصهيونية وما صحبها من تطرف وغلو في النظر الى فلسطين، او بسبب ظهور الحركات القومية العربية والحركات الاسلامية، والتى تعاملت مع الصراع من خلال نظرة قومية ضيقه او دينية انتقائية، لم تستطع ان تشخص طبيعة الصراع وسبل مواجهته، فتاهت في نظريات وتفسيرات ثبت فشلها بالكلية لانها لم تستلهمها من ارثنا الحضارى المجيد بل اقتصرت في علاجها لهذه الظاهره من خلال اقتباس ادبيات التجربة الاوربية الصراعية التى جلبت الويلات للقارة الاوربية والعالم خلال الخمسة قرون الاخيرة، حيث لم تكن فلسطين والشرق غائباً عن هذه النظرة الصراعية، فتعرضت المنطقة لهجمه شرسه وضحنا بداياتها وما انتهت اليه من اجل تحقيق نبوءات وافكار عدمية على يد اتباع المذهب البروتستانتى، وعلى الجانب الآخر تعرض اليهود المتواجدون في اوروبا لحملات اضطهاد وتنكيل منظمه من قبل كثير من الدول التى عاشوا فيها، لاسباب دينية معاديه لليهود، كانت تنظر لهم على انهم قتلة المسيح، وسعت للتخلص منهم بالقاءهم في منطقتنا، وفي الحالتين تحملنا اخطاء غيرنا ودفعنا ثمناً باهضاً نتيجه لذلك.

من هنا فاننا نرى ان وضع تصور لحل الصراع يجب ان ينبع من منطقتنا بعيداً عن الاملاءات الخارجية التى لها اجندات بعيده كل البعد عن قيمنا ومصالحنا .. تصور ينبع من اصالة حضارتنا وقدرتها اللامحدودة على الانفتاح والتفاعل واستيعاب الغزاة الذين مروا بها على مر التاريخ، والذين لم يشفع لهم تفوقهم العسكرى والمادي

لتمكينهم من السيطرة على هـذه المنطقـة وفـرض افكـارهم عليهـا، بـل اسـتطاعت حضارتنا على مر التاريخ ان تهزم الغزاة ليس بالقوة العسكرية فحسب، بل من خـلال ارتها الحضارى الذى هزم الاعداء بالرغم من تفوقهم العسكرى وجعلهم يتبنـون قـيم هذه الحضارة وافكارها.

وهذا الامر ليس مستغربا اذا تأملنا ارثنا الحضاري الضخم الذى الهـم البشـرية جمعاء، فالديانات السماوية في العالم والتى تدين بها اكثر من نصـف البشـرية نبعـت من هنا، والحضارات القديمه التى وضعت اسس التمـدن الانسـاني اشـرقت مـن هنـا، وتاريخ العالم بدأ وازدهر وتطور وانتشر من هذه المنطقة المباركة، وكل ذلك جعلهـا محط انظار العالم وقبلته من الناحية الدينية والحضارية.

واذا كانت امتنا تمر في عصرنا الراهن بازمه نتيجه لتخلفها عن ركب الحضـارة بسبب التحديات التى فرضت عليها فان ذلك لا يعنى الاستسلام لهـذا الامـر، ولا يجـب ان نفقد الامـل فـي اصـلاح حالنـا واللحـاق بركـب الحضـاره. واعتقـد ان الجميـع يعلـم ضخامه وثراء ثراتنا الثقافى والحضارى الذى اعطى العالم اولى الحضارات (الفرعونية والفنيقية والبابلية والسومرية، والاشورية والكنعانية) ، وثم تتويج ذلك بهبه من اللّه للعالمين دياناته السماوية اليهودية والمسيحية ثم الاسلام الدين الخـاتم. اعتقـد انـه لا توجد منطقه في الدنيا توفرت لها مثل هـذا الارث العظـيم والتـاريخ الزاهـر. وهنـا فاننى لست من هواة الوقوف علـى الاطـلال والتغنـى بالماضـى، ولكـن اعتقـد ان ايـه نهضه واى تغيير لا بد ان يستند على قاعدة اصيله من الثقة بـالنفس وبقـدرتنا علـى التطور والاخذ بناصية الحضارة.

فلـيس مـن المنطـق او العقـل ان تكـون هـذه الارض المباركـة سـاحة للصـراع والحروب، في الوقت الذى استطاعت ان تلهم العالم والبشـرية جمعـاء بقيمهـا النبيلـه عـن الحـب والتسـامح والمسـاواه والـدعوة الـى اعمـار الارض واعـلاء شـأن الانسـان بتخليصـه مـن كافـة اشـكال العبوديـة لغيـر اللّه. هـذه الارض المباركـة لـديها رسـاله جديده يمكنها الهام العالم والبشرية من جديد من خلال التأمـل بدقـه بإرثهـا الـدينى والحضارى الذى يبنى ولا يهدم والذى يستوعب الجميع من خلال مبادئه المتسامحه .

هناك جهد جبار يجب ان يبدل من قبل المخلصين في امتنا وهم كثر لتصـحيح كثير من المفاهيم والافكار التى تعيـق تقـدمنا، آخـذين فـى الاعتبـار وقـوع منطقتنـا

لفتره طويلة فريسه لاطماع وحروب مختلفه لاهميتها الحضارية والثقافية والدينية والجغرافية، والتى بدأت مع حروب المغول والصليبيون ثم الاستعمار الحديث. ولا شك ان الذي حدث تتحمل جزء من مسئوليته الاجيال السابقة التى مزقتها الصراعات المختلفة، الا ان ذلك لا يجب ان يغفلنا عن جاذبية هذه المنطقة واهميتها للعالم اجمع وهذا هو جزء من ثمن ارثنا الحضارى العظيم الذى يجب ان نحافظ عليه ونحميه ويكون حافزاً لنا من اجل تجديد الرساله والرياده للعالم .

ان المتأمل لتاريخ منطقتنا يجد انها تعرضت لغزوات وحروب على مر تاريخها ولكنها كانت في كل مره تهزم اعدائها ليس بقوة الجنود بل بقوة حضارتها وقيمها. وهكذا لم يصدم الغزاة القادمون من وسط اسيا واوروبا بالحدود والجيوش فحسب وانما واجهتهم حضارة تدافع عن (الحضارة) – فالحضارة لا يمكن ولا يكفى ان تدافع عنها بقوة السلاح – وهؤلاء الغزاة الوافدون من سهوب آسيا واوروبا على الرغم من تغلبهم بقوة السلاح قد احتوتهم ثقافة المغلوبيين فتمثل الغزاة حضارة هؤلاء، كما حدث مع الرومان الذي سيطروا على المنطقة لفتره طويله ولكنهم في النهاية اعتنقوا الديانه المسيحية المشرقية، وحدث نفس الشئ مع المغول الذي دموروا بغداد ولكنهم في النهاية دخلوا الاسلام واصبحوا من اشد المدافعين عنه والداعين له. ونحن الان لدينا المقدره لتقديم نموذج حضاري بديل يستوعب الانجازات الحضارية القائمه ويهذبها ويضيف لها بعدا انسانياً وروحياً، تحتاجه البشرية الان، وذلك لن يحث الا اذا اصلحنا انفسنا اولاً "ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم".

الإصلاح الإسلامي

ربما سيقول بعض القراء ان الاسلام هو الحل، مرددا الشعار البراق الذى يطرح دائما كبديل لحل مشاكلنا او لتبرير تخلفنا نتيجه لعدم اتباعنا النموذج الاسلامى. وانا اعتقد ان طرح المسأله بهذه البساطة والسذاجه فيه تجنى على الواقع الذى نعيش فية بنفس قدر تجنيه على الاسلام نفسه . فالاسلام حتى في عهده الاول لم يمتلك تلك الحلول الجاهزه، والاجوبه الشافية لكافة المسائل والقضايا التى واجهها

بسبب اتساع رقعه الدوله ودخول كثير من الشعوب تحت مظلة الاسلام. لهذا حدث الاجتهاد والاختلاف (بما لا يفسد للود قضيه) بين المسلمين والفقهاء، وادلى الجميع بدلوه في هذا الامر فظهرت مدارس اهل الرأى واهل الحديث، وظهر علم الكلام والفلسفه وغيرها من العلوم الدينية والدنيوية، والتى مكنت للمسلمين من النهضه والريادة وتسيد العالم.

واعتقد ان الجميع يعلم الفرق بين واقعنا المعاصر كمسلمين وواقع المسلمين ايام مجدهم، وحجم القضايا والامور التى ظهرت والتى بحاجه الى اجتهاد ومعرفه دقيقه بمقاصد الشريعه لتحديد الموقف الشرعى الدقيق منها. وهنا لابد من تحديد الاسلام المقصود.. هل هو اسلام بن لادن .. الاخوان المسلمون .. حزب التحرير .. طالبان .. ابى حفص .. ام الاسلام السلفى او الليبرالى..الخ. وهنا فاننى لا اعيب تعدد الاحزاب والتيارات الاسلامية فهذا امر مطلوب وصحي، ولكن الشئ المعيب هو ان نجد ان كل حركه وتيار لا تحترم وجهة النظر الاخرى بل قد يصل الامر الى حد التكفير والخروج عن المله (بأسهم بينهم شديد) .. ولكن الجميع يستشهد بحديث نبوي عن ضرورة انقسام الامه الى ٧٢ فرقه ليس بينها الا فرقه واحد ناجيه من النار، وبالتأكيد فان كل فرقه تعتبر نفسها فقط الفرقة الناجية. وهنا يتوه المسلم البسيط الساعى الى الفوز العظيم، في غابة الفرق والاحزاب والدراويش، لعله يجد مبتغاه وينجو من النار، وهنا تكون بداية التطرف والتنطع في الدين. فمادامت القضية، قضية فرقه ناجيه بدون غيرها، يجعل اتباع كل فرقه يعتقدون ان مهمة اصلاح الدين والدنيا تقع على عاتقهم وحدهم ولا يجب عليهم التنازل قيد انملة عن تعليمات مشايخهم الذين يستغلون بساطة هؤلاء المؤمنين، وتتوه شعوب الامه بين الفرق ومشايخها وفتاويهم .. فهذا يحرم وذاك يزكى وآخر يكفر وغيره يؤجل .. وهكذا وبسبب الفهم الخاطئ للاسلام، وبدلاً من ان يكون الاسلام حلاً لمشاكل الامه يصبح عبئا آخر عليها، وبدلاً من ان يوحدها ويجمع شملها، يشتتها ويفرقها.

وبالرغم من انني احسب نفسي من المؤمنين بمقدرة الاسلام على الاخذ بيد الامه لطريق الوحدة والنهضه والعزه واحاول من خلال بعض مشاريعي البحثيه ان اساهم بهذ المجال قدر استطاعتي، الا انني وصلت الى قناعه بأن الوقت لم يحن بعد لهذا المشروع ليأخذ مكانه ويزاحم الآخرين للظفر بالسلطه وقيادة الامه في ظل

القيادات وطريقة التفكير الحالية، لان التيارات الفكرية الاسلامية او على الاقل ما تمخض عنها من حركات واحزاب اسلامية لاتزال تعيش في عالم غير عالمنا ولم تستطع حتى اللحظه ان تدرك ليس فقط المعاني العظيمه للاسلام بل والاخطر انها لا تعرف شئ عن حقيقه العالم الذي نعيش فيه والمتغيرات التى تحكمه واكتفت برفع شعارات براقه كالاسلام هو الحل والاسلام هو البديل .. الخ، بدون ان تقدم ايه حل او بديل مقنع للجماهير على اي مستوى من المستويات، ولهذا تجد نفسها في مأزق بمجرد امتلاكها للسلطه او جزء منها فتفشل.

وبالطبع فان مبرراتها جاهزه لسبب الفشل وهو مؤامرة الكفار والعلمانيون الذين لا يريدون للاسلام ان يحكم، كما ان تهمها بالخيانه والعماله والرده والخروج عن الصف جاهزه لمن لا يوافقونها الرأى . وهنا فاننى لا انكر ان هناك مؤامره على الاسلام، ولكن ليس هذا هو المهم بل الاهم من ذلك هو استعدادنا لنكون ضحيه للمؤامرة والتى ما فتئت الحركات الاسلامية تقع فيها من اول تجربه سلطويه تمر بها سواء كانت في الحكم او في المعارضه، والمؤمن لا يلذغ من جحر مرتين.

وبالرغم من اننى لا انكر اصاله النشأة والتكوين لاغلب الحركات الاسلامية، وصدق نواياها الا ان مشكلتها الرئيسية كانت في عدم نضوجها ووعيها السطحى بالوضع الدولى وتعقيدات الحكم على المستوى الوطنى، فوقعت في صدامات غير مبرره مع السلطه على المستوى المحلي، ودخلت في صراعات غير محسوبه مع الدول العظمى على المستوى الدولى، وتم كل ذلك باسم الجهاد في سبيل اللّه تعالى من أجل رفعة شأن الإسلام، فانتشرت الصدامات في مختلف البلدان من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، وخالطتها كثير من المخالفات الشرعية، التى اتخذت من الإسلام درعا لطرح فكر متعصب لا يقبل التسامح ولا العقل ولا الاعتراف بالاخر بدلا من زرع بذور الخير والمحبة والقدوة الحسنة والكلمة الطيبة التي توحد الناس وتأخذ بيد الامه الى التغيير المطلوب.

ولو حاولنا مراجعة تجارب حركات الاسلام السياسي في منطقتنا منذ الاستقلال وحتى اللحظه فاننا سنجد انها تنقسم الى قسمين، الاولى ونتيجه لفكرها المغلق التكفيرى وعدم نضوجها السياسي، وضعت نفسها كخصم عنيد لكافه الانظمه الوطنية واخذت تزاحم على السلطه بدعوى انها تريد تطبيق الاسلام

بـالرغم مـن ان مشـروعها الاسـلامي لـم يكـن جـاهزا وقتهـا وحتـى اللحظـه، واخـذت تستغل بعض التصرفات هنا وهناك لتكفير النظام ومحاولة الانقلاب عليـه بـدلا مـن المساعده في مواجهة التحديات والاخذ بيد النظـام الوليـد، وهـذا مـا حـدث فـي مصـر والعراق وسوريا في ذروة المد الثوري والقومي حيث وضعت حركة الاخـوان المسـلمين وغيرها من الحركات نفسها في مواجهه مباشره مع الاحـزاب القوميـه، وكـأن الاسـلام يعـارض القوميـة والوحـدة العربيـة، بـل اننـى اذكـر كيـف انهـم كـانوا يصـورن فكـر القوميين العرب والبعثيين وكأنه فكر شـيوعي الحـادي كـافر، ونسـى القـوم ان فكـرة بعث الامة العربية هي في النهايه بعث للاسلام واحياء له لانه لا عروبه بدون اسلام.

ثم جاءت تجربه هذه الحركات لتتكرر وتقوم بنفس الدور في العراق ابان الغزو الامريكي للعراق حيث فضلت ان تقف فـي صـف المحتـل المعتـدي ضـد نظـام صـدام متناسيه ومتغافله عن احكام صريحه في القرآن تحـرم ذلـك وكانـت النتيجـه مـا نـراه ونسمعه في العراق من دمار لكل شئ وحرب طائفيه بين من يدعون الاسلام (شـيعه وسنه) بدل الحرب على الاجنبي المحتل. وفي سوريا كاد يتكرر نفس المشـهد عنـدما ابـدت حركـة الاخـوان المسـلمون السـورية اسـتعدادها للتعـاون مـع امريكـا للاطاحـه بالنظام السوري.

اما النوع الثاني من الحركات الاسلامية والتـي ظهـرت فـي نهايـة السـبعينيات، فقد مثل ظهورها تطور نوعي في عمل الحركات الاسلامية نتيجه لما فرخته التجربه الافغانية من حركات ولدت في احضان المخابرات الامريكية والانظمه المتعاونه معها، حيث دخل معها الاسلام السياسي مرحلـه جديـده وخطيـره، بعـد ان تـم تصـنيعه ثـم استغلاله من قبل المخابرات الامريكية والعربية، فحصل على مشروعيه مؤقته لـدحر الغـزو السـوفيتي لافغانسـتان، ولكـن بعـد انتهـاء دوره مـع السـوفيث، بـدأ اضـطهاده ومطاردته لدفعه للقيام بـدور جديـد مـن خـلال نشـره فـي كـل مكـان، فظهـرت هـذه الحركات بدون تحديد اوليات واسس لعملهـا الجهـادي واسـتخدمت مـن حيـث لا تـدري كاداه، فكانت ثاره تعمل كوكيل لامريكا في اثارة القلاقل فى الـدول العربيـة وروسـيا ومناطق اخرى، وثاره كاداه في يد المحافظين الجدد في امريكا فـي سـعيهم لتصـوير الاسلام كعدو بديل للشيوعية وانه الخطر الذي يتهدد العالم والذي استخدمته امريكا ودول اوروبا الغربيه كمبرر لاعلان حربهـا علـى مـا يسـمى بالارهـاب والتضـييق علـى

المسلمين في كل مكان، وتجلى ذلك في احداث ١١ سبتمر التى ابتهج لها كثير من المسلمين ولكن بعد حين اكتشفوا عمق المأزق الذى وضع المسلمون به نتيجه هذه الاحداث، وبدأ البعض بعد فوات الاوان ينتقد هذه العمليات ويشكك في من يقف وراءها وجدواها بعد ان لمسوا انعكاساتها الخطيره على الامه، وان المستفيد الوحيد من هذه الاحداث كانت ادارة بوش المتطرفه واسرائيل، التى استخدمت بعض الحركات الاسلامية ليس كاداه تنفيذية -لانهم لايصلحون لذلك- بل فقط كمتبني يقف من بعيد ليخرج علينا من حين لاخر ببيانات واشرطه مصوره استخدمتها ادارة بوش افضل استخدام لضرب الاسلام في كل مكان.

وهكذا لم تكتفي كثير من حركات الاسلام السياسي بتخريب واعاقه حركات التحرر الوطنى في بلدانها بل انها عملت على الاساءه الى الاسلام والعروبه في العالم وابراز المسلمين بشكل بشع امام العالم من خلال عمليات وتصريحات وافعال الحقت اضرار فظيعة بالاسلام والمسلمين وشوهت صورته. وهنا فانني لا انكر كيد الغرب وامريكا للاسلام واهله، ولكن هذا لا يعنى الدخول في مواجهه مفتوحه معهم بدون حساب التداعيات الخطيره على الاسلام. كما انني لا احاول تبرئه الانظمه الحاكمه من كثير من الاخطاء والخطايا والتجاوزات، ولكن هذا لا يبرر ان تضع هذه الحركات نفسها على طرف نقيض من هذه الانظمة وتحاول بكل الطرق الانقضاض عليها بدل توحيد الجهود والتدرج واعداد العده للتغيير المطلوب.

فبالرغم من ان كثير من الحركات الاسلامية لم يكن لها ميزه زائده عن الحركات الوطنية الاخرى في حروب الاستقلال وتضحياتها، بل ان ظهورها كان متأخر جداً في بعض المناطق، الا انها وبمجرد زوال الاستعمار بدأت تنشط ووضعت نفسها مباشره في صدام مع النظام بدون تطبيق ابسط ابجديات العمل الاسلامي من تحديد الاوليات والوعى بالتحديات والتدرج في حلها. بل انها اكتفت بالتركيز على شكليات الاسلام دون الجوهر فكانت النتيجه رؤيه ساذجه ومبسطه للاسلام جعلت الواحد منهم يعتقد ان تطويل اللحى وتقصير الجلباب يكفي لاستحقاقه النصر من الله والدعوه الى اقامة دولة الخلافه، ونسى او تناسى القوم ان للنصر والاستخلاف شروط وقوانين غير اللحى الطويله والاسماء الجميله التى تستحضر عظمة الماضي بشكله لا بجوهره، فليس كل من تسمى بابي حفص ملك عداله عمر، وليس كل من

كنى نفسه بابو الوليد او ابو مصعب والقعقاع وغيرهم من الصحابة العظام رضى الله عنهم جميعاً اصبح من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من ترك الدنيا والتفاني في خدمة الاسلام بالعلم والعمل، فدانت لهم الدنيا بما رحبت.

ان للاستخلاف والنصر سنن وقوانين بعيده كل البعد عن الشعارات البراقه والشكليات الجوفاء والخطب الرنانه التى اصبحت منهجاً لكثير من الحركات الاسلامية. فالرسول صلى الله عليه وسلم وهو المؤيد من الله بالنصر لم يغفل ولو للحظه واحده عن الاخذ بالاسباب واعداد العده بالرغم من يقينه بنصر الله للدين الجديد. ولكن الله سبحانه وتعالى اراد وضع منهج للنصر والتمكين للمسلمين في كل زمان ومكان ليأخذوا به. ففي احد هزم المسلمون لان بعض الصحابة لم يتبع اوامر الرسول الكريم وانساق وراء عرض الدنيا. وكادوا ان يهزموا في حنين عندما اعجبتهم كثرتهم. وفي الخندق اعد المسلمون العده واخذوا بالاسباب وحفروا الخندق وبعدها جاء النصر من الله وتفرقت الاحزاب. وفي مؤته انسحب خالد بذكاء من المعركه حقناً لدماء المسلمين، فقال عنهم عامة المسلمين الذين لا يدركون السنن الالهيه انهم الفرار ورد عليهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بانهم الكرار، وفي الشام تنازل خالد عن القيادة لابي عبيده انصياعاً لامر خليفة المسلمين وهو في اوج انتصاراته وعظمته من اجل مصلحة المسلمين، وهناك مئات بل آلاف العبر والدروس الشبيهه والتي نتغنى بها ليل مساء، ولكننا كالحمار يحمل اسفاراً.

ان الاسلام شريعه ومنهج حياه اذا اتبعناه قولا وعملا كنا خير امة اخرجت للناس، وصلح حالنا في الدارين، اما اذا اكتفينا برفع شعاراته والتغنى بفضائله وعظمة رجاله، من غير ان نستوعب ونطبق الدروس والعبر فلن يغير الله من حالنا، ولن تشفع لنا عندها ابتهالاتنا ودعواتنا بتدمير الكفر والكافرين ونصرة الاسلام والمسلمين، لان الله ينصر من ينصر دينه قولا وعملا، ونصرة الدين لا تكون بالدعاء والبكاء ولكن بامتلاك القوة واسبابها، واعداد العدة بمختلف طرقها ومجالاتها،"واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل" اما اذا توقعنا النصر بغير ذلك يصبح يقيننا بالنصر يقيناً منقوصاً وهو اقرب الى القاء انفسنا الى التهلكه، لان المؤمن القوى احب الى الله من المؤمن الضعيف، والسيرة النبوية والتاريخ الاسلامي اكبر شاهد على ذلك، ولهذا تقدم المسلمون وفتحوا مشارق الارض ومغاربها من خلال

اعداد العدة والاخذ بالاسباب ووضع خطط الحروب فبرزت عبقريات فذه وبطولات عظيمه ومواقف ايمانية جعلت اليقين بالنصر من الله حقيقة واقعه، لان "اعقلها" سبقت وتوكل، ولان الايمان صدقه العمل.

والسؤال الذي يبرز بقوه في واقعنا المعاصر اين نحن من كل ما تقدم ؟ بالطبع الفارق كبير كالفرق بين الثرا والثريا كما يقولون، وواقعنا المزري خير شاهد على ذلك حيث تتصدر دولنا العربية والاسلامية القائمة السوداء في كل شئ من التخلف العلمي والامية والجهل والفقر والفساد والرشوه والتطرف .. الخ . فاين الحركات الاسلامية من كل ذلك وما هي مساهماتها ومبادراتها؟ بالرغم من علمي ان هذا يقع ضمن مسئوليات الدوله، ولكن ذلك لا يعفيها من المسئولية لانها تمتلك اكبر قوه للتأثير على الناس بسبب الميل الفطري لدى الناس لاتباع رأى علماء الدين اذا صدقوا وتوحدوا، كما ان المجال مفتوح امامها للعمل في كثير من المجالات البعيده عن الصدام بالسلطه لتقديم القدوة الحسنة في كل شئ واعداد العدة للتغيير بدل السعي الى السلطه وهي خاوية اليدين، فتصتدم بالواقع المر الذى تسعى لتغييره، لان المطالبه بالتغيير شئ والقدره على التغيير وامتلاك ادواته شئ آخر مختلف، لما يتطلبه ذلك من وعي وقدره وخبره وتوحيد للجهود الوطنيه بكافه اشكالها ومشاربها، بالاضافة الى تحديد الاهداف المطلوب تحقيقها بوضوح في ظل الامكانيات المتاحه، بدون الزج بالاسلام في ساحات للصراع غير متكافئة.

إن المطلوب من كافة الحركات الاسلامية ان تراجع نهجها وطرق عملها وتستوعب العبر والدروس الحقيقية لسنن العلو والتمكين، وتكف عن الزج بالاسلام في صراعات وتجارب خاسره وفاشله نتيجة عيب فيها وليس في الاسلام الذي بدأ يدفع ثمناً باهضاً نتيجة جهل ابناءه وخبث اعدائه. ان الإسلام شريعة الله في أرضه ودينه القويم وسبيل الهداية والصلاح والفلاح لنا في الدارين، الا أن الجهل وانحراف الرؤى والأفكار ومناهج العمل لبعض الجماعات الإسلامية المتشبعة بثقافة العنف ورفض الآخر تقف من حيث لا تدري حجر عثره في سبيل نهوضه وتمكينه وتعزله عن العالم وتقيم حواجز من التخلف والعداء حوله، حيث تتستر هذه الجماعات على أعمالها المتطرفة بالدين وشريعته الإسلامية للوصول إلى السلطة، وشتان بين منهج سياسي يتحصن بدرع الدين ويسعى باسمه للوصول الى السلطة، وبين قيم

رسالة ايمانية غايتها إسعاد البشرية ورخائها ونشر المحبة والسلام بين الناس وتحقيق صلاحهم في الدنيا والآخره. وفي كل الأحوال فإن المشروع الإسلامي أوسع من أن يختزله حزب أو برنامج للحكم، فالحكم مجرد جزء من مشروعه، وليس هو الجزء الأعظم والأهم، ولذلك سقطت للإسلام دول لا تحصى بينما استمر فعله في الأمة والتاريخ...مصداقاً لقوله تعالى " إنّا نحن نزلنا الذكر و إنّا له لحافظون" ... واذا كان عبد المطلب قال لابرهه الحبشي : اما البعير فهي لى، وللبيت رب يحميه" فانني اقول لكافة الحركات الاسلامية ارفعوا ايديكم عن الاسلام .. وكفاكم اساءه للدين باسم الدين، وتعلموا من الاعاجم كيف يكون الوصول الى الحكم والسلطه ...

(ان اللّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)،

(إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا باللّه عليه توكلت وإليه أنيب)

وبعد..

فاننى اطلب المعذرة من الاخوة القراء لكبر حجم الدراسه ولكن ما دفعنى الى ذلك يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

- شيوع التبريرات المصلحية في تفسير اسباب التحيز البريطانى والامريكي لاسرائيل بحيث يمكن القول ان كافة الكتابات السياسية العربية والاجنبية تركز على المصالح ونفوذ اللوبي الصهيونى وغيرها من الامور، وعندما يظهر كتاب يريد ان يدحض هذه المقولات لابد له من الاثيان بالعديد من الادلة والبراهين والشواهد لتأييد وجهة نظره، لاننا هنا في مرحلة التأصيل لفكر جديد. فالخوض في افكار جديده وطرحها يتطلب مزيدا من التركيز والتوضيح في ظل سيطره وجهه نظر معينه لدى النخب والرأى العام.
- لا يمكن الحديث عن دور العامل الدينى في توجيه الساسة الامريكية في عصرنا الحاضر والفكرة العامه لدى المفكرين وعامة الناس ان الغرب برمته علمانى لا مكان للدين في حياته. وهذا يضع عبأ كبير لدحض هذه الرؤية واثبات دور الدين في تشكيل الثقافة الغربية نتيجه للاصلاح الدينى. وهذا ما جعلنى اشير الى مبادئ حركة الاصلاح واثرها على الفكر الانجلوسكسونى البريطانى

والامريكى (بالرغم من اننى ارى ان هناك قسور من جانبي في اعطاء هذه الامر حقه، واعمل الآن على اعداد دراسه خاصة عن دور القيم الدينية المستمدة من حركة الاصلاح الدينى في النهضة الغربية) .

- عند الحديث عن حرب صليبية كان يجب ان اميز بين ثلاث طوائف مسيحية رئيسية (الكاثوليك- الارثوذكس- البروتستانت) ومواقف كل منها مما يجرى على الارض لنصل في النهاية الى المقصود بالصليبيون الجدد . فبالرغم من ان هناك دراسات حول دور الدين في توجيه السياسه الغربية تجاه الصراع العربي الاسرائيلى الا ان كثيرون لا يفرقون بين مواقف الطوائف المسيحية من الصراع، فيهاجم بعضهم البابا او المسيحيون العرب لان بوش او غيره من القساوسه البروتستانت صرح تصريح مؤيد لاسرائيل او معاد للإسلام ، فظاهرة المسيحية الصهيونية ظاهره قديمه نشأت مع حركة الاصلاح الدينى في القرن الخامس عشر ومرت بمراحل مختلفة كان لابد من توضيحها حتى وصلت الى ما هى عليه في عصرنا الحاضر. وقد حاولت في هذا الكتاب ان اوضح الجذور العميقة لهذه الظاهرة التى تمتد لفتره اكتر من اربعة قرون، بالاضافة الى اننى حاولت ربط الواقع المعاش بافكار المسيحية الصهيونية، ووجدت انه من الضرورى وضع خطه لمواجهتها على كافة المستويات. وبالتأكيد فان ذلك يحتاج الى بيان وتوضيح مما زاد حجم الكتاب لهذه الدرجه ، وفي النهاية فاننى لا ادعى لنفسي ميزه او خصوصيه في تناول هذه الظاهره، بل الفضل كل الفضل يعود لكثير من المفكرين والكتاب الافاضل، الذين اشاروا الى هذه النقطه او تلك، فتتبعت خطاهم واجتهدت، واتمنى ان اكون قد وفقت في تعزيز ما وصلوا اليه او نالى حظ الاضافه او لفت الانظار لهذه الظاهرة الخطيره وسبل التصدى لها راجيا من المولى عز وجل ان تحصل الفائده المرجوه من هذا الكتاب.

والحمد لله في البدء والختام

يوسف الطويل / غزه- رفح في ٢٠٠٩/٦/١٩

*** *** ***

قائمة مراجع كتاب الحملة الصليبية بجميع أجزائه

١. الاستشراق و ابحاث الصراع لدى اسرائيل - ابراهيم عبدالكريم. -. دار الجليل، ١٩٩٣.

٢. تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - فيليب حتي- جبرائيل جبور وكمال يازجي ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٨٢

٣. ١٩٩٩ نصر بلا حرب، ١٩١٣ _ ١٩٩٤م – ريتشارد نيكسون – تقديم المشير/ محمد عبد الحليم أبو غزالة. مركز الاهرام، ١٩٨٩

٤. احداث ١١ سبتمبر – الاكذوبة الكبرى – محمد صفي - دار الاحمدى للنشر – الطبعة الاولى ٢٠٠٣

٥. احكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية ـ الدكتور حامد سلطان- طبعة دار النهضة العربية عام (١٩٦٨م) القاهرة

٦. احمد ديدات بين القاديانية والإسلام - يوسف الطويل- مكتبة مدبولى – الطبعة الاولى - ٢٠٠٢

٧. اربع كتب في الماسونية ـ شاهين بك مكاريوس – ط١/ ١٩٩٤ – مكتبة مدبولي

٨. ارض الميعاد والدولة الصليبية ـ أمريكيا في مواجهة العالم منذ ١٧٧٦ـ والتر ا. مكدوجال – ترجمة: رضا هلال – دار الشروق – ط٢ ٢٠٠١

٩. اريحا المدينة الملعونة -ماذا يخطط اليهود لفلسطين حتى عام ٢٠٠٠ ؟ من محمد عزت محمد عارف دار الاعتصام، ١٩٩٤

١٠. ازمة الفكر الصهيوني – د . محمد ربيع – المؤسسة العربية للدراسة والنشر

١١. اساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم – د. كارم محمود عزيز – دار الحصاد للنشر والتوزيع /دمشق- ط١ ١٩٩٩

١٢. اساطير بيضاء (كتابة التاريخ والغرب) – روبرت يانج – ترجمة احمد محمود – المجلس الاعلى للثقافة – ط١ ٢٠٠٣

١٣. استهداف العراق – العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية – جيف سيموند – مركز دراسات الوحدة العربية – ط١ ٢٠٠٣

١٤. اسرار وأكاذيب.. عملية "تحرير العراق" وما بعدها ـ ديليب هيرو -ط ١ ٢٠٠٤ - الناشر: ناشن بوكس، نيويورك

١٥. اسرائيل .. البداية والنهاية – د. مصطفى محمود- كتاب اليوم / اخبار اليوم – الطبعة السادسة

١٦. اسرائيل الكبرى ، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني ـ د. أسعد رزوق - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣

١٧. اسس علم النفس الاجتماعي- مختار حمزة -- دار البيان العربي/ جده ، ١٩٨٩،.

١٨. اسطورة هرمجدون والصهيونية المسيحية ـ عرض وتوثيق هشام آل قطيط – دار المحجة البيضاء - ٢٠٠٣

١٩. اصول الصهيونية في الدين اليهودي – د. اسماعيل راجي الفاروقي – مكتبة وهبه – ط٢ ١٩٨٨

٢٠. اعمدة الاستعمار الأمريكي / مصرع الديمقراطية فى العالم الجديد – فيكتور بيرلو و البرت ا.كان – تعريب منير البعلبكى- الطبعة رقم: ١، الناشر: دار العلم للملايين.

٢١. اغتيال فلسطين - أميل الغوري - دار النيل للطباعة ، القاهرة – ط.١ ١٩٥٥م.

٢٢. افلاس النظرية الصهيونية ـ نصر شمالي. منشورات فلسطين المحتلة – ط١، ١٩٨١

٢٣. اكذب عليّ: البروباغاندا والتشويه الإعلامي في الحرب على العراق تحرير: ديفد ميلر--ط١ ٢٠٠٤-الناشر: فيرسو، لندن

٢٤. الاجتماع الديني (مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية) الدكتور / احمد الخشاب

٢٥. الاختيار السيطرة على العالم أم قيادة العالم- زبيغنيو بريجنسكي – ط١ ٢٠٠٤-الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت

٢٦. الارتقاء إلى العالمية (السياسة الخارجية الامريكية منذ ١٩٣٨)– ستيفن امبروز – ترجمة نادية الحسيني- مراجعة ا.د. ودودة عبد الرحمن بدران – المكتبة الاكاديمية- ط١ ١٩٩٤

٢٧. الاستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين – اناتولي اوتكين – ترجمة أنور إبراهيم و محمد الجبلي – المجلس الاعلى للثقافة – ط١ - ٢٠٠٣

٢٨. الاستشراق و ابحاث الصراع لدى اسرائيل / ابراهيم عبدالكريم. دار الجليل، ١٩٩٣.

٢٩. الاستعمار وفلسطين (إسرائيل مشروع استعماري) ، رفيق شاكر النتشة ـ طبعة اوليى ١٩٨٤ ـ دار الجليل ـ عمان .

٣٠. الاسلام عام ٢٠٠٠ - - د . مراد هوفمان- ترجمة: عادل المعلّم - مكتبة الشروق.

٣١. الاسلام فى الغرب – روجيه جارودى

٣٢. الاسلام و فلسطين - رفيق شاكر النتشة - فلسطين المحلتة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨١م.

٣٣. الاسلام والغرب والمستقبل - أرنولد توينبي - تعريب الدكتور نبيل صبحي، بيروت- الدار العربية للطباعة والنشر- ١٩٦٩)

٣٤. الاسلام والمسيحية من التنافس والتصادم الى الحوار والتفاهم- تأليف اليكسي جورافسكي – ترجمة د. خلف محمد الجراد – ص٢١٢- دار الفكر المعاصر – ط٢ ٢٠٠٠

٣٥. الاسلام وبنو إسرائيل - الجنرال جواد رفعت اتلخان- ترجمة يوسف وليشاه - الرياض ، ١٤٠٤هـ

٣٦. الاصولية اليهودية في اسرائيل- تأليف اسرائيل شاحاك – نورتون متسفينسكي – ص٢٣ ترجمة ناصر عفيفي – الناشر الكتاب الذهبي مؤسسة روز اليوسق- ٢٠٠١

٣٧. الامبراطورية الاستباقية (الدليل الى مملكة بوش) – سول لاند – تقديم جورجمككفرن- تعريب ليلى النابلسي – الحوار الثقافي- ط١ ٢٠٠٥

٣٨. الامبراطورية الامريكية البداية .. والنهاية – منصور عبد الحكيم –دار الكتاب العربي – ط١ ٢٠٠٥

٣٩. الانحياز – علاقات امريكا السرية باسرائيل-ستيفن غرين – مؤسسة الدراسات الفلسطينية- ط٢ ١٩٩٢ – القدس

٤٠. الانحياز الأمريكي لإسرائيل – دوافعه التاريخية والاجتماعية والسياسية- د. احمد لطفي عبد السلام– مكتبة النافذة – ط١ ٢٠٠٥

٤١. الإخطبوط الصهيوني وخيوط المؤامرة لابتلاع فلسطين – تأليف سيناتور جاك تنى – تعليق وترجمة هشام عوض – دار الفضيلة للنشر والتوزيع

٤٢. الإخوة كيندى – أزغروميكو- ترجمة ماجد علاء الدين – شحادة عبد المجيد - الناشر د. ماجد علاء الدين – ط١ ١٩٨٦

٤٣. الإرهاب والليبرالية- بول بيرمان ـ الناشر: نورتون، نيويورك ولندن- ط١ ٢٠٠٣

٤٤. الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ـ إليكس جورافسكى ـ ترجمة د. خلف الجراد – دار الفكر المعاصر/ بيروت- دار الفكر/دمشق- ط٢ ٢٠٠٠م

٤٥. الإسلام وخرافة المواجهة-الدين والسياسة في الشرق الاوسط- فريد هاليداي- ترجمة محمد مستجير–مكتبة مدبولي-ط١ ١٩٩٧

٤٦. الإمبراطورية الأمريكية ـ كلود جوليان ـ ترجمة ناجى أبو خليل - دار الحقيقة بيروت ١٩٧٠م

٤٧. الإمبراطورية الأميركية والإغارة على العراق- محمد حسنين هيكل- دار الشروق- ط٥ ٢٠٠٥

٤٨. الإمبراطورية.. كيف صنعت بريطانيا العالم الحديث؟ـ نيل فيرغسون – ط١ ٢٠٠٣- الناشر: بنغوين، لندن

٤٩. الأرض في الفكر الاجتماعي الصهيوني (١٩٤٨-١٩٧٣) – كمال الخالدي – الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين – ط١ ١٩٨٤

٥٠. الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية – روجيه جارودى –تقديم محمد حسنين هيكل – دار الشروق- ط١ ١٩٩٨

٥١. الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي ـ جورجي كنعان – الجزء الاول (الدعوة والدعاة)- بيسان للنشر والتوزيع – ط١ ١٩٩٥

٥٢. الأصولية في العالم العربي – دكمجيان- دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع/ المنصورة، ١٩٨٩

٥٣. الأيديولوجية الصهيونية (دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة)ـ عبد الوهاب المسيرى المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، ١٩٨٢

٥٤. البروتوكولات واليهودية والصهيونية – د. عبد الوهاب المسيري- ط ١/ ٢٠٠٣ - دار الشروق

٥٥. البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني – د. يوسف الحسن – مركز دراسات الوحدة العربية – ط٣ ٢٠٠٠

٥٦. التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا – د. عبد الحميد البطريق و د. عبد العزيز نوار –دار النهضة العربية للطباعة والنشر

٥٧. التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية – د. مصطفى خالدي، د. عمر فروخ – الطبعة الثالثة – بيروت ١٩٦٤

٥٨. التجربة والخطأ ـ مذكرات حاييم وايزمان ـ ترجمة محمد الشهابى

٥٩. التحدي الصهيوني ـ جاك دومال وماري لوروا، ـ ترجمة نزيه الحكيم - دار المعلم للملايين، دار الآداب، ط أيار، ١٩٦٩

٦٠. التضليل الشيطاني – تيري ميسان - دار الوطنية الجديدة - دمشق ٢٠٠٢

٦١. التلمود والصهيونية ـ د.اسعد رزوق - مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٠،

٦٢. التلمود وتعاليمه وغاياته ـ ظفر الإسلام خان – دار النفائس- ط٥- ١٩٨٤

٦٣. الثقافة والإمبريالية – ادوارد سعيد ـ تعريب كمال أبو ديب – دار الآداب/ بيروت – ط١ ١٩٩٧

٦٤. الثورة العربية الكبرى في فلسطين ـ ١٩٣٦ـ١٩٣٩م (الرواية الإسرائيلية الرسمية) مؤسسة الدراسات الفلسطينية

٦٥. الحرب الأمريكية الجديدة ضد الإرهاب – من قسم العالم إلى فسطاطين – اسعد أبو خليل – ترجمة / ميرفت أبو خليل -دار الآداب للنشر والتوزيع /بيروت – ط١ ٢٠٠٣

٦٦. الحرب الصليبية (تواريخ حرب ظالمة) – جيمس كارول – ترجمة د. قاسم عبده قاسم – الجزء الثاني – مكتبة الشروق الدولية – ط١ ٢٠٠٥

٦٧. الحرب الصليبية.. وقائع حرب ظالمة- الصحافي والكاتب الأمريكي جيمس كارول – نيويورك ٢٠٠٤.

٦٨. الحرب المقدسة.. الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم- كارين أرمسترونغ-ط١ ٢٠٠٤-دار الكتاب العربي- بيروت

٦٩. الحركة الصليبية في العصور الوسطي في مجلدين دكتور سعيد عاشور مكتبة الأنجلو –مصرية- الطبعة الأولى ١٩٦٣م

٧٠. الحركة الصليبية: حركة مشرقة من تاريخ الجهاد الاسلامي في العصور الوسطى – د. سعيد عاشور- ج١- القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٢

٧١. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام / تأليف آدم متز ؛ نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة - طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م

٧٢. الحلم والتاريخ – مائتا عام من تاريخ أمريكا _ كلود جوليان – ترجمة نخلة كلاس دار طلاس، ١٩٨٩

٧٣. الحياة والمؤسسات الامريكية – دوغلاس ك. ستيفنسون – ترجمة : امل سعيد- الدار الاهلية للنشر والتوزيع – ط١ ٢٠٠١

٧٤. الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي/ تأليف اسماعيل الكيلاني. - ط.٢. - بيروت، لبنان : المكتب الإسلامي، ١٩٩٤.

٧٥. الدبلوماسية الأمريكية – تأليف : جورج.ف. كنان – ترجمة عبد اللاله الملاح – دار دمشق- ط٢ ١٩٨٩

٧٦. الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة – فايز صايغ

٧٧. الدولة المارقة – الدفع الأحادي في السياسة الخارجية الأمريكية – كلايد برستوفتز – تعريب فاضل جتكر- شركة الحوار الثقافي- ط١ ٢٠٠٣

٧٨. الدولة المارقة – حكم القوة في الشؤون الدولية ـ نعوم تشومسكي – ترجمة محمود على عيسى – دار الكتاب العربي – نينوى للدراسات والنشر – ط١ ٢٠٠٣

٧٩. الدولة المارقة ـ دليل إلى الدولة العظمى الوحيدة في العالم – ويليام بلوم – ترجمة كمال السيد- المجلس الاعلى للثقافة – ط١ ٢٠٠٢

٨٠. الدين في القرار الأمريكي ـ محمد السماك – دار النفائس- ط١ ٢٠٠٣

٨١. الدين والثقافة الأمريكية – جورج مارسدن – ترجمة صادق عودة- دار الفارس للنشر والتوزيع – ط١ ٢٠٠١

٨٢. الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية ـ مايكل كوربت وجوليا كوربت، ـ ترجمه د.عصام فايز، ود. ناهد وصفي – مكتبة الشروق الدولية – ط٢ ٢٠٠٢

٨٣. الدين والسياسة في الولايات المتحدة ج٢ – مايكل كوربت – جوليا كوربت – ترجمة د. زين نجاى، مهندس نشأت جعفر- مكتبة الشروق الدولية – ط٢ ٢٠٠٢

٨٤. الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل - الإمام أبو حامد الغزالى - دراسة وتحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوى- مكتبة الزهراء

٨٥. الرئيس كينيدي.. ملامح القوة ـ ريتشارد ريفز ـ

٨٦. السحر في التوراة والعهد القديم – شفيق مقار- رياض الريس للكتب والنشر – لندن – قبرص – ط١ ١٩٩٠

٨٧. السلام الخادع : من مؤتمر مدريد الى انتفاضة الاقصى ١٩٩١ - ٢٠٠٠ م/ تأليف محمد علي عمر الفرا- ط.١. - عمان : دار مجدلاوي، ٢٠٠١.

٨٨. الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية - دكتور رشاد الشامي - سلسلة عالم المعرفة – الكويت. يونيو ١٩٨٦

٨٩. الشخصية اليهودية في الأدب الإنجليزي ـ د. هاني الراهب- المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ١٩٧٩

٩٠. الصرح: ارتقاء وسقوط الإمبراطورية الأميركية: نايل فيرغسون - ط١ ٢٠٠٤- الناشر: ألن لين، بريطانيا

٩١. الصليب والهلال - محمد عارف زكاء الله- الناشر: ذي آذرز، كوالالمبور- ط١ ٢٠٠٤

٩٢. الصهيونية الأمريكية وسياسة أمريكيا الخارجية ١٩٤٢ـ ١٩٤٧ ـ ريتشارد ستيفن

٠- ترجمة جورج نجيب. بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،

٩٣. الصهيونية العالمية ـ جمال الدين الرماوى- مكتبة الوعي العربي

٩٤. الصهيونية المسيحية ـ محمد السماك – دار النفائس – ط٣ ٢٠٠٠

٩٥. الصهيونية المسيحية (١٨٩١-١٩٤٨) – بول مركلي- ترجمة: فاضل جتكر- ط ٢٠٠٣ سوريا – قدمس للنشر والتوزيع

٩٦. الصهيونية المسيحية في نصف الكرة الغربي – جورجي كنعان- بيسان للنشر و التوزيع، بيروت ط١، تموز ١٩٩٥.

٩٧. الصهيونية تحرف الأناجيل / سهيل التغلبى – مكتبة مجد – ط ١٩٩٩

٩٨. الصهيونية غير اليهودية : جذورها فى التاريخ الغربى/ تأليف ريجينا الشريف ؛ترجمة احمد عبالّله عبدالعزيز. المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، ١٩٨٥م. الدورية: عالم المعرفة ؛ ٩٦

٩٩. الصهيونية في الستينات،الفاتيكان واليهود للأستاذ محمود نعناعه- الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٩٤.

١٠٠. الصهيونية و إسرائيل وآسيا- ج. هـ. جانسن - مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٧٢م.

١٠١. الصهيونية والصراع الطبقي ـ د. صادق جلال العظم - دار العودة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٥

١٠٢. الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ – عبد الوهاب المسرى – دار الشروق – ط١ ١٩٩٧

١٠٣. الطريق إلى حرب الخليج (من موهافى إلى الكويت) ـ محمد مظفر الأدهمى- الاهلية للنشر والتوزيع- ط١ ١٩٩٧

١٠٤. العالمية الإسلامية الثانية (جدلية الغيب والانسان والطبيعة) ـ محمد أبو القاسم حاج حمد – دار الميسرة .

١٠٥. العبرانيون في تاريخ المشرق العربي القديم - تأليف : د. بشار خليف - دار الرائي للدراسات والترجمة - دمشق ٢٠٠٤ .

١٠٦. العدوان الإسرائيلي القديم ، والعدوان الإسرائيلي الحديث على فلسطين ـ محمد عزة دروزة - دار الكلمة للنشر، ١٩٧٩،

١٠٧. العراق أولاً – حرب إسرائيل الخاطفة على نفط الشرق الأوسط (عملية شيخينا) – جوفيالز ـ ترجمة مروان سعد الدين- الاوائل للنشر والتوزيع/ دمشق- ط١ ٢٠٠٣

١٠٨. العراق تحت الحصار: الأثر المميت للعقوبات والحرب - تأليف ـ أنتوني آرنوف – ط١ ٢٠٠٠- الناشر: بلوتو برس- لندن

١٠٩. العراق.. تقرير من الداخل ـ ديليب هيرو - كامبردج بوك ريفيوز -الطبعة: الأولى ٢٠٠٣ - الناشر: London, Granta Books

١١٠. العراق.. تقرير من الداخل ـ ديليب هيرو -الناشر: ناشن بوكس، نيويورك- ط١ ٢٠٠٤

١١١. العرب الساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل ـ د. احمد داوود – طباعة دار المستقبل /دمشق- ط١ ١٩٩١

١١٢. العرب النصارى (عرض تاريخي) – حسين العودات - الاهالى للطباعة والنشر والتوزيع – ط١ ١٩٩٢

١١٣. العرب واليهود في التاريخ : حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية / بقلم د. أحمد سوسة - (سلسلة الكتب الحرية ؛ ١٤) - بغداد : وزارة الاعلام، مديرية الثقافة العامة،١٩٧٢

١١٤. العقد الاجتماعي، أو، مبادئ الحقوق السياسية/ تأليف جان جاك روسو ؛ ترجمة عادل زعيتر. - ط.٢. - بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٥.

١١٥. العقل الأمريكي يفكر – من الحرية الفردية إلى مسخ الكائنات – شوقي جلال- مكتبة مدبولي- ط١ ١٩٩٧

١١٦. العلاقات العربية الأمريكية والضغط الصهيوني ـ اندرو كارفلى ـ ترجمة أسعد حليم - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠

١١٧. العنصرية الصهيونية اليهودية والبعد الايديولوجى الديني ـ على حسن طه- دار الهادي /بيروت- ط١ ٢٠٠٢

١١٨. الغارة على العالم الاسلامي- المبشر شاتيلا – ترجمة محب الدين الخطيب - دار الفتح، القاهرة

١١٩. الغزو الفكري وأثره في المجتمع الاسلامى المعاصر ـ على عبد الحليم - دار المنار- القاهرة ١٩٨٩

١٢٠. الفردوس والقوة..أميركا وأوروبا في النظام العالمي الجديد ـ روبرت كيغان - الناشر: اتلانتيك بوكس، لندن، ٢٠٠٣

١٢١. الفيروس الأميركي.. فضح الإمبرطورية الأميركية- تحرير: جون بيلامي فوستر وروبرت دبليو ماكشنسي-–ط١ ٢٠٠٤-الناشر: بلوتو برس، لندن

١٢٢. القاعدة.. الإخوة الإرهابيون -المؤلف: بول. إل. ويليامس - ط١ ٢٠٠٢- الناشر: ألفا بوكس، بيرسون أديوكيشينال

١٢٣. القدس في التاريخ- فرانكين المستشرق الهولندي تحرير وترجمة كامل جميل العسلي .- عمان (الأردن) الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م .

١٢٤. القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، عام ١٩٧٣

١٢٥. القيم الأمريكية تتعرض للخطر ـ تأليف: جيمي كارتر - الناشر: سايمون وشوستر – ط١ ٢٠٠٥

١٢٦. الكامل في التاريخ – ابن الأثير ـ حوادث سنة ٦١٧ وما بعدها ج٩ص٣٢٩ـ٣٨٧- - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع

١٢٧. الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني – الأب مايكل برير – ترجمة احمد الجمل و زياد منى – دار قدمس للنشر والتوزيع – ط٣ ٢٠٠٤

١٢٨. الكل أميركيون ؟.. العالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ـ جون ماري كولمباني - ط١ ٢٠٠٢-الناشر: فايار - باريس

١٢٩. الكنز المرصوص في فضائح التلموذ – د. محمد عبد الله الشرقاوي - مكتبة الوعي الاسلامي

١٣٠. الماسونية في العراء ـ محمد على الزعبي - دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ١٩٨٠

١٣١. الماسونية في المنطقة ٢٤٥ ـ أبو إسلام أحمد عبد الله - القاهرة، دار الزهراء للإعلام العربي، ط ١– ١٩٨٦م

١٣٢. الماسونية وموقف الإسلام منها – د. احمد الرحيلي- دار العاصمة للنشر والتوزيع- النشرة الاولى ١٤١٥هـ

١٣٣. المجتمع الأميركي بعد ١١ سبتمبر ـ المؤلف: صوفي بودي جندرو - ط١ ٢٠٠٢ -الناشر: مطبوعات [المؤسسة الوطنية للعلوم السياسية]

١٣٤. المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية – الجزء الاول حتى ١٨٧٧– د. محمد النيرب – دار الثقافة الجديدة – ط١ ١٩٩٧

١٣٥. المدنس والمقدس.. أميركا وراية الإرهاب الدولي- السيد محمد حسين فضل الله – ط١ ٢٠٠٣ - رياض الريس للكتب والنشر، بيروت

١٣٦. المسلمون في امريكا – المحرر ايفون يزبك حداد – مركز الاهرام للترجمة والنشر- ط١ ١٩٩٤

١٣٧. المسيح القادم .. مسيح يهودي سفاح – جورجي كنعان – ط ١/ ٢٠٠٤- دار الطليعة - بيروت

١٣٨. المسيح المسلم - د. طريف الخالدي- الطبعة الأولى- ٢٠٠١م الناشر: مطبعة جامعة هارفارد

١٣٩. المسيح اليهودي – رضا هلال – مكتبة الشروق الدولية

١٤٠. المسيحية في الاسلام – القمص ابراهيم لوقا – THE GOOD WAY. RIKON SWITZERLAND- طبعه رابعه منقحه

١٤١. المسيحية والاسلام على ارض مصر – د. وليم سليمان قلادة – دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر – ط١ ١٩٨٦ .

١٤٢. المسيحية والإسلام والاستشراف ـ محمد فاروق الزين – ط ٣/ ٢٠٠٢ – دار الفكر المعاصر / بيروت

١٤٣. المسيحية والتوراة، بحث في الجذور الدينية للصراع في الشرق الأوسط،– شفيق مقار- رياض الريس للكتب والنشر، لندن، إنجلترا، ط١، ١٩٩٢.

١٤٤. المسيحية والحضارة العربية – الاب الدكتور جورج شحاته قنواتي– المؤسسة العربية للدراسات والنشر – الطبعة الثانية ١٩٨٤

١٤٥. المسيخ الدجال (قراءة سياسية في اصول الديانات الكبرى ـ سعيد أيوب- دار الاعتصام- ط١ ١٩٨٩

١٤٦. المعتقدات الكنعانية – د. خزعل الماجدي- دار الشروق للنشر والتوزيع – ط١- ٢٠٠١

١٤٧. المفردات في غريب القرآن. الراغب الأصفهاني: ت : محمد سيد كيلاني. دار المعرفة ـ بيروت

١٤٨. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لـ د. جواد على - دار الساقي- الطبعة : الطبعة الرابعة 2001 /م

١٤٩. المفهوم المادي للمسألة اليهودية- ابراهام ليون - دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٠م ،

١٥٠. المنظمات الصهيونية المسيحية – احمد تهامي سلطان – ط١ - مكتبة التراث الإسلامي

١٥١. الموجز في تاريخ فلسطين - الياس شوفاني - مؤسسة الدراسات الفلسطينية-١٩٩٨.

١٥٢. الموسوعة الصهيونية – د. عبد الوهاب المسيري – ط١ – دار الشروق

١٥٣. المؤامرة الكبرى – مخطط تقسيم الوطن العربي من بعد العراق ؟ محمد ابراهيم بسيوني- دار الكتاب العربي – ط١ ٢٠٠٤

١٥٤. المـؤامرة الكبـرى ، اغتيـال فلسـطين ـ أميـل الغـورى ـ ص ١٥٠ - دار النيـل للطباعة ، القاهرة – ط.١ ١٩٥٥م..

١٥٥. المؤثرات الدينية في توجيه السياسة الغربية المعاصرة – محمود سلطان .

١٥٦. الناصرية (دراسة في فكر جمال عبد الناصر) ـ تـأليف عبـد الله إمـام – تقـديم ضياء الدين داود- مطبوعات دار الشعب ١٩٧١

١٥٧. النبوءة والسياسة (الانجيليون العسكريون في الطريق الـى الحـرب النوويـة) – جريس هالسيل – ترجمة محمد السماك- دار الشروق – ط٤ ١٩٩٨ .

١٥٨. النبوءة والسياسة (الانجيليون العسكريون في الطريق الـى الحـرب النوويـة) – جريس هالسيل – ترجمة محمد السماك- دار الشروق – ط٤ ١٩٩٨

١٥٩. النشـاط السـري اليهـودي فـي الفكـر والممارسـة – غـازي محمـد فـرج – دار النفائس- ط١ ١٩٩٠

١٦٠. النشاط الصهيوني في الشـرق العربـي وصـداه (١٩٨٠ ـ ١٩١٨م)- د. خيريـة قاسمية -م.ت. ف، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٨٧٣م

١٦١. النظرية الاجتماعية لمعاصرة ـ دراسة لعلاقة الإنسان بالمجتمع ـ د. على ليلـه – دار المعارف – ط١ ١٩٨١

١٦٢. الهرطقـة فـي الغـرب ـ د. رمسـيس عـوض –سـينا للنشـر /القـاهرة- الانتشـار العربي /بيروت- ط١ ١٩٩٧

١٦٣. الهيمنة أم البقاء.. السعي الأميركي للسيطرة على العالم- نعوم تشومسكي -ترجمة سامي الكعكي-دار الكتاب العربي ٢٠٠٤.

١٦٤. الوجه الآخر .. العلاقات السرية بين النازية والصهيونية ـ محمود عباس-ط١٩٨٤- دار ابن رشد عمان.

١٦٥. الوسيط الخادع.. دور الولايات المتحدة في إسرائيل وفلسطين- نصير عاروري – ط١ ٢٠٠٣

١٦٦. الولايات المتحدة من الخيمة إلى الإمبراطورية – إعداد ديب على حسن – مراجعة وتدقيق اسماعيل الكردي- الناشر : الأوائل للنشر والتوزيع – ط١ ٢٠٠٢

١٦٧. الولايات المتحدة والدول العربية ـ ا. ا. اوسيبوف ـ ترجمة محمود شفيق الشعبان.

١٦٨. الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية ـ د. محمد شديد ـ ترجمة كوكب الريس - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١

١٦٩. الولايات المتحدة وإسرائيل ـ برنارد ريتش ـ ترجمة مصطفى كمال - الطبعة الأولى، مؤسسة البيان، دبي

١٧٠. اليد الخفية (دراسات في الحركات اليهودية الهدامة والسرية) – د. عبد الوهاب المسيرى – ط دار الشروق ١٩٩٨م

١٧١. اليهودي العالمي (المشكلة الاولى التي تواجه الاعالم)ـ هنري فورد ـ تعريب / خيري حماد- دار الافاق الجديدة، ١٩٨٦

١٧٢. امبراطورية الحرية – انطونيو بلتران هرنانديز- ترجمة احمد توفيق حيدر- دار الفارابي/ بيروت – ط١ ٢٠٠٤

١٧٣. امبراطورية الشرالجديدة - عبد الحي زلوم – المؤسسة العربية للتوزيع والنشر- ط١ ٢٠٠٣

١٧٤. امبراطورية الفوضى: الجمهوريات في مواجهة السيطرة الأمريكية فيما بعد الحرب الباردة -ألان جوكس- الطبعة: الأولى ٢٠٠٢ - الناشر: لا ديكوفارت – باريس

١٧٥. امريكا التوتاليتارية : الولايات المتحدة والعالم: إلى أين؟- تأليف ميشال بوغنون مرردان - ترجمة خليل احمد خليل- ط.١. - بيروت، لبنان : دار الساقي، ٢٠٠٢.

١٧٦. امريكا و أزمة ضمير – محمد جلال عناية- ط١ ٢٠٠٢

١٧٧. امريكا واسرائيل علاقة حميمه (التورط الامريكي مع اسرائيل منذ العام ١٩٤٧ حتى الآن)- جورج و. بول ، دوغلاس ب. بول – ترجمة د. محمد زكريا اسماعيل – دار بيسان للنشر والتوزيع – ط١ ١٩٩٤

١٧٨. امريكا والعالم – د. حسين فوزي النجار – مكتبة مدبولي ١٩٨٦

١٧٩. امريكيا طليعة الانحطاط - روجيه جارودى – تقديم كامل زهيري- تعريب عمرو زهيري – دار الشروق- ط٣ ٢٠٠٢

١٨٠. امريكيا والفرصة التاريخية – ريتشارد نيكسون – ترجمة د. محمد زكريا إسماعيل - دمشق،سورية: دار حسان، ١٩٨٣

١٨١. اميركا على مفترق الطرق- فرانسيس فوكوياما - الناشر: يال ينيفرسيتي برس/نيويورك- ٢٠٠٦

١٨٢. انجلز.. مقدمة قصيرة جداً- تيريل كارفر- ط١ ٢٠٠٣- الناشر اكسفورد

١٨٣. اندماج : دراسة فى العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة الامريكية و اسرائيل – د. يوسف الحسن.. القاهرة : دار المستقبل العربى، ١٩٨٦.

١٨٤. انقلاب في السياسة الأمريكية – إعادة ترتيب الشرق الأوسط لصالح إسرائيل– عاطف الغمري- المكتب المصري الحديث- ط١ ٢٠٠٤

١٨٥. اني أتهم ـ روجيه ديلورم ـ ترجمة نخله كلاس- دار الجرمق، ١٩٨٥.

١٨٦. اين الخطأ؟.. التأثير الغربي واستجابة المسلمين- برنارد لويس- ترجمة: محمد عناني-تقديم ودراسة: رؤوف عباس– القاهرة: دار سطور، ٢٠٠٣

١٨٧. إسرائيل .. البداية والنهاية – د. مصطفى محمود - كتاب اليوم / اخبار اليوم – الطبعة السادسة

١٨٨. إسرائيل الكبرى ، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني ـ د. أسعد رزوق - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣

١٨٩. تاريخ البشرية ـ أرنولد توينبي ـ ت: نقولا زيادة ـ دار الأهلية بيروت ـ ١٩٨٢

١٩٠. أزمة الفكر الصهيوني – د . محمد ربيع – المؤسسة العربية للدراسة والنشر

١٩١. أسس الدعوة وآداب الدعاة - د. محمد الوكيل- دار الوفاء للطباعة والنشر

١٩٢. بابل والكتاب المقدس – جان بوتيرو - ت: روز مخلوف – دار كنعان- دمشق ٢٠٠٠.

١٩٣. باسم أسامة بن لادن : رولان جاكار – ط١ ٢٠٠١ - الناشر : Paris, Jean Picollec éditeur

١٩٤. بعد الإمبراطورية: محاولة حول تفكك النظام الأمريكي ـ المؤلف: إمانيول طود – ط١ ٢٠٠٢-الناشر: غاليمار – باريس

١٩٥. بل هي حرب على الإسلام - الدكتور محمد عباس – مكتبة مدبولي - ٢٠٠٢

١٩٦. بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب – محمود شكري الألوسي المحقق : محمد بهجة الأثري الناشر : دار الكتب العلمية

١٩٧. بنيامين نتنياهو – ارهابي تحت الاضواء – مكتبة مدبولي – ط١ ١٩٩٦

١٩٨. بوتوكلات حكماء صهيون ـ ترجمة محمد خليفة التونسي – تقديم الاستاذ / عباس العقاد- دار الكتاب العربي

١٩٩. بوش في الحرب ـ بوب وودوارد - الناشر (سايمون وشوستر)- أكتوبر ٢٠٠٦

٢٠٠. بوش في بابل (إعادة استعمار العراق) – طارق على- ترجمة د. فاطمة نصر – دار سطور- ط١ ٢٠٠٤

٢٠١. بين أخلاقيات العرب وذهنيات الغرب- إبراهيم القادري بوتشيش - رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة-الطبعة: الأولى/٢٠٠٥

٢٠٢. بين حضارة القوة وقوة الحضارة - تـأليف الـدكتور غيـات بوفلجـة- دار الغـرب للنشر والتوزيع، وهران-الجزائر - الطبعة: الأولى ٢٠٠٤

٢٠٣. تاجر البندقية – وليم شكسبير- ترجمة غـازي جمـال- دار القلـم بيـروت – ط١ ١٩٧٨

٢٠٤. تـاريخ الإرهــاب الأمريكــي (الكــوكلاكس كــلان) - ر.ف. إيفــانوف ـ أي. ف. ليسينفسكي- ترجمةغسان رسلان.- اللاذقية: دار الحوار، ١٩٨٣

٢٠٥. تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١- د. محمود سعيد عمران- دار النهضـة العربية للطباعة والنشر /بيروت- ط٢ ١٩٩٩

٢٠٦. تاريخ الحضارة الغربية ـ كلود دلماس ـ ترجمة توفيق وهبه - عويدات، ١٩٨٢

٢٠٧. تاريخ الحملة الى القـدس- فوشـيه الشـارتري - ترجمـة د. زيـاد العسـلي – دار الشروق – ط١ ١٩٩٠

٢٠٨. تاريخ الحياة الثقافية في أميركا يرويه لـويس بيـري ـ ترجمـة أحمـد العنـاني ـ مركز الكتاب الاردني- ١٩٩٠

٢٠٩. تـاريخ الصـهيونية- صـبري جـريس - الجـزء الاول - م.ت.ف ، مركـز الابحـاث ، بيروت ١٩٨١م.

٢١٠. تاريخ العرب- فيليب حتي، د. ادوارد جرجـي - د. جبرائيـل جبـور -دار الكشـاف للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٦١م.

٢١١. تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام – د. اسرائيل ولفنستون – مكتبة النافذة – الطبعة الاولى ٢٠٠٦

٢١٢. تاريخ اوروبا في العصور الوسطى – د. سعيد عبد الفتاح عاشور- دار النهضة العربية - بيروت

٢١٣. تاريخ بوش السري الاسود ورجال البيت الابيض- انيس الدغيدي- دار الكتاب العربي- ط١ ٢٠٠٤

٢١٤. ترهات إمبريالية-المؤلف: مجهول -عرض/ كامبردج بوك ريفيوز- ط١ ٢٠٠٤-الناشر: واشنطن: بريسيز إنك

٢١٥. تيودور هرتزل عراب الحركة الصهيونية ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية

٢١٦. جذور البلاء ـ عبد الله التل- المكتب الاسلامى، ١٩٧٨.

٢١٧. جريمة أمريكيا في الخليج ـ الأسرار الكاملة ـ محمود بكرى ـ ط١ ١٩٩٨ – الناشر محمد بكري

٢١٨. جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج - الشيخ محمد الغزالى – نهضة مصر ١٩٩٦

٢١٩. جورج سوروس .. و العولمة/ تأليف جورج سوروس ؛ تعريب هشام الدجاني. - ط.١. - الرياض، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٣.

٢٢٠. العصور القديمة ـ جيمس هنري بريستد ـ ت: داوود قربان ـ مؤسسة عز الدين ـ بيروت ١٩٨٣

٢٢١. حرب الخليج (الملف السري) بيار سالنجر، اريك لوران - دار اذار للتوزيع والنشر/بيروت- ط١ ١٩٩١

٢٢٢. حرب الخليج أوهام القوة والنصر -محمد حسنين هيكل- مركز الاهرام، ١٩٩٢

٢٢٣. حرب آل بوش (أسرار النزاع التي لا يمكن الأعتراف بها) - تأليف/ أريك لوران، ترجمة: سلمان حرفوش - ط.١. - بيروت، لبنان : دار الخيال، ٢٠٠٣.

٢٢٤. حضارة العالم الجديد من عصر الاستكشاف الى عصر الذرة- ارل شينك - ترجمة فؤاد جميل- مطبعة شفيق / بغداد - ط١ ١٩٥٨

٢٢٥. حضارة العرب - غوستاف لوبون- عادل زعيتر - د. ن، ١٩٦٩

٢٢٦. حق التضحية بالآخر (امريكا والابادات الجماعية - تأليف منير العكش- رياض الريس للكتب والنشر- ط١ ٢٠٠٢

٢٢٧. حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر - احمد عبد الوهاب- ط١. مكتبة وهبة، ١٤٠١هـ.

٢٢٨. حكايات الهنود الأمريكيين (الحمر) أساطيرهم: حيل البقاء والمقاومة - فلاديمير هلباتش ترجمة: موسى الحالول - ومراجعة د.زبيدة أشكناني - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٢

٢٢٩. حكمة الغرب (عرض تاريخي للفلسفة لبغربية في اطارها الاجتماعي والسياسي – برتراند راسل - فؤاد زكريا- المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، كناب رقم ٦٢ - ١٩٨٣

٢٣٠. حوار الاسلام والغرب- د. عبد الله أبو عزة - دار المأمون للنشر والتوزيع في عمان. – ط١ ٢٠٠٥

٢٣١. حياة السيد المسيح – خير الله طلفاح – دار الحرية للطباعة/ بغداد

٢٣٢. حياة لوثر زعيم الإصلاح ـ ا. موريس – ترجمة القس باقي صدقه- دار الثقافة المسيحية/ القاهرة – ط٢

٢٣٣. خروج العرب من التاريخ- د. فوزي منصور- ترجمة ظريف عبد الله و كمال السيد- مكتبة مدبولي – ط١ ١٩٩٣

٢٣٤. خطة غزو العراق (عشرة أسباب لمناهضة الحرب على العراق) - ميلان راي ترجمة: حسن الحسن- بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣م

٢٣٥. خطورة أمريكا – ملفات حربها المفتوحة في العراق ـ نويل مامير ، باتريك فاربيار – ترجمة ميشال كرم- دار الفارابي – ط١ ٢٠٠٤

٢٣٦. خلفيات الحصار الأمريكي البريطاني للعراق ـ د. صالح زهر الدين – المركز العربي للابحاث والثوثيق- ط١ ١٩٩٩

٢٣٧. خيارات صعبة ـ مذكرات سايروس فانس- المركز العربى للمعلومات، ١٩٨٤ .

٢٣٨. دراسات في تاريخ العرب المعاصر – د. محمد على القوزي - دار النهضة العربية للطباعه والنشر – ط ١ ١٩٩٩

٢٣٩. دفاع عن الإنسان (دراسة نظرية و تطبيقية في النماذج المركبة) ـ د. عبد الوهاب المسيري - دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٣.

٢٤٠. دول محور الشر الإرهابية – أمريكا.. بريطانيا .. إسرائيل ـ محمد عبد الحميد الكفري – دار قتيبة للطباعة والنشر- ط١ ٣ ٢٠٠٣

٢٤١. ذهنية الإرهاب..لماذا يقاتلون بموتهم؟- جان بودريار وآخرون ترجمة: بسام حجار-الناشر: الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي

٢٤٢. رب الزمان – سيد محمود القمني – مكتبة مدبولى الصغير – ط١ ١٩٩٦.

٢٤٣. رجال بيض أغبياء ـ المؤلف ـ مايكل مور - الدار العربية للعلوم

٢٤٤. رد على التوراة – نذرة اليازجي –دار طلاس- ط٣ ١٩٩٠

٢٤٥. رسائل حضارية في مواجهة اليهوديةـ الأب فوتيوس خليل – العربي للنشر والطباعة والتوزيع – ط٢

٢٤٦. رقعة الشطرنج العظمى : التفوق الاميركي - زبيغنييف بريجنسكي - ترجمة سليم ابراهام. -دار علاء الدين سوريا- ط١ ١ ٢٠٠١

٢٤٧. رؤية اسرائيلية للحروب الصليبية : د. قاسم عبده قاسم - دار الموقف العربي، ١٩٨٣،

٢٤٨. رؤيـة دينيـة للدولـة الإسـرائيلية – محمـد حسـن مـي - دار الفرقـان/ عمـان - ١٩٨٥

٢٤٩. رؤية لتغيير امريكا (بالاهتمام بالنـاس اولا) – بـل كلينتـون – آل جـور –مركـز الاهرام للترجمة والنشر – الطبعة الاولى ١٩٩٢

٢٥٠. ريغـان الرجـل والـرئيس ـ تـأليف مجموعـة مـن الصـحفيين الأمـريكيين- مـن سميث، هيدريك- الدار العربية للموسوعات- ط١ ١٩٨٢

٢٥١. زعماء ودماء – ياسر حسين- التحدي للنشر والاعلام - ط١ ١٩٩٧

٢٥٢. زلزال في أرض الشقاق : العراق ١٩١٥ – ٢٠١٥- كمـال ديـب ؛ تقـديم جـورج قرم. - ط.١ - بيروت، لبنان : دار الفارابي، ٢٠٠٣.

٢٥٣. ساعتان هزتا العالم : ١١ أيلـول */ تـأليف فريـد هاليـداي ؛ ترجمـة عبـد الالـه النعيمي. - ط.١. - بيروت، دار الساقي، ٢٠٠٢. –

٢٥٤. سفر الموت.. من أفغانستان إلى العراق (وثائق الخارجيـة الأميركيـة)- محمـود المراغي-ط١ ٢٠٠٣ - دار الشروق، القاهرة

٢٥٥. سلسلة مقارنة الاديـان (المسـيحية)ــ د. أحمـد شـلبي- القـاهرة،مصـر: مكتبـة النهضة المصرية، ١٩٧٩

٢٥٦. سلسلة مقارنة الاديان (اليهودية) – د. احمـد شـلبي - القـاهرة،مصـر: مكتبـة النهضة المصرية، ١٩٧٩

٢٥٧. سلسلة نظرات في إشكاليات التوراة - الكتاب الثاني -أفكار وأسرارفي الأسفار - د. عيسى بن ضيف الله حداد - التسجيل وزارة الإعلام- دمشق - ٢٠٠٥

٢٥٨. شهود يهوه - بين برج المراقبة الأمريكي وقاعة التلموذ اليهودي - حسين عمر حماده - دار قتيبه ١٩٩٠

٢٥٩. صدام الحضارات – صامويل هنتنجتون –ترجمة طلعت الشايب ـ تقديم د. صلاح قنصوه – الناشر : سطور- ١٩٩٨

٢٦٠. صراع اليهودية مع القومية الصهيونية – د. عبد الله عبد الدائم- دار الطليعة، ٢٠٠٠

٢٦١. صلاة الجواسيس – عادل حمودة- الفرسان للنشر – ط١١ ٢٠٠٣

٢٦٢. صناعة الإرهاب ـ د. عبد الغني عماد – دار النفائس – ط١ ٢٠٠٣

٢٦٣. صهيونية الخزر وصراع الحضارات – وليد محمد على – دار التضامن / بيروت – ط١ ١٩٩٩

٢٦٤. ضد كل الأعداء.. رؤية من داخل الحرب الأميركية ضد الإرهاب ريتشارد كلارك - ط١ ٢٠٠٤-الناشر: فري برس، الولايات المتحدة

٢٦٥. عاصفة الصحراء – أسرار البيت الأبيض – الجزء الثاني من الملف السري لحرب الخليج – اريك لوران- ترجمة محمد مستجير – ط١

٢٦٦. عالم بوش السري : الديانة و المعتقدات الأعمال و الشبكات الخفية - اريك لوران - ترجمة سوزان قازان. - ط.١. - بيروت، لبنان : دار الخيال، ٢٠٠٣.

٢٦٧. عقد من القرارات، السياسة الأميركية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي- وليم كوانت - ترجمة عبد الكريم ناصيف مكتب الخدمات الطباعية دمشق (١٩٨٤

٢٦٨. عقيدة جورج دبليو بوش ـ ستيفن مانسفيلد -عرض/ علاء بيومي –ط١ ٢٠٠٤-الناشر: جا. بي. تارشر، أميركا

٢٦٩. على أعتاب الألفية الثالثة ـ الجذور المذهبية لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل ـ حمدان حمدان- بيسان للنشر والتوزيع- ط١ ٢٠٠٠

٢٧٠. عودة المسيح المنتظر لحرب العراق بين النبوءة والسياسة ـ احمد حجازي السقا – دار الكتاب العربي / دمشق – القاهرة – ط٢ ٢٠٠٣

٢٧١. غسل الدماغ - الدكتور فخرى محمد صالح الدباغ- دار الطليعة.

٢٧٢. فتح أمريكا (مسألة الآخر) –تزفيتان تودوروف – ترجمة بشير السباعي- تقديم فريال جبوري غزول- الناشر : دار العالم الثالث- ط٢ ٢٠٠٣

٢٧٣. فتوح البلدان- : أبي الحسن أحمد بن جابر البلاذري - دار الكتب العلمية

٢٧٤. َفرْطُ الإرهاب: الحرب الجديدة تأليف/ فرانسوا هايزبور ومؤسسة البحث الإستراتيجي- ط١ ٢٠٠١ وديل جاكوب-باريس

٢٧٥. فرنسا ضد الإمبراطورية ـ باسكال بونيفاس ـ- ط١ ٢٠٠٣- الناشر: روبير لافون – باريس

٢٧٦. فقاعة التفوق الأميركي ـ جورج سورس - عرض/ كامبردج بوك ريفيوز- ط١ ٢٠٠٤- الناشر: ويدندفيلد ونيكولسن، لندن

٢٧٧. فقه السنة ـ السيد سابق - دار الكاتب العربي ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٩ م

٢٧٨. فلسطين ، القضية ـ الشعب ـ الحضارة (التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن)ـ بيان نويهض الحوت - دار الاستقلال،- ط١ ١٩٩١

٢٧٩. فلسطين ارض الرسالات السماوية – روجيه جارودي – ترجمة قصي اتاسي- ميشيل واكيم – دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر – طبعة ١٩٩١

٢٨٠. فلسطين الفكر والكلمة - د. محمود السمرة - الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ م.

٢٨١. فلسطين في ضوء الحق والعدل ـ هنري كتن ـ ترجمة وديع فلسطين- معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٠

٢٨٢. فلسطين من الاسكندر إلى الفتح العربي الاسلامي- د.نقولا زيادة-الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني بيروت،١٩٩٠.

٢٨٣. فلسطين من أقدم العصور الى القرن الرابع قبل الميلاد.- د. معاوية ابراهيم. -الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، بيروت ،١٩٩٠.

٢٨٤. في الخطاب والمصطلح الصهيوني (دراسة نظرية وتطبيقية) – د. عبد الوهاب المسيري – دار الشروق- ط١ ٢٠٠٣

٢٨٥. في انتظار البرابرة – ج.م. كوتزي – ترجمة ابتسام عبد الله – المركز الثقافي العربي / الدار البيضاء- ط٢ ٢٠٠٤

٢٨٦. فـي ظـل الصـليب والهـلال: اليهـود فـي العصـور الوسـطى- مـارك كـوهين- مراجعـة بيآتـه هنريشـس - ترجمـة عبـد اللطيـف شـعيب - دار نشـر بيـك، ميـونيخ مارس/آذار ٢٠٠٥ - حقوق الطبع قنطرة ٢٠٠٥

٢٨٧. قبل الرحيل (روايه)- محمد جاد الحق- اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٧

٢٨٨. قبل أن يهدم الأقصى – عبد العزيز مصطفى- دار التوزيع والنشـر الاسـلامية، ١٩٩٠

٢٨٩. قراءة سياسة للتوراة ـ شـفيق مقـار – ريـاض الـريس للكتـب والنشـر – لنـدن- قبرص- ط١ ١٩٩١

٢٩٠. قرآن وسـيف (مـن الأفغـان.. إلـى بـن لادن) (مـن ملفـات الإسـلام السياسـي) - رفعت سيد أحمد - مكتبة مدبولي.

٢٩١. قرن أمريكي آخر – نيكولاس غايات – ترجمة رياض حسن- دار الفـارابي- ط١ ٢٠٠٣

٢٩٢. قصة الحضارة ـ ول ديورانت - زكي نجيب محمود، ، محيى الدين صـابر،مقدم دار الجيل، ١٩٨٨

٢٩٣. قصة الديانات ـ سليمان مظهر- الوطن العربى، ١٩٨٤

٢٩٤. كيف نصنع المستقبل / روجيه جارودي ـ ترجمة وتقـديم د. منـى طلبـه – د. انور مغيث- دار الشروق- ط٣ ٢٠٠٢

٢٩٥. لا سكوت بعد ـ اليوم ـ بول فندلى- شركة المطبوعات للتوزيع والنشر- ط٢ ٢٠٠١

٢٩٦. لاهوت التحرير ـ غسان دمشقية - ط. ١. - دمشق، سوريا : الأهالي للطباعة و النشر ١٩٩٠.

٢٩٧. لسان العرب – ابن منظور- دار ومكتبة الهلال

٢٩٨. لماذا ننشد الأفضل ـ جيمى كارتر

٢٩٩. لماذا يكره الناس أميركا؟ تأليف- ضياء الدين سردار وميريل واين ديفز- ط١ ٢٠٠٢-الناشر: آيكون بوكس

٣٠٠. لهذا كله ستنقرض امريكا – الحكومة العالمية الخفية – تأليف الغ بلاتونوف – ترجمة نائله موسى- ايرينا بونتشينسكايا – دار الحصاد للطباعة والنشر والتوزيع / دمشق- ط١ ٢٠٠٢

٣٠١. لوك .. مقدمة قصيرة جداً- تأليف/ جون دون

٣٠٢. ما الحروب الصليبية – جوناثان ريلي سميث- ترجمة د. محمد الشاعر- دار الامين للنشر والتوزيع- ط١ ١٩٩٩

٣٠٣. ما بعد اسرائيل – بداية التوراة ونهاية الصهيونية – احمد المسلماني- ط١ ٢٠٠٣- دار ميريت، القاهرة

٣٠٤. ما بعد اسرائيل – بداية التوراة ونهاية الصهيونية – احمد المسلماني- ميريت للنشر القاهرة- ط١ ٢٠٠٣

٣٠٥. ما بعد الامبراطورية : دراسة في تفكك النظام الاميركي/ تأليف ايمانويل تود ؛ ترجمة محمد زكريا إسماعيل. - ط.١. - بيروت، لبنان : دار الساقي، ٢٠٠٣.

٣٠٦. ما وراء ١١ سبتمبر (مختارات معارضة) – تحرير فل سكراتون – تعريب د. ابراهيم يحيى الشهابي – راجعه وفيق زيتون- الحوار الثقافي – ط١ ٢٠٠٤

٣٠٧. ماهية الحروب الصليبية-د-قاسم عبده قاسم –كتاب عالم المعرفة الكويت

٣٠٨. مائة سؤال عن الإسلام ـ الشيخ محمد الغزالي - دار ثابت. القاهرة. ط الخامسة

٣٠٩. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي و الخلافة الراشدة – جمعها و حققها حميد الله الحيدرابادي – طبعة القاهرة ١٩٥٦

٣١٠. محاكمة هنري كيسنجر.- كريستوفر هيتشنز-.ط ١ ٢٠٠١ - الناشر: فيرسو، لندن- بريطانيا

٣١١. مختارات من الفكر الأمريكي/ تحرير دايان رافيتش ...[وآخرون] ؛ ترجمة نمير مظفر - ط.١. - الأردن : دار الفارس، ١٩٩٨.

٣١٢. مذكرات حول واقعة الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)ـ د. عماد الدين خليل- دار الفكر بدمشق- ط١ ٢٠٠٣

٣١٣. مسألة الهوية (العروبة والاسلام.والغرب)- د. محمد عابد الجابري مركز دراسات الوحدة العربية/١٩٩٧ م

٣١٤. مسيحية بلا مسيح – د. كامل سعفان – دار الفضيلة

٣١٥. معجم بلدان فلسطين ـ محمد شراب – دار المأمون للتراث/ دمشق – ط١ ١٩٨٧

٣١٦. معركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منقذ إسرائيل – باسل حسين – دار الأمين – ط١ / ١٩٩٣

٣١٧. معركة هرمجيدون وتأسيس مملكة الرب في التوراة والإنجيل والقرآن – كارلوتا جيزن ـ مكتبة دار الكتاب العربي بالقاهرة ودمشق سنة ٢٠٠٢

٣١٨. معنا أم ضدنا: دراسات في ظاهرة معاداة أميركا عالميا- المحرران: توني جدت ودنيس لاكورن- الناشر: بالغريف ماكميلان، نيويورك - الطبعة: الأولى/ ٢٠٠٥

٣١٩. مفارقة القوة الأمريكية : لماذا لا تستطيع القوة العظمى.../ تأليف جوزيف س. ناي ؛ تعريب محمد توفيق البجيرمي. - ط.١. - الرياض، السعودية : مكتبة العبيكان، ٢٠٠٣.

٣٢٠. مقارنة الأديان والاستشراف ـ د. أحمد شلبي ـ مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية .

٣٢١. مكان تحت الشمس – بنيامين نتنياهو – ترجمة محمد الدويري مراجعة كلثوم السعدي- دار الجليل للنشر – ط٢ ١٩٩٦

٣٢٢. من الثروة إلى القوة – الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي – فريد زكريا – ترجمة رضا خليفة – مركز الاهرام للترجمة والنشر ط١ ١٩٩٩

٣٢٣. من أوراق واشنطن ـ د. يوسف الحسن. دار المستقبل العربى،ط١ ١٩٨٦

٣٢٤. من نحن؟ تحديات الهوية الوطنية الأميركية: صموئيل هنتنغتون - ط١ ٢٠٠٤- الناشر: سيمون آند سيشتر – الولايات المتحدة

٣٢٥. من نيويورك الى كابول ـ محمد حسنين هيكل – المصرية للنشر العربي والدولي- ط.٢ ٢٠٠٢

٣٢٦. من هو اليهودي – اسحق دويتشر - ترجمة نجاة قصاب حسن- دار العروبة – سورية ١٩٦٧.

٣٢٧. من يجرؤ على الكلام (اللوبى الصهيونى وسياسات اميركا الداخلية والخارجية) ـ بول فندلى- شركة المطبوعات، ١٩٨٥

٣٢٨. من يحمى المسيحيين العرب- فكتور سحاب - دار الوحدة،- ط١ ١٩٨١

٣٢٩. منطقة الخليج العربي أمام التحدي العقدي – سعيد عبد الله حارب - نشر مكتبة الأمة بدبي ط ١٩٨٥

٣٣٠. مواقف من تاريخ الكنيسة – رولاند بينتون ـ ترجمة القس عبد النور ميخائيل- دار الثقافة المسيحية

٣٣١. موقع الإسلام في صراع الحضارات و النظام العالمي الجديد - محمد السماك -دار النفائس- ط.٢ ١٩٩٩

٣٣٢. خلفية الصراع بين العرب و الغرب

٣٣٣. موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (١٨٩٧ ـ١٩٠٩م) - حسان علي الحلاق -الدار الجامعية/ بيروت- ط.٢ ١٩٨٠ م

٣٣٤. ميلاد عالم جديد (فرصة متاحة لقيادة عالمية) بقلم هارلان كليفلاند ـ تقديم روبرت ماكنمارا ـ ترجمة د. جمال زهران – المكتبة الاكاديمية- ط١ ٢٠٠٠

٣٣٥. نانسى ريجان ـ فضيحة في البيت الأبيض كيتى كي - يوسف فكرى، نهال الشريف دار الهلال،١٩٩١

٣٣٦. نحو حرب دينية ؟ جدل العصر / روجيه جارودى- دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع- ط.٢ ١٩٩٧

٣٣٧. نحو مشروع حضاري نهضوي عربي – تأليف عبد العزيز الدوري وآخرون - الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت .

٣٣٨. نقد المفهوم التقليدي عن العلمانية – محمود سلطان- القاهرة ١٩٩٨

٣٣٩. نهاية التاريخ والإنسان الأخير –فرانسيس فوكوياما- ترجمة مركز الإنماء العربي بإشراف مطاع الصفدي –ترجمة الدكتور فؤاد شاهين والدكتور جميل قاسم ورضا الشايبي بيروت ١٩٩٣م

٣٤٠. هذه هي أمريكا – وكالة الإعلام الأمريكية- الولايات المتحدة الامريكية

٣٤١. هكذا يضيع الشرق الاوسط- الفريد ليلينتال - دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٧م.

٣٤٢. يد الله (لماذا تضحى الولايات المتحدة بمصالحها من اجل اسرائل؟!) - غريس هالسيل ـ ترجمة محمد السماك – دار الشروق- ط.١ ٢٠٠٠

٣٤٣. يوميات قادة العدو -٣- الفاشية - موشي دايان- ترجمة جوزيف صفير - ص ٣٨- دار المسيرة، بيروت .

٣٤٤. يوميات كولن باول ـ بقلم جوزيف بريسكو – الناشر الاهلية للنشر والتوزيع /عمان – توزيع جروس برس

٣٤٥. يوميات هرتزل، ترجمة هلدا شعبان صايغ - سلسلة كتب فلسطينية- مركز الأبحاث م.ت.ف- ط ١٩٧٣

٣٤٦. تاريخ اوروبا في العصور الوسطى – تأليف : موريس بيشوب – ترجمة على السيد على - المجلس الاعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة- الطبعة الاولى ٢٠٠٥

٣٤٧. امريكا المسيحانية (حروب المحافظون الجدد- الان فوشون ، دانيال قرنه- ترجمة موريس شربل – دار الجليس –جروس برس طرابلس ٢٠٠٥

٣٤٨. الحروب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد- ج٢ ترجمة وتعليق حسن حبشي – الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠

٣٤٩. تراث الاسلام – تصنيف شاخت وبوزورت- ترجمة د. محمد زهير السمهوري، د.حسين مؤنس، د. احسان العمد- ج١ ط٢ ١٩٨٨- سلسلة عالم المعرفة

٣٥٠. العدو الامريكي (اصول النزعة الفرنسية المعادية لامريكا – فليب روجيه – ترجمة بدر الدين عردوكي – المشروع القومي للترجمة عدد٨١٦- ط١ ٢٠٠٥

٣٥١. المحافظون الجدد والحلم الامبراطوري – موفق صادق العطار – دار الاوائل- دمشق- ط ١ ٢٠٠٧

٣٥٢. المجتمع الاسرائيلى وثقافة الصراع – د. عمر عبد العلى علام - دار العلوم للنشر والتوزيع – ط١ ٢٠٠٧

٣٥٣. ماكين والشرق الأوسط والولاية الثالثة للمحافظين الجدد- المؤلف: علاء بيومي- الناشر: مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، قطر- سلسلة أوراق الجزيرة رقم ٥- الطبعة: الأولى، أغسطس/آب ٢٠٠٨ -الجزيرة نت

٣٥٤. يهود الجزائر هؤلاء المجهولون - تأليف فوزي سعد الله (جزئين)

٣٥٥. الصيهونية العدو الحقيقي لليهود - تأليف الباحث والصحفي آلان هارت. (جزئين)

٣٥٦. الدراسات والمقالات

٣٥٧. ١١ سبتمبر.. سيناريو ما حدث هناك- بقلم كابتن/إسحاق الكوهجي- اسلام اون لاين-٨-١-٢٠٠٢- http://www.islamonline.net/arabic/science/2002/01/article3.shtml

٣٥٨. ١١ سبتمبر: دعوة للتفكير الحر .. في الوثائق والحقائق والوقائع- بقلم زين العابدين الركابي – الشرق الاوسط - السبت ٠٩ شعبان ١٤٢٧ هـ ٢ سبتمبر ٢٠٠٦ العدد ١٠١٤٠

٣٥٩. اجراس الخطر.. الحقيقة وراء ١١ سبتمبر ج٣- قناة الجزيرة برنامج سرى للغاية- مقدم الحلقة: يسري فودة- تاريخ الحلقة: ٢٠٠٥/٩/٢٢

٣٦٠. هل تحتاج أمريكا سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين- هنري كيسنجر - إصدار: نيويورك: سايمون أند شوستر ٢٠٠١ - عرض: مارك بوردمان (كاتب بمجلة إكزكتف إنتلجنس ريفيو).- السويد - حسين النديم- **2001/10/18**- إسلام أون لاين-

٣٦١. http://www.islamonline.net/arabic/economics/2001/10/article6.shtml

٣٦٢. اساطير في ثوب ديني وتحالف استراتيجي - رضا محمد حرب – الخليج العدد ٨٦٧٤

٣٦٣. افق آخر- خيري منصور ـ سانت بوش ـ الخليج ـ ١٠ـ٣ـ٢٠٠٣ م ـ عدد ٨٦٩٥

٣٦٤. الاسلام .. والغرب .. وإمكانية الحوار –ابراهيم محمد جواد – مجلة النبأ – عدد ٣٩-٤٠- رمضان ١٤٢٠هـ

٣٦٥. الاسلام في عيون الإعلام الغربي- سهام بادي - " مجلة رؤى، باريس: العدد ١٣ خريف ٢٠٠١.

٣٦٦. الاسلام والديانات السماوية - د. محمد ظفر الله خان- المصدر: الاسلام والانسان المعاصر

٣٦٧. ttp://www.balagh.com/mosoa/mabade/0m01al0t.htm

٣٦٨. الاصولية المسيحية أصولها ونشأتها ودورها في صنع القرار الأمريكي ـ يوسف الحسن– جريدة الخليج عدد ٨٦٧٤

٣٦٩. الاقليات المسلمة في الغرب من العزلة الى الاندماج الفاعل - غالب حسن الشابندر- المصدر :التوحيد/١٠٧/ ٢٠٠١ م

٣٧٠. الإسلام عدو بديل.. هدف ثابت وصياغات متغيرة! - نبيل شبيب ـ إسلام أون لايـــــــــــــــــــن- ١٢-١-٢٠٠١ -
http://www.islamonline.net/arabic/politics/2002/01/article9.shtml

٣٧١. الأصوات المغيبة والمصلحة القومية الكاذبة- بقلم هوارد زن - جريدة الخليج عدد ٩٣٢٦ تاريخ ٣٠-١١-٢٠٠٤

٣٧٢. البعد الديني للضربة الامريكية للعراق وعلاقته بمخطط اسرائيل الكبرى – يوسف الطويل- القدس العربي اكتوبر ١٩٩٨

٣٧٣. البوشنية .. سيره يهودية / بقلم شوقي أبو شعيره ـ جريدة الخليج العدد ٨٦٠٩ – ١٤ ديسمبر ٢٠٠٢م

٣٧٤. البيت الأبيض: إنجيل على نهر البوتوماك- بقلم كينيث وودوارد - نيوزويك .

٣٧٥. التزييف الرسمي لحقيقة حادث "ليبرتي- وورد بوسطن /كبير المستشارين في تحقيقات السفينة ليبرتي - جريدة الخليج – ١٤-١-٢٠٠٤م

٣٧٦. التفجيرات الأمريكية: سيناريو مختلف.. لكنه ممكن جداً - أ.د. أحمد حسن مأمون – موقع -2001/09/29-
http://www.islamonline.net/arabic/arts/2001/09/article17.shtml

٣٧٧. التقرير الألماني /ما حدث هل هو إرهاب ، أم انتقام داخلي ، أم انقلاب عسكرى- تقرير وليد الشيخ – ١٩-٩-٢٠٠١- المصدر : شبكة المعلومات العربية محيط

٣٧٨. التلفيق والعدوانية في الايديولوجية الصهيونية -الكاتب: د . فيصل دراج كاتب وناقد فلسطيني ـ دمشق ٣١-٣-٢٠٠٥-
http://www.moqawama.org/_isrzionism.php?filename=2005071610591
7

٣٧٩. الحرب العالمية الأخيرة -ما الفرق بين تنظيم القاعدة وطاقم الإدارة الأمريكية- بقلم مالك عثامنة - جريدة المرايا الالكترونية عن الدستور الأردنية

٣٨٠. الحق التاريخي في فلسطين – موقع مركز المعلومات الوطني الفلسطيني -
http://www.pnic.gov.ps/arabic/history/palestine.html#file4

٣٨١. الحكومة الأمريكية تصنع الإرهابيين منذ ٥٥ عاما– جورج مونبيوت - صحيفة الجارديان -عرض / إيمان محمد ـ إسلام أون لاين.نت/٣٠ـ١٠ـ٢٠٠١م

٣٨٢. الحنيفية ديانة ابراهيم عليه السلام - بحث وتحقيق : عبد اللطيف زكي أبو هاشم – منبر دنيا الوطن http://www.alwatanvoice.com

٣٨٣. الحوار الإسلامي مع الأديان التوحيدية الأخرى: الخلفيات و الآفاق - عبد الملك منصـــــــور حســــــــن المصـــــــعبي -http://www.science-islam.net/article.php3?id_article=690&lang=ar

٣٨٤. الحـوار بـين الـديانات: قـيم ثقافـة السـلام -١- محمـد عابـد الجـابري - http://www.aljabriabed.net/pape16.htm

٣٨٥. الرجال الثلاثة .. والطريق إلى العراق – بقلم معتز الخطيب/ كاتب وباحث سوري-الشبكة الإسلامية

٣٨٦. الشبه بين الحرب الصليبية والحركة الصهيونية- عبد اللطيف زكي ابو هاشم – مجلة الفيصل – عدد ٣٣٤

٣٨٧. الشخصيات الأسطورية في العهد القديم وثالوث عزرا: الوثنية " يهوه " - العنصرية " الشعب المختار " - الاستعمار " الأرض الوعد "(دراسة تحليلية للشخصيات والأحداث) جميل خرطبيل – فلسطين- دراسه منشورة على الانترنت- http://www.aklaam.net/forum/showthread.php?t=11481

٣٨٨. الشريعة والحياة – تقديم خذيجه بنت قنه - علاقة المسلمين باليهود - الشيخ يوسف القرضاوي – تاريخ النشر: الأربعاء ١٧ يناير ٢٠٠٧ قناة الجزيرة

٣٨٩. الصليبيون الجدد ... الحملة الثامنه – يوسف الطويل – سلسة مقالات نشرت في جريدة القدس عام ١٩٩٣

٣٩٠. الصهيونية المسيحية .. أصولها ونشأتها د. يوسف الحسن – جريدة الخليج ٢٠٠٣/٢/١٥ م عدد ٨٦٧٢

٣٩١. الصهيونية المسيحية مسخرة لخدمة إسرائيل- سمير مرقص الخليج ٢٠٠٣/٢/١٥ عدد٨٦٧٢

٣٩٢. العبودية الجنوبية والقانون ١٦١٩ـ١٨٦٠"ـ أنيت جوردون ريد ـ جريدة الخليج ٢٧ـ٢ـ٢٠٠٣م عدد ٨٦٨٤

٣٩٣. العلاقة بين الاسلام والغرب وواجب المسلمين في أوروبا- محمد علي التسخيري –مجلة التوحيد/العدد ٩٠/ السنة١٩٩٧م

٣٩٤. الغارة الأمريكيّة الكبرى على العالم الإسلامي.- بقلم / يحي أبوزكريا – دراسه منشورة على الانترنت

٣٩٥. الغزو الفكرى أدواته واهدافه في العالم الاسلامي – يوسف الطويل- سلسلة مقالات نشرت في جريدة الوحدة الاماراتية عام ١٩٨٧

٣٩٦. القومية الامريكية الجديدة ... الحلقة الرابعة - تأليف: اناتول لييفين -عرض: بشير البكر - جريدة الخليج - ٣٠-٦-٢٠٠٥ - العدد ٩٥٣٨

٣٩٧. القيم الأمريكية تتعرض للخطر ـ تأليف: جيمي كارتر عرض: عمر عدس ـ جريدة الخليج الإماراتية - عدد ٩٧٠٩ بتاريخ ١٨ـ١٢ـ٢٠٠٥ م

٣٩٨. الكابوس الامريكي وحلم الخلاص – محب الصالحين - http://www.almotmaiz.net/vb/showthread.php?t=9872

٣٩٩. الكابوس الأمريكي ـ روبـرت دول – عـرض غسـان العـزى- الناشـر فـ-ال-بـي، كيبك -جريدة الخليج ١٣ يونيو١٩٩٧

٤٠٠. الكذبات العشـر – بقلـم كريسـتوفر شـير –مـدير تحريـر موقـع "الترنيـت دوت اورج" والنص منشور في هذا الموقع ـ جريدة الخليج ـ ٦ ـ٧ـ٣ـ٢٠٠٣ ـ عدد ٨٨١٣

٤٠١. اللعبة الكبرى .. يعملها الأمريكان ويقع فيها المسلمون! - أورخان محمد علي- اسـلام اون لايـن-٣-١١-٢٠٠١-
http://www.islamonline.net/arabic/politics/2001/11/article4.shtml

٤٠٢. المبشرون البروتستانت والنية القاتلة – غريس هالسل – كتـاب متـرجم نشـر في جريدة الشرق الاوسط

٤٠٣. المستشرقون والإسلام معالجة منهجية خاطئة ـ إبراهيم محمـد جـواد- مجلـة النبأ – عدد ٥١- تشرين الثاني ٢٠٠٠

٤٠٤. المسؤولية عن هجمات سبتمبر في خطابات بـن لادن - شـاهر احمـد- ١٣-٩-٢٠٠٦- الجزيـرة نـت-
http://www.aljazeera.net/channel/archive/archive?ArchiveId=337866

٤٠٥. المسـيح يـدعوك لتبنـي مسـتوطنة ـ محمـد عبـد العـاطي – اسـلم اون لايـن -
http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/fan-20/alqawel.asp

٤٠٦. المسيحيون ملحُ العروبة- محمد خالد - جريدة الخليج- ٢٩-١١-٢٠٠٥ -

٤٠٧. الميليشيات المسيحية الأمريكية.. هواية القتل اللذيذ - أحمد زين– موقع إسلام أون لاين- ١٣-٩-٢٠٠١-

http://www.islamonline.net/arabic/famous/2001/09/article3.shtml

٤٠٨. اليهود في التراث الديني المسيحي– يوسف الطويل – دراسه نشرت على ٥ حلقات في جريدة الخليج .عام ١٩٨٩

٤٠٩. اليهود والمسيحيون والمسلمون وحوار الأديان في العصور الوسطى" - بقلم كريستيان هاوك - ترجمة عبد اللطيف شعيب - ق الطبع قنطرة ٢٠٠٥ ماتياس لوتس باخمان والكسندرا فيدورا: دارمشتات ٢٠٠٤.

٤١٠. امبراطورية بوش بين قمة الثماني وتفجيرات لندن – بقلم /إميل أمين- جريدة الخليج ١٤-٧-٢٠٠٥ عدد ٩٥٥٢

٤١١. امريكا .. تاريخ من العنصرية والمآسي الإنسانية / إعداد وسام الأسدي جريدة الخليج ٢٧ـ٢ـ٣ـ٢٠٠٣م عدد ٨٦٨٤

٤١٢. امريكا .. ذلك الوجه الآخر! جيف سيمون ونعوم تشومسكى – الشبكة الإسلامية-

http://www.islamweb.net/pls/iweb/misc1.Article?vArticle=13700

٤١٣. انها حرب على الاسلام- رسالة محمد مهدي عاكف المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين – موقع اخوان اون لاين – ٢٣-٩-٢٠٠٤

٤١٤. اوجه التشابه .. والاختلاف - د. جورج صبرا جريدة الخليج ٣..٢/٢/١٥ عدد٨٦٧٢

٤١٥. اية قيم دينية لحضارة إنسانية ؟ - د. عبد المجيد الصغيّر- مؤتمر الدوحة الخامس لحوار الأديان ٧-٩ مايو ٢٠٠٦

٤١٦. بالنسبة لبوش.. إنه الإحساس بالتاريخ والمصير- الواشنطن بوست ٢٠٠٣/٠٣/٠٩م

٤١٧. برنامج سري للغاية - اجراس الخطر.. الحقيقة وراء ١١ سبتمبر- تقديم/ يسري فودة- قناة الجزيرة

٤١٨. برنامج ما وراء الأحداث-- تدمير حضارة العراق- تقديم احمد منصور- قناة الجزيرة

٤١٩. بوش والرب- بقلم "هاوارد فاينمان"- مجلة نيوزويك ٢٠٠٣/٠٣/١٠م

٤٢٠. بوش.. طغيان الحماس الديني على البصيرة السياسية/بقلم محمد بن المختار الشنقيطي – الجزيرة نت ٢٠٠٤/٣/٢١م

٤٢١. بين أخلاقيات العرب وذهنيات الغرب- إبراهيم القادري بوتشيش- عرض/إبراهيم غرايبة- رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة-ط.١ ٢٠٠٥ – الجزيره نت- حوار الحضارات من خلال رسائل بديع الزمان النورسي

٤٢٢. تاريخ الحضارة- جيمس هنري برستد - موقع مركز المعلومات الوطني الفلسطيني-

٤٢٣. تاريخ تطور علاقة المسيحية باليهودية / د. فكتور سحاب – جريدة الخليج عدد ٨٦٧٤

٤٢٤. تاريخ فلسطين قبل الإسلام -وقفات مع تاريخ صراع الحق والباطل على أرض فلسطين- موقع مركز المعلومات الوطني الفلسطيني -

٤٢٥. تعايش الأديان في الماضي : بقلم مارك كوهين، ترجمة كامل الزيادي-. نشر المقال باللغة الألمانية في صحيفة فرانكفورتر ألكمانية تسايتونغ بتاريخ ٢٥,١٠,٢٠٠٣ -- موقع قنطره http://www.qantara.de/webcom/show_softlink.php?wc_c=339

٤٢٦. تيموتى مكفاي نموذجاً ! - لبنى سعيد - موقع إسلام أون لاين

٤٢٧. جريمة أمريكيا في الخليج ـ الأسرار الكاملة ـ محمود بكرى – الاسبوع العربي

٤٢٨. جماعة أصولية تسيطر على السياسة الأمريكية / محمد يوسف عدس جريدة الخليج – ١٠ـ٣ـ٢٠٠٣م ـ عدد ٨٦٩٥

٤٢٩. حذار الحرب الصليبية الجديدة - جورج حاوى- صحيفة السفير –١٥ أيلول - سبتمبر ٢٠٠١

٤٣٠. حملة بوش الصليبية على العالم الإسلامي وعلاقتها بمخطط إسرائيل الكبرى – يوسف الطويل- جريدة الشعب ـ مصر ٢٠٠١/١٠/١٢م

٤٣١. حنفاء آخرون .. وحقيقة الحنيفية -محمد عابد الجابري- http://www.aljabriabed.net/coran6.htm

٤٣٢. حوار الحضارات .. لماذا؟ بقلم يوسف الحسن – الموسوعة الاسلامية

٤٣٣. حول علاقة الدين بالدولة الأمريكية الحديثة / محمد الصياد ـ جريدة الخليج ٢/٢/١٥..٣م عدد٨٦٧٢

٤٣٤. خطيئة التكبر - "مارتن مارتي" قسيس وأستاذ بجامعة شيكاغو - نيوزويك١٠/٠٣/٢٠٠٣م

٤٣٥. ذرائع الإرهاب الأمريكي- غريب صابر- جريدة الخليج – عدد ٩٥٠٦- بتاريخ ٢٩-٥-٢٠٠٥م

٤٣٦. رؤساء أمريكا .. قادة صهاينة في البيت الأبيض – محمد القدوسي ـ دار الجمل – ٢٠٠٤- دراسة منشوره على الانترنت

٤٣٧. سمير مرقص: الصهيونية المسيحية مسخرة لخدمة إسرائيل ـ جريدة الخليج ٢/٢/١٥..٣م عدد٨٦٧٢

٤٣٨. سؤال يتجدد: هل كانت "إسرائيل" وراء أحداث سبتمبر؟ إميل أمين الخميس- جريدة الخليج- ٣٠-٦-٢٠٠٥ - العدد ٩٥٣٨

٤٣٩. صناعة الأكاذيب وحمايتها – لعبة الترويج والإسكات والتضليل ـ بقلم/ ايمن الصياد – الخليج عدد ٨٨٤٥ـ ٧ أغسطس ٢٠٠٣

٤٤٠. عام على أحداث ١١ سبتمبر / بقلم ديفيد ديوك ترجمة كمال البيطار – جريدة الخليج ٢٠٠٢/٩/٦ – عدد ٨٥١٠

٤٤١. عائلة بوش ومنظمة الجماجم والعظام - بقلم /جمال عبد الحي التميمي / باحث إعلامي فلسطيني (جامعة تيمز فالى) لندن – جريدة الخليج

٤٤٢. عندما تختلط الأساطير بالنبوءات ـ جون هيوبرز ـ منسق الإرساليات للشرق الأوسط وجنوب آسيا في الكنيسة المصلحة – جريدة الخليج ٢٠٠٣/٢/١٥ م

٤٤٣. قناع أبيض للعالم كله د. حسن مدن – جريدة الخليج – عدد ٩٥٠٦ ـ بتاريخ ٢٩ـ٥ـ ٢٠٠٥ م

٤٤٤. كنائس الشرق تكافح أعداء المسيح الجدد ـ شكري عازر ـ جريدة الخليج ٢٠٠٣/٢/١٥م عدد٨٦٧٢

٤٤٥. لغز اختفاء بن لادن ! بقلم باتر محمد علي وردم- جريدة الدستور ٢٠٠٢/٣/١١ م .

٤٤٦. ٢٠٠٢/٣/١١ م .

٤٤٧. ما حدث هل هو إرهاب، أم انتقام داخلي، أم انقلاب عسكرى ؟! – وليد الشيخ – شبكة الملومات العربية محيط

٤٤٨. ما وراء الأحداث / تدمير حضارة العراق/– تقديم احمد منصور - قناة الجزيرة

٤٤٩. مجلة روز اليوسف ١٢ـ٤ـ٢٠٠٣ القس رفعت فكرى سعيد ـ شبرا مصر

٤٥٠. محاكمة صدام بين الرفض والإدانة – الاتجاه المعاكس – تقديم فيصل القاسم ـ ٢٠٠٤/٧/٦م- قناة الجزيرة

٤٥١. محمد يعتنق الحنيفية- عزت اندراوس – المصدر : موسوعة تاريخ أقباط مصر - http://www.coptichistory.org/new_page_342.htm

٤٥٢. مقاومة الاحتلال هي مفتاح السلام /بقلم / بسام ابو شريف ٢٠٠١/٢/٢٥ - موقع Peace online

٤٥٣. مقصلة الكبرياء ـ حياة الحويك عطية - جريدة الخليج ٢٠٠٣/٤/١٨

٤٥٤. من يدير الدفة في الولايات المتحدة؟ إدوارد سعيد جريدة الخليج – ١٠ـ٣ـ٢٠٠٣ ـ عدد ٨٦٩٥

٤٥٥. موقف عرب فلسطين من الهجرة اليهودية الصهيونية (١٨٨٢ ـ ١٩١٤م) - بحث مقدم الى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) - د. اسماعيل احمد ياغي .

٤٥٦. ندوة العيش المشترك في الإسلام و المسيحية – اللجنة الوطنية اللبنانية للتربية و الثقافة و العلوم – بيروت ٢٠٠٢ – راجع على الخصوص بحث د. محمد السماك : في ثقافة الحوار الإسلامي – المسيحي

٤٥٧. هل يجب الخوف من أمريكا ؟ تأليف:نيكول باشاران عرض: بشير البكر- جريدة الخليج الاماراتية – ١٥-١٢-٢٠٠٥

٤٥٨. القصة العبرية المعاصرة بين الحلم الصهيوني والكابوس الصليبي- د. علي عبد الرحمن استاذ الادب العبري بجامعة عين شمس

٤٥٩. الاثار في العراق بين ايدي لصوص الحضارات – محمد سيدي – ١-

نهاية

عن يوسف الطويل

الإسم : يوسف العاصي ابراهيم الطويل

تاريخ ومكان الميلاد : ١٩٥٩/٤/١٦رفح- فلسطين

المهنه الحالية : رئيس مجلس ادارة شركة أبوظبي لصناعات الاسمدة .

الحالة الاجتماعية : متزوج ولدى ٣ اولاد

الإقاة الحالية في مدينة رفح في قطاع غزة

المؤهلات العلمية

- ليسانس آداب – قسم الفلسفة – جامعة عين شمس – دفعة ١٩٨٣
- دبلوم دراسات اسلامية : معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة ١٩٨٦
- تمهيدي ماجستير – معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة ١٩٩٩
- طالب ماجستير علوم سياسية /جامعة الازهر (الان)
- عضو الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين – فرع الامارات منذ عام ١٩٨٧

الكتابات والدراسات

- كتاب احمد ديدات – القاديانية والاسلام بالا شتراك مع د. محمد ياسر شرف نشر في عام ١٩٨٧ في دولة الامارات العربية المتحدة.
- الصليبيون الجدد .. الحملة الثامنه – غزة ١٩٩٥
- الصليبيون الجدد .. الحملة الثامنه " – الطبعة الاولى – مكتبة مدبولي ١٩٩٧- الطبعة الثانية ١٩٩٩.
- كتاب احمد ديدات بين القاديانية والاسلام – مكتبة مدبولى – الطبعة الاولى عام ٢٠٠٢
- الاصولية المسيحية والصحوة الاسلامية – دراسه غير منشورة

الدراسات:

•الاستشراق والتبشير في العالم الاسلامي – خمس حلقات نشرت في جريدة الوحدة الاماراتية خلال الفترة من ١٩٨٧/١١/٢١ -١٩٨٧/١٢/٣١

•دراسة عن القاديانية من حلقتين نشرت بجريدة الوحدة الاماراتية في شهر٢٥- ١٩٨٨/٢

•اليهود في الثرات الديني المسيحي – نشرت على اربع حلقات في جريدة الخليج الاماراتية من ١٩٨٩/٢/٦- مارس ١٩٨٩

•الصليبيون الجدد .. الحملة الثامنه – نشرت في جريدة القدس من ستة حلقات خلال الفترة من ١٩٩٣/٢-١٩٩٣/٣

•البعد الديني للضربة الامريكية للعراق وعلاقته بمخطط اسرائيل الكبرى – جريدة القدس العربي – اربع حلقات اكتوبر ١٩٩٨

•البعد الديني لحملة بوش الصليبية على العالم الاسلامى (هر مجيدون .. المحرقة الكبرى ... يوم الرب) في العقل الأمريكي (الانجلو سكسوني البروتستانتي)- نشرت في جريدة الشعب المصرية – ٢٨-٩-٢٠٠١ وعدد من الجرائد ومواقع على النترنت http://www.alshaab.com/GIF/28-09-2001/War8.htm

المقالات

•اندية الروتاري والليونز- جريدة الوحدة الاماراتية ١٩-٢-١٩٨٧

•نافذه على العجاز العلمي للقرآن – جريدة الوحدة الاماراتية٢-٣-١٩٨٧

•الغزو الفكري – جريدة الوحدة الاماراتية-٦-١٠-١٩٨٧

•الامن القومي العربي – مجلة كلية زايد العسكرية - ١٩٩٠

•ما يجب ان يكون عليه الفعل الفلسطيني حتى يكون اتفاق غزة اريحا .. اولاً وليس اخيراً- جريدة القدس ١٩٩٣/١١

•مؤامرة وفخ جديد لحماس .. والقضية في مهب الريح- جريدة القدس العربي – ٢٤-٦-٢٠٠٧

- حماس ام فتح .. للخلاص طريق ثالث- جريدة القدس العربي- ٣١-٧-٢٠٠٧
- مرحلة ما بعد حماس- جريدة القدس العربي
- حوار وصاحبه غايب- موقع دنيا الوطن
- مجتمع جديد او الكارثه- موقع دنيا الوطن
- مؤتمر بوش للسلام وسيناريو ما بعد غزة- مركز الزيتونه للدراسات
- محور فيلادلفيا بداية التدويل والتوطين وانهاء القضية- مجلة السياسة الدولية ابريل ٢٠٠٩
- يمكن مراجعة بعض هذه الموضوعات على مدونتى على العنوان التالى :
- http://yaltawil.blogspot.com/

مشاريع الكتب الجديدة

- الاسلام والعلم (كيف يمكن ان يكون اللقاء بين الدين والعلم)
- فلسطين ودورها الحضاري
- دور الدين في النهضة الاوربية الحديثة
- النظرية السياسية عند فلاسفة المسلمين
- ازمة الثقافة العربية
- الغزالى واثره على الفلسفة الغربية

البريد الألكتروني ::

- yaltawil@yahoo.com

الفهرست